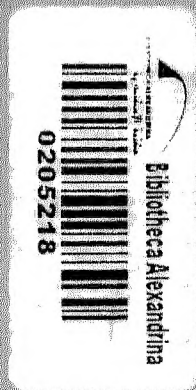
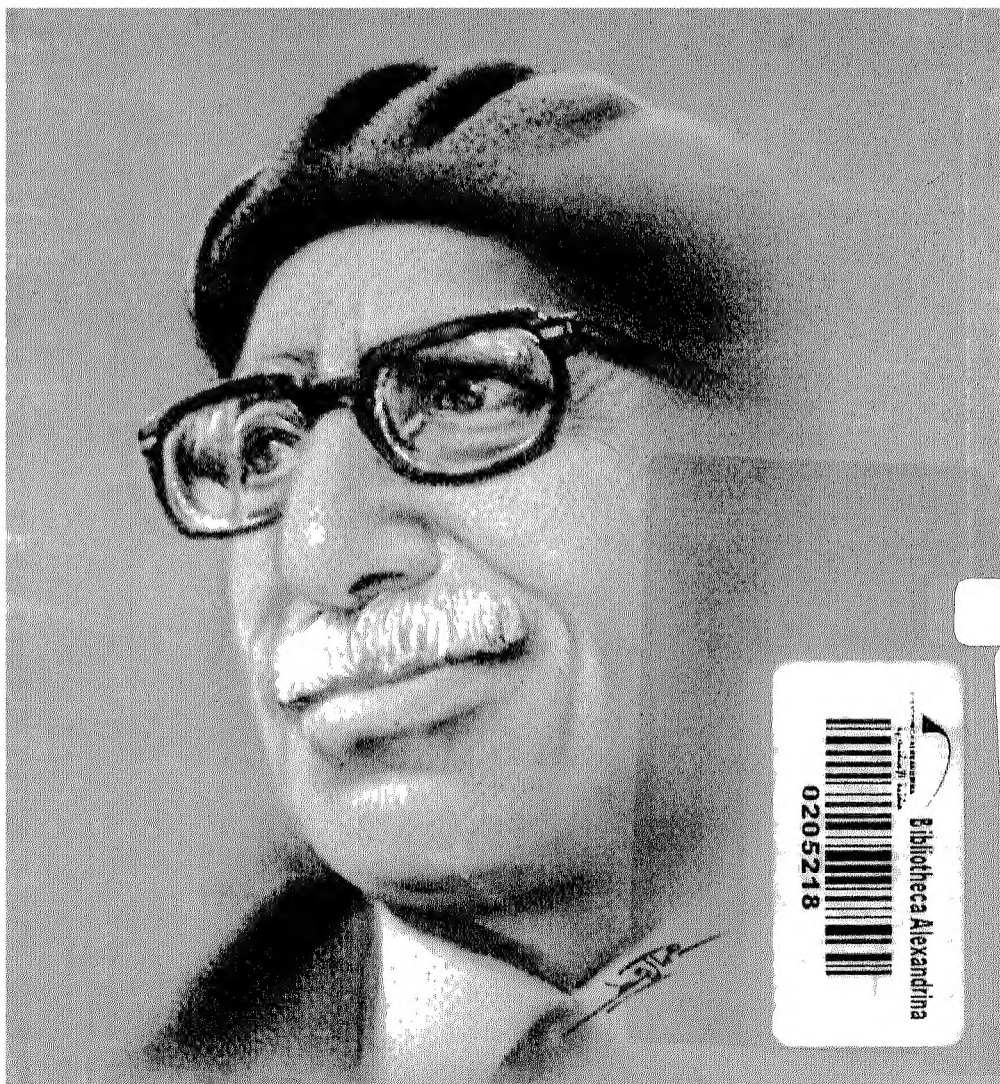


# تحت شمس الفكر



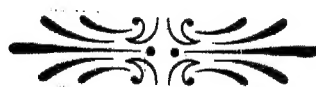
توفيق الحكيم





توفيق الحكيم

# تحت شمس الفكر



الطبعة الأولى

مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة



## كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١ — محمد رحمته الله (سيرة حوارية) ..... ١٩٣٦
- ٢ — عودة الروح (رواية) ..... ١٩٣٣
- ٣ — أهل الكهف (مشرحية) ..... ١٩٣٣
- ٤ — شهر زاد (مشرحية) ..... ١٩٣٤
- ٥ — يوميات نائب في الأرياف (رواية) ..... ١٩٣٧
- ٦ — عصفور من الشرق (رواية) ..... ١٩٣٨
- ٧ — تحت شمس الفكر (مقالات) ..... ١٩٣٨
- ٨ — أشعب (رواية) ..... ١٩٣٨
- ٩ — عهد الشيطان (قصص فلسفية) ..... ١٩٣٨
- ١٠ — حمارى قال لى (مقالات) ..... ١٩٣٨
- ١١ — براكسا أو مشكلة الحكم (مشرحية) ..... ١٩٣٩
- ١٢ — راقصة المعبد (روايات قصيرة) ..... ١٩٣٩
- ١٣ — نشيد الأنشاد (كما فى التوراة) ..... ١٩٤٠
- ١٤ — حمار الحكيم (رواية) ..... ١٩٤٠
- ١٥ — سلطان الظلام (قصص سياسية) ..... ١٩٤١
- ١٦ — من البرج العاجى (مقالات قصيرة) ..... ١٩٤١
- ١٧ — تحت المصباح الأخضر (مقالات) ..... ١٩٤٢
- ١٨ — بجماليون (مشرحية) ..... ١٩٤٢
- ١٩ — سليمان الحكيم (مشرحية) ..... ١٩٤٣
- ٢٠ — زهرة العمر (سيرة ذاتية — رسائل) ..... ١٩٤٣
- ٢١ — الرباط المقدس (رواية) ..... ١٩٤٤

٢٢	— شجرة الحكيم ( صبور سياسية )	١٩٤٥
٢٣	— الملك أوديب ( مسرحية )	١٩٤٩
٢٤	— مسرح المجتمع ( ٢١ مسرحية )	١٩٥٠
٢٥	— فن الأدب ( مقالات )	١٩٥٢
٢٦	— عدالة وفن ( قصص )	١٩٥٣
٢٧	— أرى الله ( قصص فلسفية )	١٩٥٣
٢٨	— عصا الحكيم ( خطرات حوارية )	١٩٥٤
٢٩	— تأملات في السياسة ( فكر )	١٩٥٤
٣٠	— الأيدي الناعمة ( مسرحية )	١٩٥٩
٣١	— التعادلة (فكر )	١٩٥٥
٣٢	— إيزيس ( مسرحية )	١٩٥٥
٣٣	— الصفقة ( مسرحية )	١٩٥٦
٣٤	— المسرح المتوحد ( ٢١ مسرحية )	١٩٥٦
٣٥	— لعبة الموت ( مسرحية )	١٩٥٧
٣٦	— أشواك السلام ( مسرحية )	١٩٥٧
٣٧	— رحلة إلى الغد ( مسرحية تنبؤية )	١٩٥٧
٣٨	— السلطان الحائر ( مسرحية )	١٩٦٠
٣٩	— يا طالع الشجرة ( مسرحية )	١٩٦٢
٤٠	— الطعام لكل فم ( مسرحية )	١٩٦٣
٤١	— رحلة الربيع والخريف ( شعر )	١٩٦٤
٤٢	— سجن العمر ( سيرة ذاتية )	١٩٦٤
٤٣	— شمس النهار ( مسرحية )	١٩٦٥

٤٤	— مصير صرصار ( مسرحية )	١٩٦٦
٤٥	— الورطة ( مسرحية )	١٩٦٦
٤٦	— ليلة الزفاف ( قصص قصيرة )	١٩٦٦
٤٧	— قالبنا المسرحي ( دراسة )	١٩٦٧
٤٨	— بنك القلق ( رواية مسرحية )	١٩٦٧
٤٩	— مجلس العدل ( مسرحيات قصيرة )	١٩٧٢
٥٠	— رحلة بين عصرين ( ذكريات )	١٩٧٢
٥١	— حديث مع الكوكب ( حوار فلسفي )	١٩٧٤
٥٢	— الدنيا رواية هزلية ( مسرحية )	١٩٧٤
٥٣	— عودة الوعي ( ذكريات سياسية )	١٩٧٤
٥٤	— في طريق عودة الوعي ( ذكريات سياسية )	١٩٧٥
٥٥	— الحمير ( مسرحية )	١٩٧٥
٥٦	— ثورة الشباب ( مقالات )	١٩٧٥
٥٧	— بين الفكر والفن ( مقالات )	١٩٧٦
٥٨	— أدب الحياة ( مقالات )	١٩٧٦
٥٩	— مختار تفسير القرطبي ( مختار التفسير )	١٩٧٧
٦٠	— تحديات سنة ٢٠٠٠ ( مقالات )	١٩٨٠
٦١	— ملاع داخلية ( حوار مع المؤلف )	١٩٨٢
٦٢	— التعاادلة مع الإسلام والتعاادلة ( فكر فلسفي )	١٩٨٣
٦٣	— الأحاديث الأربعة ( فكر ديني )	١٩٨٣
٦٤	— مصر بين عهدين ( ذكريات )	١٩٨٣
٦٥	— شجرة الحكم السياسي ( ١٩١٩ — ١٩٧٩ )	١٩٨٥

## كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت  
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر ( نوفيل أديسيون لاتين ) وترجم إلى  
الإنجليزية في دار النشر ( بيلوت ) بلندن ثم في دار النشر ( كروان )  
بنيويورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر ( ثري كتننترا بريس )  
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥  
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار ( فاسكيل ) للنشر وبالإنجليزية  
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩  
( طبعة أولى ) وفي عام ١٩٤٢ ( طبعة ثانية ) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨  
( طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون يباريس ) وترجم ونشر بالعبرية  
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار ( هارفيل ) للنشر بلندن  
عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيبان — ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨  
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١  
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي  
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما  
عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .  
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،



- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ .
- عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان ( مذكرات قضائي شاعر ) عام ١٩٦١ .
- بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر ( ثري كنتنتز بريس ) بواشنطن ١٩٨١ .
- سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر ( كنتنتز بريس ) بواشنطن ١٩٨١ .
- نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الخروج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- بيت العمل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
- الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر ( ثري كنتنتز بريس ) بواشنطن ١٩٨١ .
- شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثري كنتنتز ) واشنطن عام ١٩٨١ .
- صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثري كنتنتز ) واشنطن عام ١٩٨١ .

- الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثرى كنتنتز )  
واشنطن عام ١٩٨١ .
- الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثرى كنتنتز )  
واشنطن عام ١٩٨١ .
- شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثرى كنتنتز )  
واشنطن عام ١٩٨١ .
- الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا ( ثرى كنتنتز ) واشنطن  
عام ١٩٨١ .
- الشیطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
- بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠  
وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .
- العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .
- دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣  
وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .
- لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- والإنجليزية فى أمريكا بدار نشر ( ثرى كنتنتز بريس ) بواشنطن عام  
١٩٨١ .
- الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- السلطان الخائر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣ .

- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .
- يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرستي بريس ( الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس ) .
- مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .
- مع : كل شيء في مكانه .
- السلطان الحائر .
- نشيد الموت .
- لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .
- الشهيد : ترجمة داود بشاي ( بالإنجليزية ) جمع محمود المنزلوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .
- محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ ( بالإنجليزية ) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .
- المرأة التي غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج بيرلين .
- عودة الوعي : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلي وندر ونشر دار ماكملان — لندن .



# نحت شمس الفكر

عرفت النور ،

ورأيت الجمال ،

ولكنى .. احترقت !..

ففى الدين

## منطقة الإيمان

حينما كنت وكيلًا للنائب العام كنت أرى عجبًا في قاعات المحاكم وجلسات التحقيق ، وكنت أفكر كثيرًا في أمر ذلك الشرير الذى طالعت صحيفة حياته ، فإذا آثام ودماء تسيل منها ، ومع ذلك يقف أمامي متطلعًا إلى السماء ، ويأبى أن يقسم بالمصحف كذبا ..

هذا آدمي قد انطلقت غرائزه الدنيا لا يقوم لها شيء ، لكن - برغم هذا - فى نفسه منطقه عذراء ، لم يتطرق إليها فساد .. إنها منطقة العقيدة .. أهنالك إذن حد فاصل بين العقيدة والغريزة ؟

كذلك كان يدهشنى أمر صديق من خيرة القضاة ، كثير الورع ، حريص على العبادة والصلاة ، ومع ذلك كان عقله حرا من كل قيد ..

ما يدور بيننا حديث فى الخالق والخلقة حتى يذهب هو فى التدليل والمنطق كل مذهب ، إلى أن يقع فى الإلحاد وإنكار الجنة والنار .. ويؤذن المؤذن بالصلاة ، فإذا القاضى يسرع مخلصا إلى ذلك الدين الذى قال فيه منذ لحظة قولاً عظيماً .. أهنالك إذن حد فاصل بين العقيدة والعقل ؟ ..

إذا قلنا مع القائلين : إن العقل والغريزة ملكات ثلاث منفصلة إحداها عن الأخرى ، فإن هذا القول يؤدى حتما إلى نتائج غريبة قد تعدل من نظرتنا إلى الأشياء . ولعل أول ما يفهم من هذا الاستقلال بين الملكات ، تباين ألوان الحقيقة لدى كل منها فما يصدق عند القلب ، قد لا يصدق عند العقل ، بل إن كل ملكة من تلك الملكات تسيطر على عالم مختلف

جد الاختلاف عن عالم الأخرى !.. يقابل ذلك فى المحسوسات تلك الحدود والحواجز بين الحواس ، فعالم البصر منفصل عن عالم السمع ، والحقيقة البصرية غير الحقيقة السمعية ، وما يعتبر موجودا فى منطقة العين لا يعتبر موجودا فى منطقة الأذن .. فهذا الحجر الساكن حقيقة تراها العين المبصرة ، ولكن الأذن لا تدرك ولن تدرك هذه الحقيقة ، ولن تعرف مطلقا ما هو الحجر وما شكله ، لأن عالمها - وهو عالم الأصوات - لا يخطر له على بال أن فى الوجود عالما ، يسمى عالم المراتب ..

فالعقل لا يدرك إلا ما يلائم وظيفته وما يخضع لمقاييسه .

والحقيقة العقلية ليست الحقيقة المطلقة وليست الحقيقة كلها ، ولكنها الحقيقة التى يستطيع العقل أن يراها من زاويته ، فإذا كانت العقيدة مرجعها القلب ، فإن العقل لن يرى منها إلا الشطر الذى يستطيع أن يراه ، ويظل محجوبا عنه الشطر الواقع فى دائرة القلب ..

فوجود الخالق ألبار المنتقم الرحمن اللطيف ، لا شك فيه عند القلب ، أما العقل فإن استطاع بالمنطق أن يتصور وجود الخالق ، فإنه قد يرتاب فى صحة تلك الصفات المنسوبة إليه ، وقد يراها - فى منطقها - صفات آدمية ، أسبغها البشر على خالقهم ، إجلالا له ، لأنهم وهم بشر لا يملكون غير تلك الصفات التى هى فى عرفهم مرادف الإكبار والتقدير .

أما حقيقة الخالق فأمر بعيد عن مقدرة العقل ، وهل يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟.. هل يستطيع الكبد فى جسم الإنسان مثلا أن تحيط إدراكا بحقيقة شكل الإنسان الخارجى ، وهى جزء منه داخل فيه ؟.. إن كل ما تدركه الكبد هو وجود تلك المواد التى تمر بها كل يوم ، فتحولها إلى إفرازات دون أن تدرك من أين جاءت ، ولا إلى أين تذهب ؟ العقل أيضا يرى الأحياء كل يوم تدور دورتها ، دون أن يدرك من أين جاءت ، ولا إلى أين تذهب ؟.. فالحقيقة العقلية أو العلمية لا يتجاوز علمها



الكائنات التي تمر بالحواس ، ومن يحمل العقل أكثر من قدرته فهو إنما يريد منه المستحيل ، كمن يطلب إلى الكبد مضغ الطعام ، فالحقيقة العقلية أو العلمية شيء ، والحقيقة الإحساسية أو الدينية شيء آخر ..!

وإن رجال الدين يقعون دائما فى الخطأ ، إذ يسمون بسمة الظفر كلما قال رجال العلم قولاً يتفق مع الدين ، ويقطبون تقطيب الغضب كلما نقض رجال العلم أسس الدين .. وما أحراهم فى كلتا الحالين أن يسموا غير مكترئين بسمة الصفاء واليقين ..! ولم يعتقدوا تمام الاعتقاد أن العلم فى كلتا الحالين كاذب عندهم وإن صدق ، وأن لا شأن للعلم بهم ، وأن الحقيقة الدينية بعيدة عن وسائل العلم ودائرة بحثة ، وأن العقل يستطيع أن يهدم الدين كما يشاء ، دون أن يسمع القلب طريقة واحدة من طرقات معوله ، وأن أولئك الملحدون الذين سخروا عقولهم الكبيرة لتفنيد الدين وهدم أصوله والشك والتشكيك فى جوهره ووجوده ، — لم يستطيعوا لحظة واحدة أن يسكتوا صرخات القلب الحارة الصاعدة إلى ذلك الموجود الأسمى ، الذى بيده نفوسهم ..!

إن عقولهم كانت ترغى وتزيد بالكلام المعقول والمنقول ، وقلوبهم فى معزل عن كل هذا الصخب ، لا تشعر ولا تدرى شيئا عن المعركة الحامية القائمة فى تلك الرعوس .. فالتوفيق بين العلم والدين ضرب من العبث .. على أن اجتهاد المجتهدين فى هذا السبيل لم يتعد ذلك الجانب من الدين الخاضع بطبيعته لحكم العقل ، وهو الجانب الاجتماعى المبني على الأخلاق ، وما يتفرع عنه من فكرة الفضيلة والرديلة ..!

وهنا يتساءل الناس دائما : ما الدين ؟ .. أهو شيء مفيد للبشر فى أمر حياتهم ومعاشهم ؟ .. أم هو طريق لحل اللغز الأكبر وسبيل للنفوذ إلى المجهول الأعظم ؟ ..!

لواقع أن كل دين من الأديان المعروفة يتكون من هذين الوجهين ، فالدين — باعتباره قانونا اجتماعيا ينظم الغرائز ، ويحفظ التوازن بين الخير

والشر - أمر متعلق بذات الإنسان .. متصل إذن بعقله وعلمه .. على أن  
عنصر « الأخلاق » فى الأديان ليس كل جوهرها ، فإن بعض البلاد قد  
استطاعت أن تجد فى « الأخلاق » غنى لها عن « الأديان » : إنما قوة  
الدين وحقيقته فى العقيدة والإيمان « بالذات الأزلية » ..!

هنا لا سبيل إلى الدنو من تلك « الذات » إلا عن طريق يقصر عنه  
العلم الإنسانى ، بل يقصر عنه كل علم ، لأن العلم معناه الإحاطة  
والذات الأبدية لا يمكن أن يحيط بها محيط ، لأنها غير متناهية الوجود ،  
فالاتصال بها عن طريق العلم المحدود مستحيل ..!

ها هنا يبدو عمل الدين ضرورة للبشر ..

إنى ما كتبت هذه الكلمة اليوم إلا لألفت نظرك رجال الدين إلى  
وجوب التسامح والهدوء ، كلما قام باحث يتكلم فى الدين عن طريق  
العقل ، فإن الشرق اليوم مقبل على حياة علمية واسعة ، مهادها المعاهد  
والجامعات ، ولا بد لنماء ملكة العقل من التفكير الحر الطليق ، كما أنه  
لا بد لحياة ملكة القلب من الشعور الحار العميق ، فليترك رجال الدين  
المفكرين يفكرون كما يشاءون ، ويثرثرون كما يريدون ، ويعرضون  
بضاعتهم الكلامية التى هى كل بهرجهم الأدمى الأجوف ، فإن كل هذا  
الضجيج لن يصل خيره إلى القلب ، الذى لا يفتر لحظة عن التسييح —  
رغما عنهم — بالعقيدة التى ركبت عليها حياته النابضة ..!

## الدفاع عن الإسلام

قرأت - ثلاث عشرة سنة خلت<sup>(١)</sup> - قصة « فولتير » التمثيلية : « محمد » فحججت أن يكون كاتبها معدودا من أصحاب الفكر الحر ، فقد سب فيها النبي العربي سبا قبيحا عجت له ، وما أدركت له علة .. لكن عجبى لم يطل ، فقد رأيته يهديها إلى « البابا بنوا الرابع عشر » بهذه العبارات :

« فلتستغفر قداستك لعبد خاضع ، من أشد الناس إعجابا بالفضيلة ، إذ تجرأ فقدم إلى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية ، وإلى من - غير وكيل رب السلام والحقيقة - أستطيع أن أتوجه بنقدى قسوة نبي كاذب وأغلاطه ؟. فلتأذن لى قداستك فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه ، وأن أحرؤ على سؤالك الحماية والبركة ، وإنسى مع الإجلال العميق أجتو وأقبل قدميك القدسيتين » .

« فولتير »

١٧ أغسطس سنة ١٧٤٥

وعلمت فى ذلك الحين أن « روسو » كان يتناول بالنقد أعمال « فولتير » التمثيلية ، فاطلعت على ما قال فى قصة « محمد » علنى أجد ما يرد الحق إلى نصابه ، فلم أر هذا المفكر الحر أيضا يدفع عن « محمد » ما ألصق به كذبا ، وكان الأمر لا يعنيه ، وكان ما قيل فى هذا النبي

---

(١) من تاريخ الطبعة الأولى لهذا الكتاب فى عام ١٩٣٨ .

لا غبار عليه ولا حرج فيه ، ولم يتعرض للقصة إلا من حيث هى أدب  
وفن !..

ولقد قرأت بعد ذلك رد « البابا بنوا » على « فولتير » فألفيته ردا  
رفيقا كيّسا ، لا يشير بكلمة واحدة إلى الدين ، وكله حديث فسى  
الأدب ، فعظم عجبى لأمر « فولتير » وسألت نفسى طويلا :  
أيستطيع عقل مثقف ، كعقل هذا الكاتب العظيم ، أن يعتقد  
ما يقول ؟.. دين تبعه آلاف الملايين من البشر على مدى الأجيال هو فى  
نظره حقا دين كاذب ؟.. ومبادئ إنسانية كالتى جاء بها الإسلام هى  
عنده حقا مبادئ بربرية ؟ .. أما إنه التملق والزلفى والنفاق .. وإن  
الزمن والتاريخ يضعان أحيانا أقنعه زائفة على نفوس تزعم أنها خلقت  
للدفاع عن حرية الفكر !..

منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنى فجعت فى شىء عزيز لدىّ : الإيمان  
بنزاهة الفكر الحر .. ولقد كنت أحيانا ألتمس الأعذار لـ « فولتير » ،  
وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق ، بل عن عقيدة وحسن  
طوية ، استنادا إلى 'علم خاطئ بأخبار النبى ، ولكن كتابه إلى « البابا »  
كان يهتمه اتهاما صارخا ، ويدع بحالا للشك فى دخيلة أمره !..

إنى قرأت لـ « فولتير » كتباً أخرى ، كانت تكشف عن آراء حرة  
حقا فى مسائل الأديان ، وتنم عن روح واسعة الآفاق ، تكره التعصب  
الذميم ، فما باله عندما عرض لذكر « محمد » والإسلام كتب شيئا هو  
التعصب بعينه ، تعصب لدينه ، ذهب فيه إلى حد السجود وتقييل  
الأقدام ، لا لرب العزة والخلق ، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التى ما أرى  
أن « فولتير » كان فى ذات يوم من خدامها المخلصين !.. هى الأطماع  
التي كانت تدفع « فولتير » - فيما أرى - إلى التمسح بأعتاب الملوك  
والبابوات ، ولقد يقدم ثمنا لذلك أفكاره الحرة أحيانا !

منذ ذلك الحين و « فولتير » عندى متهم ، ولن أبرمه أبدا ، ولن

أعده أبداً من بين أولئك العظام الذين عاشوا بالفكر وحده وللفكر وحده ..! وأحسب أن التاريخ العادل سوف يحكم عليه هذا الحكم .. على أن الذى يدعو إلى الدهش أكثر من هذا أن الشرق والإسلام ، وقفا من الأمر موقف النائم الذى لا يعى ولا يشعر بما يحدث حوله ، فلم أر كاتباً من كتاب الإسلام قام فى ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذى قال « فولتير » ..! ويقذف فى وجه هذا الكاتب بالحقائق الباهرة القاطعة ، أو أن مؤلفاً وضع كتاباً يبرز فيه شخصية النبى العظيمة واضحة جلية ..! لقد كان الشرق فى ليل هادئ بهيم ، لم تثر فيه حركة « فولتير » يومئذ ساكناً ، اليوم قد تغير الأمر ، ولاحت فى أفق الشرق خيوط الفجر ، وقام فى هذا القرن كتاب يمحذون عقيدتهم ، وهم يعلمون أن فى ذلك تمجيذا للحق وللشرق ، فإن المسألة ليست مسألة دين فقط ، إنما هى أيضاً مسألة جنس وقومية ..!

وإذ تقول أوروبا : « الإسلام » فإنما تعنى غالب الأحيان « الشرق » .. والدفاع عن الإسلام لم يكن فى كل الأحيان دفاعاً عن عقيدة وديانة ، إنما هو دفاع عن حياة تلك الكتلة التى يسميها الغربيون : « الشرق » .. إن الحروب الصليبية فى حقيقتها لم تكن إلا حرب الغرب على الشرق ، وإن الفتح الإسلامى عندما بلغ فرنسا وهدد أوروبا لم يكن إلا حرب الشرق على الغرب ..!

هذا المد الجزر بين الغرب والشرق يفهمه مفكرو الأوربيين تمام الفهم ، ويحسبون له الحساب ، ويعملون دائماً على أن تكون الغلبة لهم آخر الأمر ، أو أن يطيلوا على الأقل أمد غلبتهم إن كان لابد من تبدل الحال ، ومن دوران الفلك طبقاً لناموس أعلى لا قبل لهم به ، فالدفاع عن شخصيتنا وعقيدتنا دفاع عن حياتنا ، وإن الكتابات التى توجه لهذا الغرض النبيل ينبغى أن يكون لها علينا حق المؤازرة والتعزيد ، وإنى لست بناقد منقطع للنظر فى أعمال المؤلفين وتقدير قيم ما يكتبون ،

ولكنى أريد أن أشير إشارة سريعة إلى صوت من الشرق ارتفع فى العصر الحديث محتجا مدافعا ، هو صوت الأستاذ الإمام محمد عبده ، فى رده على « هانتوتو » ، فلقد نشر « جابريل هانتوتو » الكاتب والوزير الفرنسى يوما مقالة جاء فيها :

« قد أصبحنا اليوم إزاء الإسلام والمسألة الإسلامية .. احترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الإفريقية بسرعة لا تحارى حاملين فى حقائبهم بعض بقايا تدين البيزنطيين « يونان الشرق » ، ثم تراءوا بها على أوربا ، ولكنهم وجدوا فى نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها إلى آسيا ، بل أقرب فى الصلة إلى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم ، ألا وهى المدينة الآرية المسيحية ، ولذلك اضطروا إلى الوقوف عند الحد الذى إليه وصلوا ، وأكروهوا على الرجوع إلى إفريقية ، حيث ثبتت فيها أقدمهم أحقابا متعاقبة » ..!

ثم قال فى موضع آخر :

« وقصر فريق منا بحثه وحكمه على ما شاهده من المناقضات والخلافات بين الدينين المسيحى والإسلامى ، فرأى فى الإسلام العدو الألد والخصم الأشد » ..

قال المسير كيمون فى كتابه « باثولوجيا الإسلام » :

« إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس ، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا ، بل هى مرض مروع وشلل عام . وجنون ذهولى يبعث الإنسان على الخمول والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ، ويدمن معاورة الخمر ، ويجمع فى القبائح .

وما قبر « محمد » فى « مكة » إلا عمود كهربائى يىث الجنون فى رعوس المسلمين ، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع « الهستيريا » العام والذهول العقلى ، وتكرار لفظة « الله » إلى ما لا نهاية ، وتعود عادات تنقلب إلى طباع أصلية ، ككراهية لحم الخنزير ، والنبيذ ، والموسيقى ،

والجنون الروحاني ، والليمانيا ، والماليخوليا ، وترتيب ما يستتبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات « الخ .

أمثال هذا الكاتب يعتقدون أن المسلمين وحوش ضارية ، وحيوانات مفترسة كالفهد والضبع ، كما يقول المسيو « كيمون » : « وأن الواجب إبادة خمسهم » . كما يقول أيضا : « الحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح « محمد » في متحف « اللوفر » .. وهذا أيضا قوله : « .. وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشري .. أليس كذلك ؟ .. ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليوناً من المسلمين<sup>(١)</sup> ، وأن من الجائز أن يهب هؤلاء « المجانين » ، للدفاع عن أنفسهم ، والنود عن بيضة دينهم « الخ .. الخ ..! »

ما كاد يظهر هذا الكلام في صحيفة المؤيد ، حتى قام الأستاذ « الإمام الشيخ محمد عبده » لساعته بمجرداً قلمه ، وكتب نحو أربع مقالات هي أقوى ما قرأت دفاعاً عن الإسلام ، وإظهاراً للحقيقة مبادئه الخافية على أغلب الأوروبيين . وقد رد على « هانوتو » فيما أوردنا صائحا : « ما هذا ( التمدن الآري ) الذي كانت عليه أوربا عندما أنقص أطرافها المسلمون .. ؟ هل كانت تلك المدنية هي التسافك في الدماء ، وإشهار الحرب بين الدين والعلم ، وبين عبادة الله وبين الاعتراف بالعقل ؟ نعم هذا هو الذي كان معروفا عند الغربيين وقت ما ظهر الإسلام ! »

« ماذا حمل الإسلام إلى أوربا ؟ .. وما هي المدنية التي زحف عليها بها فردوها ؟ .. زحف عليهم بما أفاد من صنائع الفرس وسكان آسيا من الآريين .. زحف عليهم بعلوم أهل فارس ، والمصريين ، والرومانيين ،

---

(١) عدد المسلمين الحقيقي في العالم يبلغ نحو ٥٠٠ مليون .

واليونانيين ..! نظف جميع ذلك ، ونفاه من الأدران ، والأوساخ التى تراكمت عليه ، بأيدى الرؤساء فى الأمم الغربية لذلك التاريخ ، وذهب به أبلج ناصعا ، بهر به أعين أولئك الغافلين المتسكعين ، الذين كانوا فى ظلمات الجهالة لا يدرون أين يذهبون ؟..

إنى أكيل لمسيو « هانوتو » إجمالا بإجمال ، والتفصيل لا يجمله قومه ، وكثير من منصفيه لم يستطع إلا الاعتراف به .

إن أول شرارة ألهمت نفوس الغربيين ، فطارت بها إلى المدنية الحاضرة ، كانت تلك الشعلة الموقدة التى كان يسطع ضوءها من بلاد الأندلس على ما جاورها ، وعمل رجال الدين المسيحى على إطفائها عدة قرون ، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ..!

واليوم يرعى أهل أوربا ما نبت فى أرضهم ، بعدما سقيت بدماء أسلافهم المسفوكة بأيدى أهل دينهم ، فى سبيل مطاردة العلم والحرية وطوال المدنية الحاضرة « ..!

ثم رد « الإمام » فى موضع آخر :

« يجب على الباحث فى الإسلام أن يطلبه فى كتابه ، كما يجب عليه أن يطلب آثاره ، والإسلام إسلام ، والمسلمون مسلمون ، ولو استشم مسيو « كيمون » الذى استشهد « هانوتو » بكلامه ربح العلم — لما استفترغ ذلك القدر من فيه ، فسخافة رأيه وقلة أدبه تكفيه ..!

« من أين أتى المسلمون ، وكيف دخل عليهم فى عقائدهم بالتشبيه ؟ .. وفى عقائدهم بالتمويه ؟ .. ومن تعلموا الافتراس ؟ .. وعمن أخذوا الضراء بالشهوات ؟ .. أنا أعلم ذلك وأهل العلم يعلمون ، والله من ورائهم محيط ..!

« اتبع المسلمون ستن من قبلهم شبرا بشبر ، وذراعا بذراع ، حتى سقطوا فى مساقطهم ، وطارحوا الأوهام حتى انجثروا إلى مطارحهم ، وبادعوا بما كان لهم وما عليهم ..!



« حدثت في الدين بدع أكلت الفضائل ، وحصدت العقائد .. وترامت بالناس إلى حيث يصب عليهم ما استفرغه « كيمون » !.. »

« أما لو رجع المسلمون إلى كتابهم ، واسترجعوا باتباعه ما فقدوه من آدابهم ، - لسلمت نفوسهم من العيب ، وطلبوا من أسباب السعادة ما هداهم الله إليه في تنزيله على لسان نبيه ، ومهدده لهم سلفهم ، وخطه لهم أهل الصلاح منهم ، واستجمعت لهم القوة ودبت فيهم روح الفتوة ، وكان ما يلقاه « هانوتو » و « كيمون » من دين صحيح شرا عليهما مما يخشونه من دين شوهته البدع !.. »

يرى « كيمون » أن يخلو وجه الأرض من الإسلام والمسلمين ، ويستحسن رأيه « هانوتو » لولا ما يقف في طريق ذلك من كثرة عدد المسلمين ، وبسما اختار السياسة بلدهما أن يظهر ضعفهما ، ويعلنا حطل رأيهما وضعف حلمهما !.. »

أما فليعلم كل من يخادع نفسه بمثل حلمهما أن الإسلام إن طالت به غيبة ، فله أوبة ، وإن صدعته النوائب فله نوبة ، وقد يقول فيه المنتصفون من الإنكليز مثل « إسحق طليز » .. وهو قس شهير ورئيس في كنيسة : إنه يمتد في إفريقيا ، ومعه تسير الفضائل حيث سار . فالكرم والعفاف والنجدة من آثاره والشجاعة والإقدام من أنصاره !.. » .

\* \* \*

نعم لقد آن للغرب أن يحترم عقائد الشرق ، بل لقد آن للغرب أن يدرك أن « محمدا » والإسلام هما من منابع الفكر الحر ، وطفرة من طفرات البشرية المتحررة !.. والدليل على ذلك شخصية النبي ذاتها ، وغرضه في الدعوة إلى دين ، جوهره إقناع النفس بالحقيقة العليا ، ف « محمد » هو أول نبي مجّد البشرية بأن أعلن أنه بشر ، وأن دينه هو

دين الفطرة البشرية ، وقاوم أولئك السفهاء الذين كانوا يطلبون إلى الأنبياء أن يثبتوا نبوتهم بالمعجزات ، فأثموا فى الفكر البشرى ، قبل أن يأثموا فى حق الدين ..!

فالمعجزة — أى الإتيان بعمل خارق للمعتاد — لا تدل على شيء ولا تثبت نبوة ولا تدحضها ، فإن من الكهان أو بسطاء الناس من يملكون أحيانا تلك القوى الخارقة فى أجسامهم أو عقولهم أو أرواحهم ، دون أن يكونوا من أجل ذلك أنبياء .. إن « النبي » ليس فى حاجة إلى معجزة كى يكون نبيا .. إنما النبي من حُمِّل رسالة علوية لا ينصرف عن الحياة حتى يؤذيها .. ومن فضل « محمد » أنه لم يشأ أن يقنع الناس بغير ذلك ، فقد بلغهم رسالته .. واعتمد فى إثباتها على الملكات البشرية المجردة المتحررة ..!

فلقد جاء فى كتب السيرة : أن المسلمين عطشوا أثناء مسيرهم إلى « غزوة تبوك » ، فأمطرتهم السماء فقال بعضهم : إنها معجزة ، فصاح « محمد » من فوره : « إنما هى سحابة مارة .. وأن الشمس كسفت يوم مات ابنه « إبراهيم » ، فقال الناس : « إن هذا الكسوف معجزة » ، فصاح « محمد » : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته » .. هذا كلام « محمد » الذى قال الغرب إنه نبي كاذب !!.. فهل يمكن أن يكون هذا جواب نبي كاذب ؟؟ ..

إن « محمدا » قد فهم حقيقة النبوة ، ووعى معنى الحقيقة العليا ، وأدرك أن أكبر معجزة فى هذا الكون هى ألا يكون فى الكون معجزات ، وأن كل شيء يسير طبقا لنظام دقيق ، وإذا قيل نظام قيل قانون ، وإذا قيل قانون قيل عقل مدبر ، وهذا العقل واحد أحد ، تبدو سمته فى إدارة الأجسام غير المحدودة فى العظم ، كما تبدو فى إدارة الأجسام غير المحدودة فى الصغر ، ذات اليد العلوية وعين أثرها فى كل

شيء ، يد واحدة لاتتغير ، وقانون واحد لا يتغير !..  
 إن « محمدا » قد تأمل الطبيعة كثيرا أيام عزلته الطويلة فى « غار حراء » ، وفكر مليا فى نظامها العجيب فكشف عن بصيرته وبصره ، فامتلا قلبه باللّه الواحد ، كما اقتنع عقله بوجوده ، فجاء دينه دينا كاملا ، صادقا فى نظر القلب والعقل معا !..

ولئن كان على الأرض نبى حرص على أن يجاهر بمحبة العلم ومصادقته ، ولم يخش دينه العلم ، ولم يضطهد العلماء ، فهو « محمد الذى قال :

« فضل العلم خير من فضل العبادة » .. « اطلب العلم ولو فى الصين » .. وكثيرا من الأحاديث التى تشبى على العلم وتحض عليه .  
 ذلك أن مصدر إقناع العلم ، ومصدر إقناع « محمد » واحد : الكون وملاحظة ما فيه من إبداع ينم عن عقل مبدع هائل !..

فى كتاب حديث للعالم « أنشتين » فصل ذكر فيه رأيه فى الدين فقال : « إنه يعتقد ما يسميه : الديانة الكونية » ، تلك الديانة التى تملأ قلب كل عالم انقطع للتأمل « ذلك التناسق العجيب بين قوانين الطبيعة وما يخفى من عقل جبار ، لو اجتمعت كل أفكار البشر إلى جانبه ، - لما كونت غير شعاع ضئيل ، أقرب القول فيه أنه لا شيء ! .. » .

لا ريب عندى أن إحساس « أنشتين » نحو الكون واللّه ، هو عين إحساس « محمد » يوم كان يتحنث فى « غار حراء » ، قبل نزول الوحى !.. إنما الأنبياء والعلماء قلوب واعية تشعر بجلال اللّه ، ولا يمكن لنبي أن يكون نبيا إلا أن يشعر من تلقاء نفسه بعظمة الخليقة ، ويتحرق شوقا إلى معرفة سرها ، ولا يزال الشوق بقلبه حتى يكشف له الصانع الأعظم عن بعض نوره ، ويوحى إليه بنشر هذا النور على الإنسانية !..

إنى كلما تأملت شخصية « محمد » مجردة ، ثبت إيماني بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها فى الحقيقة وجود ، وأن الدين الحق

لا يتعارض والعلم والحق .. بل إن الدين والعلم شيء واحد ، كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه ، وكلاهما يعنى ويؤمن ويلهج بتناسق الوجود ، ووحدة قوانينه ، ودلالة وحدة الوجود على وحدة الخالق .. ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق شعر بغير ذلك .. إنما الفارق بين العلم والدين هو فى السبل التى يسلكها كل فى الدنو من الله ، ومن قال إن وسائل العلم ينبغى أن تماثل وسائل الفن أو وسائل الدين ؟؟ ..

إن الطرائق والسبل يجب أن تظل مختلفة مميزة لا يختلط بعضها ببعض ، إنما المصدر واحد دائما ، والغاية واحدة ، فما الدين والعلم والفن إلا خيوط ثلاثة كتب على بشرتنا القاصرة العمياء أن تمسك بها ، لتتهدى إلى ذلك النور الذى لا بداية له ولا نهاية : الله !

## نجم « أحمد » ..

وقف اليهودى على أحد آطام « يثرب » ناظرا إلى السماء ، يعلن إلى بنى قومه ميلاد النبى فى صبيحة مدوية :

- « طلع الليلة نجم أحمد » ..!

عجبا من العجب !.. أحقا لم ير ذلك اليهودى نجم « أحمد » قبل تلك الليلة ؟.. يخيل إلى أن الناس فى ذلك الزمان كانوا يسرون مطرقين كالعميان .. إن نجم « أحمد » طالع فى كل لحظة يشع نورا من بداية الكون ، لو أن للكون بداية ، إلى نهاية الزمن لو أن للزمن نهاية !.. نجم « أحمد » هو الحق ، والحق لا يبدأ ولا ينتهى .. ولا يظهر ولا يختفى .. إنه موجود !..

إذن ما الإسلام ؟.. وكيف ظهر الإسلام بظهور « محمد » ، والمسيحية بظهور « المسيح » ، واليهودية بظهور « موسى » ؟.. هنا لزم التفريق بين الحق وثوب الحق .. بين المعنى والأسلوب .. ما الإسلام إلا أسلوب من أساليب الحق ، ورداء من أرديته .. كذلك المسيحية ، وكذلك اليهودية وكذلك كل دين من تلك الأديان السماوية التى تتحد فى الجوهر وتختلف فى المظهر .. وهنا نستطيع أن نفاضل بين الأساليب ، وهنا فقط يجوز لنا أن نقاخر بالدين الأخير ، إذ جاء بأسلوب جامع مانع ، سهل ممتنع ، محكم الوضع ، مصقول التراكيب .. فالمفاضلة لا تكون فى الجوهر ، لأنه واحد أحد ، إنما المفاضلة فى الأثواب !..

وهنا يخطر على البال سؤال : هل تجوز المفاضلة بين الأثواب وهى

كلها من صنع الخالق المعصوم ، الذى لا يخطئ ، ولا أن يصحح ما سبق أن صدر عنه ؟.. أو أن جوهر الحق وحده من شأن الله ، أما الأسلوب الذى يعرض به على الناس فهو من شأن الرسل والأنبياء ؟..

قبل الإجابة عن هذا السؤال يجب النظر فى قضية أخرى : هل للطبع والمزاج والخلق الذى ركب عليه النبى أو الرسول أثر فى أسلوب رسالته ؟.. هل شخصية الرسول تطبع بخاتمها شكل الدين الذى يدعو إليه ؟.. وهل لظروف العيش التى نشأ عليها النبى دخل فى اتخاذ « القالب » الذى أفرغ فيه موضوع النبوة ؟..

إن أجب على كل هذا بالإيجاب فإن التبعة فى « أسلوب » الأديان تقع بلا مراء على كاهل الأنبياء . والنبى إذن مسئول عن الطريق الذى اتبعه بالإبانة عن « الحق » مسئولية ملقاة على « شخصيته » التى صبغت الشريعة بصبغتها . وعلى قدر المسئولية تكون العظمة ، وعلى قدر « الشخصية » ذات الوجود الفعلى تقاس العبقرية العظمى والمجد الأسمى !..

إن صح هذا الكلام فإنى أستطيع القول بأن النبى أو الرسول لا يصل إلى الحق متجردا عن شخصيته ، بل إنه لا يستطيع الدنو من الحق إلا عن طريق شخصيته ، كذلك فعل « النبى العربى » ، وكذلك فعل « المسيح » و « موسى » ، وكذلك كل « نبى » لا يستطيع أن يرى الحق إلا عن طريق إحساسه وطبعه وعقله .. وهى ملكات تختلف باختلاف الأشخاص !.. وهنا يبدو سر تباين الأساليب التى جرت عليها الأديان فى عرض جوهر الحق على الناس !..

ولعل « محمدا » صلى الله عليه وسلم هو أكثر الأنبياء حرصا على تنبيه الناس فى كل مناسبة إلى وجود شخصيته المستقلة ، فهو لا يفتّر يذكرهم أنه بشر خاضع للقوانين التى يخضع لها البشر ، وأنه لا يتصل

باللّٰه هذا الاتصال الخاص - الذى قصر على الرسل - إلا إذ يشاء اللّٰه ، وأنه فى كثير من حياته الخاصة أو العامة - حيث لا وحى يهديه السبيل - يتصرف كما يتصرف البشر .. وهكذا فعل فى معارك « بدر » و « أحد » و « الخندق » ، إذ كان يستمع إلى مشورة أصحاب الرأى من رجاله .. وهكذا فعل إذ لم يُخف ميله إلى الطيّب والنساء ، بل إنه أعلن ذلك الميل لعلمه أن الميول من مميزات الطبع التى ركبها الخالق فى البشر .. والنبي الحق أجل من أن يكتنم مزاجاً أو طبعاً ، وهو يعرف أن المزاج والطبع من مقومات الشخصية ..

وهنا تبدو حكمة الإسلام ظاهرة بين سائر الأديان ، فهو دين بسيط فطرى لم تدخله صناعة ، كل شىء فيه صادق خالص صاف ، ليس فيه إنكار لقوانين الطبيعة ، بل فيه مسايرة حكيمة ومصاحبة رشيدة لكل ما فرضه النظام العلوى على البشر ، من حيث تركيبهم المادى والمعنوى ، ذلك أن أسلوب « محمد » صلى اللّٰه عليه وسلم فى إدراك « الحق » كان أسلوباً مستقيماً ، فهو قد أدرك أن « معنى » الحق إنما هو « السبب » الذى يصدر عنه « الناموس الأكبر » ، وأن روح الوجود هو « النظام » ، إذ لا يتصور أن تكون « الفوضى » من عناصر الخليفة .. بل إن « الفوضى » إذا حلت فى نظام الوجود انقلبت نظاماً ، لأنه لا وجود بلا نظام ، بل إن كلمة « الفوضى » لا محل لها إلا فى آدمغة البشر ، يعبرون بها عن كل ما يحدث شيئاً من الخلل فى ترتيب حياتهم الضيقة المحدودة ..

أما الكون غير المتناهى فلا يعرف غير النظام ، الذى فرض على الإنسان والحيوان والجماد .. هل من سبيل إلى مخالفته ؟ .. إن مخالفة النظام الطبيعى للإنسان والأشياء مخالفة للّه ، وكل دين يقف فى وجه النظم الطبيعية لا يمكن أن يكون من عند اللّٰه ، لأن اللّٰه لا يناقض نفسه ..

كل هذا فهمه « محمد » صلى الله عليه وسلم ووعاه ببصيرته  
التورانية النافذة ، فجاء أسلوب الإسلام فى الإفصاح عن « الحق »  
واضحاً جلياً ، لا يأمر بالرهبة ، ولا بالقرار من الدنيا ، ولا بتعذيب  
الجسد من أجل الله ، لأن الله لا يأمر بتحطيم ما بناه ..!

إنما يريد الله أن تعيش الأحياء طبقاً لقوانين الحياة التى وضعها لها ،  
وأن تجاهد فى سبيل هذه الحياة ، وأن تتغلب على عناصر الفناء بما هياها  
لها من مناعة طبيعية ، أو مناعة اكتسابية : والدين هو أداة المناعة  
الاكتسابية لمكافحة عناصر الفناء المادية والأدبية ..!

فلئن كانت غاية الدين عند البشر توفير أسباب الحياة الصحيحة ،  
والدنيا الصحيحة خير تمهيد لآخرة صحيحة ، فإن الإسلام بلا مرء هو  
دين الصحة فى كل شيء ، فهو ذو صوت جهير فى الدعوة إلى صحة  
الجسم ، وصحة العقل ، وصحة العقيدة ..!

ولئن كان ماضى هذا الدين السليم مجيداً ، فإن مستقبله ولا ريب  
يسير بازدهار يعم الأرض ، لو استطعنا أن نجرده من سفسطة الجامدين ،  
وننقيه من ثرثرة المتنطعين ، وننقذه من احتكار الجهال المحترفين ، وأن  
نرده إلى مبادئه البسيطة الصافية التى لا تصدم تقدماً ، ولا تعارض التطور  
الطبيعى للأذهان والأشياء ..!

وقتئذ فقط نستطيع أن نغزو به كل النفوس وكل العقول ، فإن الدين  
« المثالى » هو الدين البسيط ، وهل أبسط من الإسلام شريعة ، وهى  
لا تعرف « رجال دين » ؟.. ولا تقر وجود أناس يجعلون من هداية  
الناس حرفة يأكلون منها ويكنزون ؟.. ومن « الدين » مهنة تدر الرزق  
وتعطى متاع « الدنيا » ؟.. إن أولئك الذين يجعلون « الدين » سلماً  
« للدنيا » - لا « الدنيا » سلماً « للدين » - قد طردهم الإسلام بعيداً  
عن حظيرته ، وجعل الدين سمحاً باسمه باسطة ذراعيه لكل الناس ،  
لا احتراف فيه ولا احتكار ..!



نعم ، إن حاجة البشر كافة قد أصبحت متجهة إلى هذا النмир العلوى  
الصارفى من المبادئ البسيطة المستقيمة ، التى لا شحداع فيها ولا تمويه ،  
ولا تناقض ولا تشويه ، ولا إخلال ولا تدخل فى قوانين الطبيعة الأساسية  
التى وضعها المبدع الأعظم !.. إذا تم ذلك للإسلام فى هذا العصر ،  
فلسوف يأتى يوم يقف فيه أهل الأرض أجمعون - من كل جنس ولون ،  
على آطام بلادهم - يصيحون فى كل حول صيحة ذلك اليهودى :  
- لقد طلع نجم « أحمد » ..

## سر العظمة

ينبغي لمن أراد أن يعلم سر عظمة « محمد » صلى الله عليه وسلم أن يتخيل رجلا وحيدا فقيرا تمكنت من قلبه عقيدة ، فنظر حوله فإذا الناس كلهم في جانب وإذا هو بمفرده في جانب .. هو وحده الذى يدين يدين جديد بينما الدنيا كلها : أهله وعشيرته وبلده وأمه ، والفرس والروم والهند والصين وكل شعوب الأرض : لا يرون ما يرى ، ولا يشعرون له بوجود .. هذا موقف النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا موقف العالم .

رجل عاطل من كل قوة وسلاح ، إلا مضاء العزيمة وصلابة الإيمان ، أمام عالم تدعمه قوة العدد والعدة ، وتوازره حرارة عقيدة قديمة شب عليها وورثها عن أسلافه ، واتخذت لها فى قرارة نفسه وأعماق تاريخه جذورا ليس من السهل على أول قادم اقتلاعها .. فالنبي هو ذلك القادم الذى يريد أن يقتلع تلك الجذور ، ويضع مكانها غرسا جديدا ، والعالم القديم هو ذلك السادن القوى لتلك الشجرة العتيقة ، يذود عنها ، وتأبى كرامته أن يفرط فى ورقة منها !.

إذن هنالك « مبارزة » بين فرد أعزل ، وبين عصر بأسره يزجر غضبا : عصر زاحر بأسلحته ورجاله ، وعقائده وفقهائه وعلمائه ومشاهيره ، وتقاليده وماضيه ، ومجده وتاريخه .. هذه المبارزة الهائلة العجيبة ، من يستطيع أن يقدم عليها غير نبي ؟ .. على أن المعجزة بعد ذلك ليست فى مجرد التحدى ، ورمى « القفاز » وارتفاع ذلك الصوت الضعيف على شاطئ ذلك البحر الطامى العجاج : « أن اترك أيها العالم

دينك القديم واتبعنى !.. » ذلك الصوت الذى لا جواب عليه إلا  
سخرية طويلة وقهقهة عريضة ..

وليست المعجزة كذلك فى مجرد شفاء الأصم وإبراء الأعمى ، وإنما  
المعجزة حقيقة هى أن يخرج مثل هذا الرجل الوحيد الأعزل من هذه  
المعركة المخيفة ظافرا منتصرا ، فإذا هذا العالم العتيد كله يمشو عند قدميه  
منكس الأسلحة ، وقد انقلبت سخريته خشوعا طويلا ، وقهقهته صلاة  
عميقة !..

كيف ربح هذا الرجل الموقعة ؟.. ما وسائله ؟.. هل كانت له خطط  
وأساليب وقوة من شخصه مكنته من النصر ؟ .. أو أن الله هو الذى  
نصره ، دون أن يكون لشخصية النبى دخل فى الانتصار ؟.. عقيدتى  
دائما أن شخصية النبى لها أثر كبير !..

وهنا معنى الاصطفاء ، فالله يختار من بين البشر عظيما له كاهل قوى  
يحتمل عبء الرسالة .. ويوحى إليه بالعقيدة ثم يتركه يجاهد فى سبيلها ،  
فالنبى ليس آلة تحركها يد الله فى كل خطوة ، إنما هو رسول عهد إليه  
تبليغ دين ، والعمل على إذاعته بين الناس بالوسائل التى يراها الرسول  
كفيلة ببلوغ الغاية ، فالله لا يريد نشر الأديان للبشر إلا بالوسائل البشرية  
.. إنه لا يتدخل بقدرته العلوية ، فيفرض الدين فرضا على الناس كما  
تفرض عليهم الزوابع والأمطار ، ولكنه يحب دائما أن يخلق بين  
« الدين » وبين « الناس » ، حتى يتغلغل الدين من تلقاء نفسه فى  
نفوسهم بجمال نوره وحده ، ولكن أعين الناس لا ترى كل الأحيان ،  
فهم يعيشون فى أعماق ماضيهم كالأسماك العمياء فى أغوار المحيطات !..  
هنا تبدأ متاعب النبى ، وهنا تظهر المعجزة الحقيقية ، وهى إبراء  
الأعمى ، لا أعمى واحدا ، ولكن ملايين العميان ، فهو الذى يفتح  
أبصارهم على نور طالما جحدوا وجوده : نور الدين الجديد الذى أتى  
به ..

وهنا ينبغي التساؤل : كيف استطاع النبي أن يُرى الناس ما يرى ،  
وأن يقتنعهم بما جاء به ؟ ..

الجواب بسيط :

حياة النبي وخلقُه !.. إن الناس لا تقتنع بالكلام وحده ، وإنما يؤثر  
فيهم الفعل والمثل .. إن الناس يوم أيقنوا أن « محمدا » لا يسعى إلى غنى  
ولا إلى ملك ، وأنه يريد أن يبقى فقيرا يشبع يوما ويجوع أياما ، وأن كل  
تلك المخاطر التي يتعرض لها في كل خطوة ، وأن كل ذلك الهوان الذي  
يناله من سفهاء القوم وأكابرهم ، وأن كل ذلك الجهاد الذي ملأ به  
حياته بأكملها : - إنما هو سبيل « العقيدة » التي يقول لهم عنها ، - منذ  
ذلك اليوم الذي اجتمع فيه كبراء أمته ، وعرضوا عليه ثروتهم ، ووعدوه  
أن ينصبوه عليهم ملكا ، على شرط أن يتركهم على دين آبائهم ، فرفض  
المال والمجد والسلطان ، وأبى إلا شيئا واحدا : « أن يؤمنوا معه  
بفكرته » ، - عند ذاك أدرك أولئك القوم جميعا أن الأمر جد لا هزل ،  
وأنهم أمام رجل لا ككل الرجال ، وأنه الآدمي الذي لا يفرقه في الحياة  
شيء ، ولا يعيش إلا من أجل « فكرة » لا تقوّم بمتاع من أمتعة هذه  
الدنيا الرخيصة ، و « جمال » يضحى في سبيله بخير ما في الحياة !..

أمام هذا الرجل أخذ الناس يفكرون مليا ، وثبت لمن كان قد ارتاب  
في أمره أن مثله لا يمكن على الأقل أن يكون أفاقا يعمل لمغنم ، إنما هو  
رجل صادق مخلص ، لا مطمع له من تلك المطامع التي يسعى إليها الناس  
في هذه الدار !.. عند ذاك بدأ كثير من الناس يجلسون إليه ويصغون إلى  
كلامه .. فوسيلة « النبي » الأولى وخطوته التي نزل بها الميدان هي  
إقناع هذا الخضم الصاحب من الخلق أنه مجرد عن الغايات الدنيوية ، وهنا  
كانت قوته .. فإن أمضى سلاح في يد رجل يريد أن يقارع البشر ، هو  
أن يواجه البشر بيد خالية من مطامع البشر ..

ولكن هذا لا يكفي ، فالناس قد تقتنع بأمانة النبي وقد تستمع إلى

ما يقول ، ولكنها لا تستطيع أن تنبذ في يوم وليلة كل ماضيها لتؤمن بهذا الكلام الجلدبد .. إن صدر الجماهير كصدر المحيط العميق ذى الماء الكثيف ، يدفع إلى سطحه كل جسم غريب ، ولا ينفذ إلى أعماقه إلا شيء ذو وزن ، بعد زمن وجهد .. وإن الناس لشديدة الحرص على ما تسميه كنوز تراثها وتقاليدها .. فما أدرهم أن هذا الكلام الجميل — الذى جاء به هذا النبى ، ذو الحديث الطلى — ليس إلا بضاعة زائفة ووهما خلافا ، لعب بلب هذا الرجل الأمين المسكين فريسة مرض ومس ؟.. ما هو الأجدر بهم عندئذ ؟.. يطلبون الطب حتى يبرأ ، أو يلقون بكنوزهم ويتبعون حلمه ومسه ؟.. لقد وضعت المسألة إذن وضعا آخر ، واتخذت الحرب ميدانا جديدا .. ماذا يصنع النبى ؟.. لا بد له من أن يبدد ضباب الشك المخيم على الأذهان ، حتى يصل إليها نور الدين .. هنا صفتان لازمتان : الصبر والمثابرة ، فإن العاقبة فى الحرب لمن صبر وصابر وثابر .. وإن أمامه لخصما جديدا ، وهو الشك الذى يقوم الآن فى رؤوس الناس ، كان حقيقة رجلا عظيما فليقتل هذا الشك بمفرده ، وما هو بشك رجل واحد ، إنما هو شك أمه طامية ..

ولقد جاهد الرسول فعلا فى كل لحظة من لحظات حياته ، إلى أن استطاع ذات يوم أن ينقل العقيدة التى فى قلبه حارة قوية ، إلى قلوب الناس جميعا ، وهنا كان النصر الأخير وتمت المعجزة ، وتمكن هذا الرجل لواحد أن يضع العالم فى قبضته ويخضعه لفكرته ، ويطبعه إلى أبد الآبدين بخاتمته ، ويدخل إلى صدره أشعة نور جديد ..!

## المرأة فى شباب النبى

لم يرو لنا التاريخ أن « النبى العربى » عرف امرأة ، أو تحرك قلبه لامرأة ، قبل « خديجة » ، فلقد كانت حياته ، حتى الخامسة والعشرين ، حياة الشاب الهادئ البعيد عن النساء ، العاكف على عمله ، يرمى الغنم فى القلاة ويلجأ إلى التأمل العميق ، فلم يكن للهو والمرأة حتى ذلك الوقت مكان من اهتمامه أو تفكيره .. كل ما ورد مع ذلك من أخبار هو الشباب أنه قال ذات ليلة لفتى من « قريش » كان معه بأعلى « مكة » يريعيان غنم أهلهما : « أبصر لى غنى هذه الليلة ، حتى أسمر بمكة كما يسمر الفتيان !.. » ، ثم خرج ، فلما جاء أدنى دار من دور « مكة » سمع غناء وصوت دفوف ومزامير ، فجلس يلهو بذلك الصوت حتى غلبه النعاس فنام مكانه ولم يوقظه إلا مس الشمس ، ورجع !.. فسأله صاحبه : « ما فعلت ؟ .. » فأخبره بما كان !.. وكان هذا شأنه فى كل ليلة من مثل هذه الليالى !..

كانت العفة المطلقة إذن هى صفته الغالبة وتمتد ، وكان الزهد والحلم والصبر والتواضع مما ميزه عن بقية الشباب ، ومما جعل قومه يسمونه « الأمين » ..

ما الذى كان يشغل رأس الشاب « محمد » فى تلك السن ، ما دام اللهو والمرأة لا محل لهما عنده ؟.. أترأه كان يحس فى قرارة نفسه بمصيره العظيم ؟.. نعم إن هذا الفتى قد شب فى عصر شاعت فى جوه كهرباء غريبة ، مشحونة بالأساطير والتنبؤات ، عن قرب ظهور نبى من العرب

اسمه « محمد » وكان مصدر هذا النبا اليهود - أهل الكتاب - والكهان ، حتى لقد سارع من بلغه ذلك من العرب ، فسمى ولده « محمدا » طمعا فى النبوة .. فهذا الجو الذى نشأ فيه الصبى « محمد » والاسم الذى حمه ، والإشاعات التى أحاطت به عن ذلك النبی الموعود ، - كل هذا كان كافيا من غير شك فى أن يبعثه على التفكير فى هذا الأمر منذ الصغر ، ولعله طمع - هو أيضا - فى أن يكون هو النبی الجديد .. ولعل هذه الفكرة تملكته كيانه وطغت على كل شبابه ، فلم تتسع حياته فى ذلك الوقت لشيء آخر ..

لقد كان هذا غالبا شأن أغلب أولئك الذين انتظرتهم أقدار عظام ، وتملكتهم منذ شبابهم مثل عليا وأحلام ، عمرت كل أعوام شبابهم ، وحلت فيها محل اللهو والمرح .. إن كل شاب يعيش مع شبح امرأة جميلة ، إلا الشاب الموعود برسالة عظمى ، فهو يعيش دائما مع شبح المجد المنتظر ..

لعل هذا يفسر لنا بعض الشيء حياة الفتى « محمد » ، حتى الوقت الذى لقى فيه أول امرأة أحبها : « خديجة » !

وأنا لو تأملنا الأمر مليا لتبين لنا أنه لم يكن البادئ بالحب .. كل شيء يدل على أن الزواج لم يخطر له على بال ، والزوجة والمرأة آخر ما كان يفكر فيه وقتئذ ، فلقد كان يسير فى طريق تأملاته الداخلية وأحلامه العليا ، وكأنه لا يمشى على هذه الأرض ، إلى أن لحظته « خديجة » ذات يوم ، ولمست كتفه فأفاق قليلا ، ورفع عينيه إليها .. نعم .. إنها هى التى كانت ترقبه منذ زمن .. وإن لشعورها نحوه جذورا ممتدة فى أغوار قلبها ، امتداد عرق الذهب فى المنحجم العميق !

ما مبدأ هذا الشعور ؟ .. لعله ذلك اليوم الذى احتفلت فيه نساء قريش بعيد لهن ، وكانت « خديجة » بينهن ، عند وثن من الأوثان ، فبرز لهن أحد اليهود مناديا بأعلى صوته :

« يا نساء تيماء !.. إنه سيكون فى بلدكن نبي يقال له « محمد »  
فأما امرأة استطاعت أن تكون له زوجا فلتفعل !.. » .

فقدفته النساء بالحجارة ، وقبحنه ، وأغلظن له ، إلا « خديجة » فإنها  
أطرقت ، وكان شيئا وقع فى نفسها من كلامه ، ثم حدث بعد ذلك أن  
« خديجة » - وقد كانت ذات مال كثير ، وتجارة تبعث بها إلى الشام ،  
وتستأجر من أجلها الرجال - أرسلت الشاب « محمد » فى تجارتها  
وضاعفت له الأجر ، فعاد راجعا ضعفا ما كانت تربح التجارة على يد  
غيره ، لأمانته واجتهاده .. وقص عليها عندئذ غلامها « ميسرة » - وقد  
رافق « محمدا » فى رحلته - ما رآه من الشاب المستقيم الأمين !..

ولعله أخبرها فيما أخبر أن أحد الرهبان قابله ، وأنهما تذاكرا مليا فى  
أمر النبي الموعود المسمى « محمد » !.. كل هذا مع ما تشبعت به  
الأذهان من أساطير النبوة المنتظرة قد ألقى فى روع « خديجة » أنها أمام  
شاب لا يبعد أن يكون هو النبي الموعود !.. فإذا أضفنا إلى كل هذا أن  
« محمدا » كان فتى فى الخامسة والعشرين كريم الخلق جميل المنظر ..  
وأن « خديجة » كانت امرأة فى الأربعين أدر كنا أن مثلها كان لابد له  
أن يحب مثله !.. وهل يمكن أن نسمى هذا الشعور باسم آخر غير  
« الحب » .. ذلك الذى يدفع امرأة ذات شرف وثروة أن تبدأ هى  
الخطوة الأولى نحو فتى فقير يتيم ؟.. هى التى قد تقدم إليها أكرم رجال  
قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا ، طلبوها وبذلوا الأموال ، فلم  
تلتفت إليهم وأرسلت تابعتها « نفيسة » فى خفاء إلى الشاب « محمد »  
تعرض عليه يدها !..

منيع الحب إذن كان قلب « خديجة » !.. ولقد كان هذا الحب  
ساميا قويا عظيما فاستطاع أن يفتح قلب « محمد » ، وأن يملأه كل تلك  
الأعوام التى عاشتها « خديجة » ، بل إن هذا الحب لم ينطفئ بموت  
« خديجة » ، ولقد ظل مكانها من قلبه قائما دائما ، لم تستطع قط امرأة



أن تزاحمها فيه !.. هذا هو حب « محمد » الأول !.. وتلك ناحية من  
نواحي الفضل المجهولة لم يذكرها الناس كثيرا لـ « خديجة » بما هي أهله  
من التكريم والتمجيد : إنها أول امرأة علمت محمدا « الحب » !..

## جواهر الدين

كان « عمر بن الخطاب » شديدا في مراعاة أحكام الله ، حريصا على إقرار الأمن والأمانة بين الناس ، فبينما هو يسير يوما في أحد الأسواق إذ به يرى رجلا يلتقط من الأرض لوزة ، ويرفعها في يده ، ويجرى بها في الطريق صائحا :

— من ضاعت له لوزة ١٢..

فما كان من عمر إلا أن انتهره قائلا :

— كُلْهَا يا صاحب الورع الكاذب!..

\* \* \*

في الناس أيضا من يلتقط لفظة في كلام كاتب ، فيرفعها منعزلة عن نواياه ، مستقلة عن مراميه ، ليندب ويولول صائحا :

— « ضاع الدين! .. ضاع الدين! .. » .

مثل هذا المتظاهر بالورع لا يفهم من الدين إلا ألفاظا ، ولا يدرك بأفقه المحدود أن الدين لا يخشى عليه من لفظة ، كما أن الأمانة لا يخشى عليها من لوزة! .. وأن الكتاب والشعراء في كل العصور ينتفعون بكل ما في الكتب القديمة من صور ، دون أن يرتاب في عقائدهم القارئ الحصيف! .. .

ومن ذا الذي يستطيع أن يرمى بالوثنية شاعرا ، يناجي آلهة الشعر ،

أو يرى فى هتافه - ياله الحرب ، أو إله البحر - شركا بالله الواحد  
الأحد الذى لا شريك له .. وإنما هى صور من الآداب القديمة يستعيرها  
الشعراء والكتاب فى أساليبهم ، دون أن يخطر فى بالهم أن من الناس من  
يضيق عقله فيخلط بين الصورة الشعرية والعقيدة الدينية !

\* \* \*

ولكنى مع ذلك أحيى كل من يعنيه جوهر الدين ، وأحث الناس على  
أن يفخروا بالدين ، فإنى دائما أومن أن الدين هو الذى رفع الإنسان  
فوق مرتبة الكائنات جميعا !

فالدكاء ليس بالمزية التى اختص بها الإنسان وحده ، والنظام الإدارى  
المحكم أو الإقتصادى الكامل ليس وقفا على المجتمع البشرى ، فإن مجتمع  
النحل لأدق منا نظاما فى الإدارة ، وإن مجتمع النمل لأتم منا إحكاما فى  
الاقتصاد .. ولكن الذى يميزنا - نحن معاشر البشر - هو « الإيمان » ..  
ما من مجتمع غير مجتمعنا البشرى اهتدى إلى ذلك الإيمان الدينى ، لأن  
حياة الروح لم يلج بعد بابها غير الإنسان ..

إذا أهدرت دينك أيها الإنسان فاعلم أنك قد أهدرت آدميتك ، وإذا  
خلعت رداءك الدينى فقد خلعت رداءك البشرى ، وانقلبت دابة تسعى  
إلى رزقها فى الأرض ، ولا تقوى على التطلع إلى السماء .. الدين هو  
الذى يرفع بصرك إلى أعلى أيها الإنسان .. إلى أعلى من أقدامك  
وأرضك وطعامك وشراك .. وإذا استطعت أن ترفع بصرك إلى أعلى  
من فمك فأنت أرقى من الحيوان .. وإذا ارتفعت إلى حيث تدرك وجود  
« الله » فأنت سيد الكائنات ..

\* \* \*

كل شيء قد يعرفه الحيوان إلا « الدين » .. لو عرفت جماعة من  
الحيوان يوما معنى الدين لأصبحت في الحال بشرا ساجدين .. ما من  
شيء نفخر به نحن الآدميين إلا أننا نسجد من أجل فكرة عليا ! ..  
ونتحمس من أجل معنى مقدس .. وتعرف قلوبنا ما هو  
« الإيمان » ..!!

# فى الأدب والفن والثقافة

## الخلق

لا ريب أن العقلية المصرية قد تغيرت اليوم بعض التغير !.. ولكن كيف تغيرت ؟ هذا هو موضوع الكلام . إن شئون الفكر في « مصر » حتى قبيل ظهور الجيل الموجود كانت مقصورة على المحاكاة والتقليد ، محاكاة التفكير العربى وتقليده ! .. كنا فى شبه إغماء ، لا شعور لنا بالذات .. لا نرى أنفسنا ، ولكن نرى العرب الغابرين !.. لأنحس بوجودنا .. ولكن نحس بوجودهم هم !.. لم تكن كلمة « أنا » معروفة للعقل المصرى ، ولم تكن فكرة الشخصية المصرية قد ولدت بعد !..

وجاء الجيل الجديد فإذا هو أمام روح جديد ، وأمام عمل جديد ، لم يعد الأدب مجرد تقليد أو مجرد استمرار للأدب العربى القديم فى روحه وشكله ، وإنما هو إبداع وخلق لم يعرفهما السلف ، وبدت الذاتية المصرية واضحة ، لا فى روح الكتابة وحدها ، بل فى الأسلوب واللغة أيضا .. لقد بدأنا نعى ونحس وجودنا ..

وأول مظاهر الوعى شخصية الأسلوب ، وإستقلال طريقة التعبير ، وما يتبعها من ألفاظ وأخيلة .. كل هذا أصبح اليوم جليا معروفا ، ولم أكتب هذه الصفحات من أجله ، فحاجة مصر إلى الاستقلال الفكرى أمر لا نزاع اليوم فيه ولقد مضى الكلام فى هذا ، إنما الأمر الذى يحتاج إلى كلام هو معرفة مميزات الفكر المصرى : معرفة أنفسنا حتى تتبين لجيلنا مهمته .. لقد فهمنا مميزات الأسلوب والشكل ، وما فهمنا

بعد جيدا مميزات النفس والروح ..!

ما هي مميزات العقلية المصرية فى الماضى والحاضر والمستقبل ؟..  
وما روح مصر ؟.. ما مصر ؟.. إن اختلاطنا بالروح العربية هذا  
الاختلاط كاد ينسينا أن لنا روحا خاصة ، تنبض نبضات ضعيفة تحت  
ثقل تلك الروح الأخرى الغالبة ، وإن أول واجب علينا هو استخراج  
أحد العنصرين من الآخر حتى إذا ما تم تمييز الروحين — إحداهما من  
الأخرى — كان لنا أن نأخذ أحسن ما عندهما ، وكان لنا أن نقول  
للناس : « هانحن أولاء قد أنرنا لكم الطريق إلى أنفسكم فسيروا » ..!  
لابد لنا إذن أن نعرف من المصرى ؟ ومن العربى ؟.. هذا السؤال  
ألقيته على نفسى منذ سنوات معدودة ، إذ كنت أطيل النظر فى الفنين  
المصرى والإغريقى .. وأذكر أنى أثرت هذه المسألة أمام بعض الباحثين ،  
وأذكر أنى لخصت الفرق بين العقليتين بمثل واحد فى فن النحت سائلا :  
ما بال تمثاليل الآدميين عند المصريين مستورة الأجساد ، وعند الإغريق  
عارية الأجساد ؟.. هذه الملاحظة الصغيرة تطوى تحتها الفرق كله ، كل  
شئ فى مصر مستتر خفى عند المصريين ، عار جلى عند الإغريق !..  
نعم كل شئ فى مصر خفى ، كالروح ، وكل شئ عند الإغريق  
جلى ، كالمنطق !.. فى مصر الروح والنفس ، وفى اليونان المادة  
والعقل !.. نظرة أخرى فى أسلوب النحت تدعم هذا الكلام .. إن المثال  
المصرى لا يعنيه جمال الجسد ولا جمال الطبيعة من حيث هى شكل  
ظاهر ، إنما تعنيه الفكرة . إنه يستنطق الحجر كلاما وأفكارا وعقائد ..  
على أنه يشعر مع ذلك بالتناسق الداخلى !.. يشعر بالقوانين المستترة التى  
تسيطر على الأشكال !.. يشعر بالهندسة غير المنظورة التى تربط كل  
شئ بكل شئ !.. يشعر بالكل فى الجزء وبالجزء فى الكل ، وتلك  
أولى علامات الوعى فى الخلق والبناء !..

هذا كله يحسه الفنان المصرى ، لأن له بصيرة غريزية أو مدربة تنفذ

إلى ما وراء الأشكال الظاهرة ، لتحيط بقوانينها المستترة .. فنان عجيب لا يصرفه الجمال الظاهر للأشياء عن الجمال الباطن .. إنه يريد أن يصور روح الأشكال لا أجسامها ، وما روح الشكل إلا القانون العام الأعلى المستتر خلفه .. إن ولع المصريين بالقوانين الخفية لشيء يبلغ حد المرض ، مرض إلهي ، لو أن الآلهة تمرض لكان هذا مرضها : فرط البحث عن القانون ..!

كل شيء في مصر إلهي ، لأن « مصر » التي منحها الطبيعة الخير واليسر وسهولة العيش وكفتها مشقة الجهاد في سبيل المادة استلقت منذ الأزل تتأمل ما وراء المادة .. حظها في هذا حظ « الهند » : أمة كثيرة الخير دائية القطوف ، لا حاجة بها إلى الكفاح ، ولا عمل لها إلا استمرار ترف الحكمة العليا .. انقطعت هي أيضا من قديم تحت أشجارها المقدسة تبحث عما وراء الحياة .

مصر والهند حضارتان قامتتا على الروح ، لأنهما قد شبعتا من المادة ، والإغريق على النقيض ، أمة لم تشبع من المادة .. أمة نشات ، في العسر والفاقة .. أرضها لا تدر من الخير إلا قليلا .. كان لزاما عليها الكفاح في سبيل العيش ، وكان حتما عليها الجري وراء المادة .. حرب تلو حرب ، وفتح بعد الفتح ، وضرب في مشارق الأرض ومغاربها ، على هذا النحو لم يكن للإغريق ذلك الضمير المطمئن ، ولا ذلك الإيمان بالأرض الذي يوحى بالتفكير فيما وراء الأرض والحياة .. إن عاطفة الاستقرار والإيمان عند المصريين ممزوجة بالدم ، لأن المصريين نزلوا من بطن الأزل إلى أرض مصر ، لا يعرف لهم نسب آخر على وجه التحقيق ، واختلاف العلماء في أمر أصلهم لم ينته بعد ، وفي كل يوم يبدو دليل على أن العسرة والاستقرار وجددا في مصر قبل التاريخ المعروف . ولقد ظلت الحضارة المصرية في التاريخ تامة كاملة دفعة واحدة كما يظهر غرض الشمس في الأفق عند الشروق !.. ولقد قال



« سولون » : إن الكهنة المصريين يعنون العنابة كلها بذكريات تلك القارة العظيمة ذات المدينة الزاهرة التي ابتلعها المحيط قبل مبدأ التاريخ : « قارة الأتلاتنيد » أترى كانت الحضارة المصرية استمرارا لتلك المدنية المندثرة ؟.. لم يقم دليل على كل فرض . « مصر » أمة مستقرة مؤمنة ، زهدها عمرها الطويل ، وخيرها الكثير ، في مبادئ الحياة ، وهذا الزهد والتفكير فيما وراء الحياة ظهر أثرهما على وجه الفن المصرى ، ولا شىء يدل على عواطف أمة وعلى عقليتها مثل فنها ، فلقد طالع العالم الحديث على وجه الفن المصرى الصرامة والجد والعمق ، ولا أكاد أفتح كتابا فى الفن المصرى حتى أجد كلمة « الصرامة » نعتا من نعوت هذا الفن ، ولا أفتح كتابا فى الفن الإغريقى إلا وجدت كلمة « الحياة » وكلمة « الإنسانية » من نعوت هذا الفن !.. نعم الحياة هى كل شىء عند الإغريق ، قد يدفعهم حب البحث إلى لمس حدود الحياة الأخرى ، فيلمسونها بالعقل والمنطق لا بالقلب والروح !. فلسفتهم فلسفة العقل والمنطق والحياة !.. فلسفة الحركة لا فلسفة السكون !.

عند « مصر » و « الهند » السكون ، وعند « الإغريق » الحركة . قرأت حديثا « المقبرة البحرية » لـ « بول فاليرى » ، وهو المتصل اتصالا مباشرا بالفلسفة اليونانية ، فإذا هو يشير فى قصيدة إلى الحركة والسكون ، وإذا الحركة عنده من خصائص العدم الخالد غير الواعى ، وهو يعارض « زينون » الألياتى فى إنكاره للحركة ، ويتغنى فى آخر القصيدة بانتصار الحركة ، أى الحياة على قصرها وفنائها ، فهو فى ذلك لم يخرج عن يونانيته المكتسبة ، ولم يفهم فى رأى روح « مصر » و « الهند » !.. ولم يشرف على ذلك العالم الخالد غير الواعى ، فإن دون هذا الإشراف والاتصال التجرد التام من كل عقل آدمى أو منطق بشرى !.. هذه هى الصعوبة فى فهم مصر ، و « الهند » ، وهذا ما جعل الفن المصرى سرا مغلتا حتى أوائل هذا القرن ، وما صرف

الناس إلى دراسة اليونان وحدها ، فهي واضحة المعنى يسيرة المنال لأنها  
لزمتم شاطئ الحياة ..!

حظ « الإغريق » فى كل هذا حظ العرب أيضا ، أمة نشأت فى فقر  
لم تعرفه أمة غيرها .. صحراء فقراء .. قليل من الماء يثير الحرب والدماء  
.. جهاد وكفاح لا ينقطعان فى سبيل العيش والحياة .. أمة لاقت  
الحرمان وجها لوجه ، وما عرفت طيب الثمار وجرى الأنهار ورغد  
العيش ومعنى اللذة إلا فى السر والأخبار .. كان حتما عليها ألا تحس  
المثل لأعلى فى غير الحياة الهنيئة ، والجنات الخضراء ، والماء الجارى ،  
وألوان النعيم واللذائذ التى لا تنضب ولا تنتهى ..! أمة بأسرها حلمت  
بلذة الحياة ولذة الشبع ، فأعطاهما ربها اللذة ومنحها الشبع ..! كل  
تفكير العرب وكل فن العرب فى لذة الحس والمادة ، لذة سريعة منهومة  
مختطفة اختطافا ، لأن كل شيء عند العرب سرعة ونهب واختطاف ..!

عند الإغريق الحركة ، أى الحياة ، وعند العرب السرعة ، اللذة .. لم  
تفتح أمة العالم بأسرع مما فعلت العرب ، ومرو العرب بمحضارات مختلفة ،  
فاختطفوا من أطايبها اختطافا ركضا على ظهور الجياد .. كل شيء قد  
يحسونه إلا عاطفة الاستقرار .. وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم أرض  
ولا ماض ولا عمران ؟ .. دولة أنشأتها الظروف ولم تنشئها الأرض ،  
وحيث لا أرض فلا استقرار ، وحيث لا استقرار فلا تأمل ، وحيث  
لا تأمل فلا « ميتولوجيا » ولا خيال واسعا ولا تفكير عميقا ،  
ولا إحساس بالبناء ..! لهذا السبب لم تعرف العرب البناء ، سواء فى  
العمارة أو فى الأدب أو فى النقد .. الأسلوب العربى فى العمارة من  
أوهى أساليب العمارة التى عرفها تاريخ الفن ، وإذا عاش لليوم فإنما  
يعيش بالزخرف .. فن الزخرف العربى هو الذى أنقذ العمارة العربية ..  
إن العمارة العربية – إلا فى مصر – ما هى فى رأى سوى زخرف  
لا بناء ، فلا أعمدة هائلة ، ولا جبهة عريضة ، ولا وقفة ولا بساطة

عظيمة ، ولا روعة عميقة ، وإنما هي وشى كثير وجمال كجمال الحلى المرصع يهر البصر ، ولا فكر خلفه ..

أما فن الزخرف العربى فهو فى الحق أجمل وأعجب فن للزخرف خلده التاريخ .. والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف . كل شئ عند العرب زخرف .. الأدب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، إنما هو وشى مرصع جميل يلذ الحس : « سيفساء » اللفظ والمعنى ، و « أرابسك » العبارات والجمل .. كل مقامة للحريرى ، كأنها باب الجامع المؤيد : تقطيع هندسى بديع ، وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الإنسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب .. كذلك الغناء العربى « أرابسك » صوتى ، فلا مجموعة أصوات منسقة البناء كما فى « الديزأب » أو « الأوركسترا » الإغريقية أو كما فى « الكورس » الجنائزى المصرى ، ولا حتى مجرد صوت ينطلق حراً بسيطاً مستقيماً .. وإنما هو صوت محمل بألوان المحسنات من تعاريج وانحناءات والتواءات وتقاسيم ، كأنها « ستالا كيتات » غرناطية ، لا يكاد يسمعه « القاضى الفاضل » حتى يستخفه الطرب ويضع نعله فوق رأسه . كان هذا فى العهد الأول للموسيقى ، إذ كانت عند جميع الشعوب بسيطة عارية ، تخرج من القلب تعبيراً عما فى القلب ، أو رمزا لفكرة من الأفكار .. والموسيقى كالعماراة من الفنون الرمزية لا الفنون الشكلية ، ولكن العرب لا يحبون الرموز ، ولا طاقة لهم بالفن الرمزى ، ولا يريدون إلا التعبير المباشر بغير رموز إلا الصلة المباشرة بالحس ، فجعلوا من الموسيقى لذة للأذن لا أكثر ولا أقل ، كما جعلوا العماراة لذة للعين لا أكثر ولا أقل . ولقد حاول « الفارابى » — فيما أذكر — التقريب بين الموسيقى العربية والموسيقى الإغريقية ، وكان لا بد من الإخفاق لأسباب قد أذكرها بعد ..

كذلك التصوير العربى على جماله ودقته ليس إلا مجرد تزيين وزخرف

للكتب والمخطوطات ، ولم يؤد لغير تلك الغاية « المنياتور الفارسي .. قد يكون للدين دخل في تأخر النحت والتصوير عند العرب . غير أنى أعتقد فى براءة الدين ، فإن العرب كانوا دائما ضد الدين كلما وقف الدين دون رغبات طبائعهم ، لقد حرم الدين الشراب فأحلوا هم الشراب فى قصور الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر فى أدب أمة بأحسن مما وصفت فى الأدب العربى ١.. لا شىء فى الأرض ولا فى السماء يستطيع أن يحول بينهم وبين اللذة ..

أما النحت أو التصوير الكبير فليس فى طبيعتهم ، لأن تلك الفنون تتطلب فيمن يزاولها إحساسا عميقا بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل ، والوعى الداخلى للكل فى الجزء ، وللجزء فى الكل ، وليس هذا عند العرب ، فهم لا يبرون إلا الجزء المنفصل ، وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد .. لا حاجة لهم بالبناء الكامل المتسق فى الأدب ، لأنهم لا يحتاجون إلا للذة الجزء واللحظة .. قليل من الكتب العربية فى الأدب يقوم على موضوع واحد متصل ، إنما أكثر الكتب « كشاكيل » فى شتى الموضوعات ، تأخذ من كل شىء بطرف سريع : من حكمة وأخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طيبة ولذة جسدية ، وحتى إذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل أدب قائم على البناء ، فلم ينقلوا ملحمة واحدة ، ولا « تراجيديا » واحدة ، ولا قصة واحدة . العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية فى العمل الفنى الكبير ، لأنها تتعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد أو حكمة واحدة أو لفظ واحد أو نغم أو زخرف لتمتلى طربا وإعجابا ، - لهذا كله قصر العرب وظيفه الفن على ما نرى من الزرف الدنيوى وإشباع لذات الحس ، حتى الحكمة وشعراء الحكمة كانوا يؤدون عين الوظيفة : إشباع لذة المنطق ، والمنطق جمال دنيوى .. ولا أستغرب غضب « نيتشه » على « إيروبيد » لإسرافه فى هذا المنطق على حساب الموسيقى !..

من المستحيل إذن أن نرى في الحضارة العربية كلها أى ميل لشتون الروح والفكر بالمعنى الذى تفهمه « مصر » و « الهند » من كلمتى الروح والفكر !.. إن العرب أمة عجيبة ، تحقق حلمها فى هذه الحياة ، فتشبت به تشبت المحروم ، وأبت إلا أن تروى ظمأها من الحياة وأن تعب من لذاتها عبا قبل أن يزول الحلم ويعود شقاء الصحراء ، وقد كان .. إن موضع الحضارة العربية من « سانسفونية » البشرية كموضع الـ « سكيززو » من سانسفونية « بيتهوفن » نغم سريع مفرح لذيد !!.

لا ريب عندى أن مصر والعرب طرفا نقيض : مصر هى الروح ، هى السكون ، هى الاستقرار ، هى البناء .. والعرب هى المادة ، هى السرعة ، هى الظعن ، هى الزخرف ..

مقابلة عجيبة ، مصر والعرب وجهها الدرهم ، وعنصرها الوجود .. أى أدب عظيم يخرج من هذا التلقيح !.. إنى أومن بما أقول ، وأتمنى للأدب المصرى الحديث هذا المصير : زواج الروح بالمادة ، والسكون بالحركة ، والاستقرار بالقلق ، والبناء بالزخرف .. تلك ينابيع فكر كامل ، ومدنية متزنة لم تعرف البشرية لها من نظير .. إن أكثر المدينيات يميل : إما إلى ناحية الروح ، وإما إلى ناحية المادة ..

حضارة واحدة قيل إنها استطاعت فى وقت ما هذا المزج بين الروح والمادة ، وهذا الاتزان بين عنصرى الوجود ، تلك حضارة « الإغريق » .. نعم أعود فأرد إلى أمة « الإغريق » اعتبارها ، وأعترف أنى عندما وضعتها فى كفة المادة كنت متأثرا بعض الشيء بكلام « تين » ، و « تين » عقل خلاص ، لكنه عقل ، والعقل وحده بعيد عن فهم الجانِب الروحى للمدينيات .. ما هدانى إلى الحق إلا القلب .. إلا طول تأملى فى جبهة « الباريتيون » .. من دماغ ذلك الجواد الذى خلقته يد « فيدياس » ، فوق هذا المعبد خرجت أفكار توحى إلى بأن أولئك القوم كانوا أعمق مما نظن ، وكانوا يشعرون بشيء آخر غير مجرد

المادة الظاهرة ، وما لبثت « ميلبومين » أن جاءتني بيئنة أخرى ، وتأملت قليلا فرأيت القناع قد كشف ، وذكرت من فوري أن أصل الإغريق جنسان مختلفان : « اليونانيون » القادمون من آسيا ، المعروفون عند الهنود باسم « اليافاناس » أى عباد « يونا » ، و « الدريون » الحريون البرابرة الهابطون من الشمال ، وإله اليونانيين هو « ديونيزوس » وإله الدوريين هو « أبولون » .. وها هنا تفسير الإغريق . فى هذا الصراع بين « ديونيزوس » رمز الروح والقوى الخفية الشائعة والنشوة .. وبين « أبولون » رمز الفردية والشخصية المفروزة والوعى ، صراع بين الروح والمادة ، وبين القلب والعقل ، وبين النشوة والوعى « ديونيزوس » إله آسيوى فيما يخيل إلى جلب من « الهند » بلا مرء ، فغدا فى اليونان يتبوع الموسيقى ، لهذا السبب قدرت إخفاق « الفارابى » فإن الموسيقى العربية وليدة عقل واع ، لأن العرب أمة الفردية والوعى والمنطق العقلى والظاهر المحسوس .. إن العرب من عباد « أبولون » وهم لا يشعرون ، إن العرب لا يمكن أن يفهموا « ديونيزوس » ، تلك النشوة الدينية الجارفة التى تخرج صاحبها من سيطرة العقل والوعى ، كى تصله مباشرة بالطبيعة .. إن أغاني عباد « باكوس » الحماسية فى الغابات ، ومزامير الـ « ساتير » ، - لشيء بعيد إدراكه على العقلية الفردية ، شعور الإنسان فى لحظة أنه انقلب مخلوقا له جسم جواد ورأس رجل ، أو رأس رجل أو رجل ماعز .. هذا الاتحاد بين الحيوان والإنسان إحساس ليس له متيل إلا عند المصريين القدماء .. هذا التلاقى بين الأنواع وبين القوى فى مخلوق واحد هو عند الأولين بقية ذكرى تلك المخلوقات الإلهية البائدة التى كانت تحكم الأرض قبل ظهور الإنسان .. مخلوقات لا هى من الإناث ولا هى من الذكور ، لا هى من الحيوان ولا هى من الإنسان ، لأن الأجناس والفصائل لم تكن قد فرزت . كذلك « الساتير » فى « المينولوجيا » الإغريقية رمز للإنسان الأول ، الإنسان الدانى من

الحيوان ، القريب من الآلهة ، يدنو من الحيوان بغريزته الجنسية المتبقية  
 ينبوع القوة الخالقة عند الإغريق والهنود ، كما هى عند المصريين ،  
 ويقرب من الآلهة بغريزته الروحية المتصلة بقوى الطبيعة الإلهية ، فهو  
 ما زال يحتفظ بقبس من الحكمة العليا بدون أن يشعر ، وبيريق من ذلك  
 النور الروحي والإلهام الذاتى يرى به كتلة الزمن ، من ماض وحاضر  
 ومستقبل فى شبه لحظة واحدة ..

تلك القدرة الخفية هى حاسة بائدة كانت للإنسان الأول ، وفقدناها  
 اليوم .. نعم فقدنا كل القوى الروحية التى منحتنا إياها الطبيعة يوم كنا  
 نحيا ونصل بها ، ولم يبق لنا اليوم إلا العقل المحدود والمنطق القاصر ..  
 وها نحن أولاء اليوم فى هذا الكون الهائل مخلوقات منفردة منبوذة .. أين  
 ذهب « ديونيزوس » ؟ .. وهل يبعث من جديد ؟ .. وإذا بعث فهل يجد  
 من يعرفه فى هذا العصر ذى الحضارة المادية الفردية ؟ ..

رجل واحد ما زال يذكر هذا الإله ويستطيع أن يعرفه إذا ظهر كما  
 عرف « غالياس »<sup>(١)</sup> أصحاب الكهف ١١ .. وهو وحده كذلك يستطيع  
 أن يستقبله باسم هذا العصر : هذا الغالياس العصرى هو :  
 « تاجور » .. إنه يتكلم كثيرا عن ذلك الاتحاد بين الإنسان والطبيعة ،  
 وعن ذلك الفاصل المرفوع بين الحياة الخاصة وبين الحياة العظمى التى  
 تغرق الكون ، وعن ذلك الحب بين الإنسان والجماد ، هذا كلام جميل ،  
 لكن هل تراه يشعر بحقيقته .. يخيّل إلى أن تلك الحقائق قد انطوت  
 بانقضاء دولة الإغريق . بل لقد انقضت قبل أن تنقضى دولة الإغريق !  
 انقضت بطغيان منطق « سقراط » على روح « هوميروس » ، انقضت  
 بطرد « ديونيزوس » من « تراجيديات إيريبيد » .. غصبة « نيتشة »  
 المعروفة .. انقضت بغلبة الإحساس الفعلى على الإحساس الروحى ..

---

(١) أحد أبطال قصتي « أهل الكهف » .

انقضت بانتصار « أبولون » فى النهاية على « ديونيزوس » ..  
وهكذا احتل التوازن ، ورجحت كفة المادة ، وانطفأت الحضارة  
الإغريقية إلى الأبد ، ولم ترث أوروبا منها غير كنوز العقل والمنطق وبقيت  
فى الظلام كنوز « ديونيزوس » الخفية !..  
لم تنجح اليونان إذن النجاح المطلوب فى تطعيم الروح بالمادة ، فهل  
تأمل مصر بلوغ هذه الغاية يوما ؟ ..

« دمنهور » فى مايو ١٩٣٣م - من رسالة إلى « طه حسين » !..



## النقد

.. نحن متفقان ولا خلاف بيننا فى الغاية ، وهذا هو مطلبنا ..  
 هنالك تفاصيل أفرق فيها عنك ولن أعود إليها ، فأنا أفرع من النظر إلى  
 الوراء : خشية أن أتحوّل إلى تمثال من الملح ، أو حتى إلى تمثال من  
 الذهب .. نفسى تصدف أحيانا عن الفكرة الجامدة مهما تكن خالدة ،  
 ويحلولى أحيانا أن أنثر الأفكار عابثا من نافذة قطار ..

إن رسالتنا فى حقيقتها لا تعنى أكثر من إثارة الغبار فى أرض نائمة  
 مفروشة بالحصى .. لسنا نصدر أحكاما بهذه الكتب السريعة ، وإنما  
 نحن نطرح مسائل ونلقى بفروض ، سوف يلتقطها ويجمعها الباحثون  
 المنقطعون يوم تستيقظ الأجيال .. اتفقنا إذن ، أو ينبغي لنا أن نتفق على  
 أى حال ، حتى ننصرف إلى شىء جديد ..

إن البحث عن الجديد هو الخليق عندى بالمجهود .. ولقد فتح لنا  
 اليوم باب الجديد صديقنا « أحمد أمين » .. قال لى ذات مساء إنه يود  
 لو وضع كتابا فى أصول النقد .. النقد ؟.. لفظ رن فى أذنى ، وذكرت  
 للفور أن رسالتى السابقة إليك كان موضوعها « الخلق » .. وقلت فى  
 نفسى : ما يمنع من إتمام الكلام فى رسالة ثانية يكون موضوعها  
 « النقد » ؟.. وإذا الأمر ينكشف لى عن قضية كبيرة :

أنعد النقد كالخلق ، خاضعا لسلطان التيارات الفكرية الثلاثة التى  
 ذكرتها فى ردك : التيار المصرى القديم ، والتيار العربى ، والتيار  
 الأوروبى ؟.. أم نعد النقد كالعلم لا يخضع لمثل هذه المؤثرات ؟.. أما أنا

فلن أجب من فوري عن هذا السؤال . فأنا أكتب ولا أدرى أين يحط بى القلم !.. دعنى أولاً أنشئ على هذا النغم بعض « تقاسيم » دون أن أعنى الآن بالغاية . إن الغاية أحياناً رخيصة بجانب الوسيلة ، على الأقل فى نظر الفن ، لأن الغاية فى الفن لا تحرر الوسيلة !.. الحياة كذلك ، تلك القطعة الفنية التى أبدعها الخالق ، أهى شئ غير وسيلة متينة التكوين ؟.. أها معنى غير ذلك الطريق المبين الذى أوله ضباب وآخره ضباب ؟.. خط هندسى رسم على لوح الوجود ، كيف ابتدأ ، كيف انتهى ؟.. لا يعنى ذلك علم الهندسة !.. إنه خط بين نقطتين وكفى .. ليس لنا أن نسأل عن غاية الحياة ، ولا عن غاية الفن ، ولا عن غاية العلم !.. إن الغاية لا تهم .. إنما المعنى كله فى الوسيلة .. الحياة هى الطريق ، العلم هو الطريقة ، الفن هو الأسلوب !.. أما الغاية فلا غاية !.. وهل يرتجى من العلم أو من الفن أو من الحياة غاية مطلقة يوماً من الأيام ؟.. محال .. ما نحن إلا أسلوب الخالق .. ما الكون إلا أسلوب !..

الأسلوب كل شئ عند كل خالق ، وفى كل خلق .. إن الخالق أعظم من أن يحبس إرادته الخالدة فى حدود « غاية » : لفظ يدل بذاته على معنى الانتهاء .. فى اعتقادى أن كلمة « غاية » من صنع العقل البشرى الصغير !.. هذا العقل المحدود الذى يضع كل شئ دائماً داخل حدود ، ويأبى إلا أن يكون لكل شئ أول وآخر .. إنما الخلود فى الأسلوب ، لأن الأسلوب لا أول له ولا آخر ، فهو شئ كائن دائماً لا علاقة له بالزمن !..

إن رجل الفن .. وهو المقلد الأصغر للمبدع الأكبر .. يدرك أن الفن لا يعيش بالغاية ، لأن الغاية فانية كاسمها ، وإنما يعيش الفن بالأسلوب !.. لقد انقضت الغاية من تشييد الأهرام ، وفيت الغاية من بناء « البارتيون » !.. دفن الموتى أو عبادة الآلهة الغابرين غاية قد

ماتت ، وبقي أسلوب الفن وحده خالداً فى « الأهرام »  
و « البارتيون » ..! خدمة الإنسانية غاية العلم فى نظر البسطاء ،  
ولو سئل عالم فى ذلك لابتسم : « مالى وللإنسانية ..! إنما أنا أبحث  
عن سر أسلوب الصانع الأعظم ..! إنما هى لذة البحث فى ذاتها .. إنما  
هى طريقة البحث وأسلوبه .. ولولا ذلك السرور الذى يملأ نفسى إذ  
ينكشف لعينى الباحثة جمال أسلوب الله ، لما تجشمت جهداً فى سبيل  
العلم ، ولما كان للعلم هذا المعنى الرفيع » ..!

المخترعات كذلك ليست غاية العلم .. هى تطبيق للعلم ..! إنما العلم  
هو البحث الخالص المجرد عن كل غاية وعن كل استغلال ، لقد كان  
الإغريق يبحثون ولا يطبقون : « فيثاغورس » مثل من أمثلة الأسلوب  
الخالد للعلم الخالص .. الأسلوب إذن هو محور النقد كما هو عماد  
الخلق . وكلمة الأسلوب رجة عميقة كالبحر ، فى جوفها كل كنوز  
المعرفة التى يصبو إليها البشر ، ولعل كل ما أوتيهِ الإنسان — من سلبية  
سامية منذ أول الأزمان — ليس إلا انعكاس أسلوب الخالق فى نفس  
الإنسان .. هذا المنطق الذى نشأنا عليه ونرجع إليه فى كل حياتنا ، هذا  
الإحساس بالنتيجة والسبب ، هذا الشعور بالتناسق والتناسب ، هذا  
الإدراك للصلة التى تربط الشئ بالشئ ، — من أين جاءنا هذا نحن  
البشر ؟ ..!

أهناك مصدر آخر غير أسلوب الخالق ، فتحت البشرية عينها فألفتها  
حولها ، فهو موجود قبلها ، وقبل الخليفة ، كما يوجد الرسم والتصميم  
قبل البناء .. إن أسلوب المبدع فى صنع الحقيقة هو وحده المنبع الأزلى  
لهذه الصفات كلها !

المنطق ، إرتباط السبب بالنتيجة ، والشئ بالشئ ، والجزء بالكل .  
والتناسق والتناسب صفات هى بعينها صفات الأسلوب السليم لكل عمل  
فنى عظيم ، ..! أسلوب الله هو المعلم الأول والأخير . وما أول صورة

رسمها الإنسان على الأحجار وعظام الحيوان سوى إعلان شعوره الخفى بتلك الصفات !.. إن رجل الفن الأول هو أول إنسان عرف « المنطق » صفة فنية بعد أن كان المنطق سليقة سامية ، تسبح فى أنحاء نفسه ولا يعرف ما هى .. إن المنطق الذى شيد الأهرام لهو صورة محكمة للمنطق الذى شيد الكون .. ما المنطق ؟.. ما معنى المنطق ؟.. سره فى تلك المرأة العظيمة الصافية التى تحيط بنا كالجدران .

الوجود ، أجمل مثال للمنطق فى الأسلوب ، ينبغى لرجل الفن والأدب والعلم أن يطيل فيه النظر . كل شئ فى هذا الوجود مصنوع على طريقة واحدة ، وعلى قاعدة واحدة .. ما القاعدة التى بنى عليها الوجود ؟.. هى القاعدة التى بنيت عليها الأهرام .. هى قاعدة كل بناء . التماسك بين الأجزاء فى كل واحد منسق .. هذا التماسك ما علتة ؟ وكيف يكون ؟.. قانون أستطيع أن أفرغه كما يفعل الرياضيون فى صيغة بسيطة من لفظين : « الأخذ والعطاء » .. كل شئ فى هذا الوجود يحيا على نمط واحد .. وكل حياة فى هذا الوجود لها مظهر واحد .. « أخذ وعطاء » فى حركات متصلة متشابهة<sup>(١)</sup> . زفير وشهيق عند الإنسان والأحياء ، اكتساب وإشعاع عند النجوم والأشياء . الأخذ والعطاء قانون التماسك والاتصال فى حياة الفرد والمجتمع والأمة والأمم ، وفى حياة الأخلاق والسياسة والاقتصاد ، وفى حياة المادة والروح ، وفى حياة الأرض والأجرام والسدم ..

ليس فى الوجود شئ لا يأخذ ولا يعطى .. ليس فى الوجود شئ يعطى ولا يأخذ !.. كل شئ فى هذا الكون يعتمد على كل شئ فى هذا الكون : بنیان مرصوص يشد بعضه بعضا ، وكل خلق بنیان ،

---

(١) تعريف شخصى للحياة ، أدبى الصيغة بالقياس إلى تعريف « كلود برنارد » العلمى الصيغة .

ولا بنيان بغير وحدة شاملة ، ولا وحدة شاملة بغير تضامن بين الحجر والحجر ، وبين الجزء والجزء !

يتساءل « هنرى بونكاريه » فى كتابه « قيمة العلم » : « أيجب لنا أن نتكلم فى سبب ظاهرة من ظواهر الكون ، ما دام كل جزء من أجزائه متصلا بكل جزء برباط التضامن ؟ .. إن أية ظاهرة من الظواهر لن تكون نتيجة سبب واحد ، بل نتيجة أسباب غير متناهية فى العدد ..! إن أية ظاهرة مهما يكن شأنها ليست فى الغالب إلا نتيجة لحالة الكون كله فى لحظة سلفت ..! » .

فالكون كله إذن إن هو إلا إناء واحد صنعته يد واحدة من عناصر متألّفة ، وهذا التآلف أو التضامن إنما هو وليد ذلك القانون : « الأخذ والعطاء » !

ليس هذا كل المنطق فى صنع الوجود ، إنما المنطق تركيب ذلك القانون .. ما قوام الأخذ والعطاء ؟ .. هل يكون أخذ وعطاء إلا بين كائنات متشابهات ؟ .. ما الحال لو أن الخالق أبدع وجودا آخر على أسلوب آخر ، فصنع أناسا يعيشون بالزفير ولا يعرفون الشهيق ، ومخلوقات تأكل ولا تصرّف ، وأجراسا تكتسب الحرارة والضوء ولا تشع ؟ .. أى اتصال يمكن أن يقوم بين كائنات خلقت على غير أسلوب واحد ؟ لا اتصال ، وحيث لا اتصال لا بناء .. لا خلق ولا بناء فى الكون أو فى الفن بغير وحدة الأسلوب ..

كذلك فى مادة الأجزاء ، هل يقوم أخذ وعطاء بين أجسام لا تتحد فى مواد البناء ؟ .. أى اتصال بينى وبين أخى وابنى ، لو أن الخالق صنعنى من عناصر غير عناصرهما ، فجعلنى من يابس ورطب وجعلهما من نور ونار وغاز وبخار ؟ أى ارتباط لو أنه جعل كل مخلوق منفردا بمادته وهيئته وعناصره عن كل مخلوق ؟ .. أى هرم يمكن أن يشيد بأحجار ، أحدها من صخر ، وآخر من عجّين ، والثالث من ورق ، والرابع من طين ؟ ..

لا ارتباط بغير تشابه وتمائل ، ولا تضامن بين أجزاء غير متجانسة فى التركيب !.. إن كل ما نحس وجوده يتحد معنا فى بعض العناصر .. بغير هذا ما كنا نعترف له بوجود .. إنا نعرف الأجرام ، لأن أجسامنا تعرف الحرارة والضوء والحديد !..

التشابه إذن هو شرط الأخذ والعطاء !.. الاختلاف كذلك شرط آخر !.. وهل يقوم أخذ وعطاء إلا بين كائنات مختلفة !.. ما الحال لو أن الخالق صنع كل شيء ككل شيء ، فجعل كل رجل ككل رجل وكل جرم ككل جرم ؟.. طبع واحد ، ومنظر واحد ، وحجم واحد ؟.. أليس هذا التشابه المطلق ينفى الشخصية ؟.. وحيث لا شخصية فلا أخذ ولا عطاء ، ولا تماسك ولا اتصال ، وهل من صلة بينى وبين غيرى إلا لاختلاف شخصه عن شخصى ، وما عنده عما عندى !.. وهل رابطة الأجرام إلا اختلافها فى الأحجام !.. الجاذبية ، الحب ، هل عليهما إلا اختلاف النسب فى القوى والأشكال ؟.. إن مثل هذا الكون المتماثل لا يمكن كذلك أن يشيد أو يوجد ، مثله مثل قصة تمثيلية أشخاصها لهم عين الاسم والجسم والطبع والحظ ، يتكلمون عين الكلام ، ويتحركون عين الحركات ، ويتصرفون عين التصرفات !.. أية علاقة يمكن أن تنشأ بين هذه المخلوقات ؟.. وهل يشعر أحدهم بوجود الآخر ؟.. وهل يدرك أحد منهم معنى كلمة « أنا » ؟.. لابد من بعض الاختلاف بين الكائنات حتى يمتاز كل كائن من الآخر ، ومتى امتازت الأشخاص والأشياء والأجزاء نشأ بينها الأخذ والعطاء ، وهما سر التماسك فى كل بناء ..

ها هنا إذن قوام التناقض : « التشابه لا كل التشابه ، والاختلاف لا كل الاختلاف !.. » .

« يتهوفن » هو الذى كشف لى منذ سنوات عن سر التأليف بين صوتين فى عين الوقت ، فقد لحظت أنه جمع بين صوتين متشابهين

لا كل التشابه ، مختلفين لا كل الاختلاف ، وأدركت ألا تناسق بغير هذا !.. فلو أنه جعل الصوتين متشابهين كل التشابه لفنى أحدهما فى الآخر ، وما ميزنا غير صوت واحد !.. ولو أنه جعلهما مختلفين كما الاختلاف لاستحال على أذن أن تصل بينهما وهما متباعدان متنافران ، فأساس « التناسق » فى الموسيقى والفن ، كأساس التناسق فى الحياة والكون : ائتلاف بين الأجزاء لا كل الائتلاف ، واختلاف بينهما لا كل الاختلاف !..

جملة القول عندى أن أسلوب الله فى صنع الكون هو وحده منبع الفن ، هو وحده مصدر ذلك الإدراك الإنسانى للجمال منذ مبدأ الأجيال ، أما نقاد القرن التاسع عشر فلا أحسبهم رفعوا أبصارهم إلى هذا الأسلوب مستلهمين .. إنما هم قد خرجوا أمام تمثال العلم ساجدين ، أنظارهم خاشعة ترنو فى رجاء إلى شعاعين من الكهرباء ، صادرين من عدسات عينيه الجامدتين .. القرن التاسع عشر قرن تأليه العلم ، فلقد بهر العلم العالم بانتصارات حواسم متواليات ، فإذا الأدب والفن والفلسفة كلها تهرع إليه تقرر له بالغلبة والسلطان ، وإذا كل شيء يطلب إلى العلم تفسيراً ، وإذا العلم فى نشوة الظافر وبسمة الوثائق ، لا يأبى أن يقضى فيما يعنيه وفيما لا يعنيه ، وإذا العلم – هو علم المادة – يريد أن يتحدث فى شئون الروح !.. وإذا سئل عن الروح قال : دونكم هذا الطريق !.. وأشار إلى عين الطرائق التى أدت إلى الفوز فى شئون المادة : التحليل والتركيب والتجربة والقياس والاستنتاج والاستقراء الخ !..

بهت العالم لنظرية النشوء والارتقاء ، وآمن الناس أن أصلنا من ماء وخلايا حية وحيوان ، وظل يسمو فى المرتبة على مدى الأزمان ، حتى بلغ القرود جد الإنسان !.. نظرية جميلة ، خلب جماها اللب ، على الرغم من بشاعة ذلك الجسد الغول !.. أما صدقها فجائز من حيث المادة والأجسام .. ولكن !.. وهنا القضية : أتصدق هذه على الروح أيضاً

وشئون الروح ؟.. الإحساس بالجمال ، أيخضع أيضا للنشوء والارتقاء ؟.. ؟.. نعم ، نعم ، نعم .. هكذا قالت المدرسة الإنجليزية : « سينسر » ، « جرانت » ، « ألن » ، « رسكن » ، وكان لابد لهذه العقول التي فتنتها نظرية التطور في المادة أن تبرر للناس نظرية التطور في الجمال !..

وعجب الناس لنظريات علم « طبقات الأرض » وعلم « الحيوان » وعلم « الحياة » وأبحاث « لامارك » في تأثير البيئة والمناخ وظروف الحياة على طبيعة الأجسام ، فقامت المدرسة الفرنسية « هبوليت تين » تخرج للفكر والأدب نظرية للجمال والفن : الوحي والإلهام مقاييس الحرارة وموازين الأحجام !..

بل إنى لأرى إصبع العلم قبل ذلك بقرن تقود المدرسة الألمانية إلى نظريتها في الجمال : « عمانويل كانت » !..

ولك يكف العلم هذا التوجيه والتأثير ، بل تناول بيديه في هذا العهد الحديث جسم الجمال ، وأعمل فيه المشرط والمسبار « علم النفس الحديث » وقضى الأمر ، وخرج الجمال من حدائق الفلسفة إلى معامل العلم !..

لست أزرى بطرائق العلم ، فهي وسائل البشرية التى لا تملك غيرها !.. وأذكر يوم كنت أرصد وقتا للتفكير فى هذه المسائل أنى بسطت أمام نفسى هذا السؤال الساذج : الحيوان .. ما علمه بالجمال ؟.. حصان بين مهترتين ، إحداهما جميلة مليقة شهباء ، والأخرى قبيحة هزيلة عرجاء ، إلى أيتهما يميل ؟.. ما ترددت يومئذ أن أقول فى ثقة واقتناع : « إلى الجميلة يميل » .. ما وجه الترجيح ؟.. لست أدرى ، وحبذا التجربة فهي الحكم والفيصل !.. لكنى يومئذ كنت أفكر تفكيرا صرفا فى أبراج عاجية ، اعتدت أن آوى إليها للتفكير الهادئ ، فأين لى بالخيول والأفراس أجرى عليها التجارب ؟..



فهاأنذا أقر بأن التجربة وسيلة بشرية طبيعية للوصول إلى المعرفة ، وأقر بأنى شعرت يوما بالحاجة إلى ممارستها فى شئون الجمال .. غير أنى على الرغم من هذا لا أحب أن أعتقد ببساطة أن نظريات العلم فى شئون المادة تصدق دائما فى شئون الروح !.. لا شىء يستطيع أن يقتضى بأن إحساس الجمال وليد تطور ونشوء !. بى رغبة أن أصبح بغير دليل فى يدى بأن إدراك الجمال ولد كاملا فى قلب الإنسان منذ رفع بصره وبصيرته إلى أسلوب الله فوعاه !.

إنى أخشى أن نقع فى الغلط ، إذ نطبق نظريات المادة فى مسائل الروح ، وهل تستطيع أن تميز قول « رسكن » و « جرانت ألن » فى « الإلياذة » :

« .. ما كان يعنى الأقدمون بالطبيعة ولا بجمالها إلا حين يتصلان بعيش الإنسان !.. ففى « الإلياذة » ما كان يوصف منظر طبيعى لذاته ، بل لمنفعته للإنسان ، كأن يكون مكانا خصيبا يفيض بالحنطة أو تكثر فيه فيه الجياد !.. ما كانت الطبيعة سوى إطار للحوادث والأشخاص ، لا أنها لذاتها محل للوصف !..

إن الطبيعة لم تحب لذاتها إلا فى العصر الحديث ، حيث استيقظ الإحساس بها .. إحساس صاف خالص لا تشوبه شائبة النفع أو المصلحة .. » .

ماذا أقول فى هذا الكلام ؟.. أهو جهل بمشاعر الأقدمين ؟.. أم تورط فى تطبيق نظرية التطور والنشوء ؟ .. أتصدق حقا أن الشعور الرفيع بجمال الطبيعة لم يعرفه القدماء خالصا لدنهم من الحيوانية ؟.. أنصدق أن « هومير » لم يحس جمال الطبيعة لذاتها ؟.. أهذا « رسكن » يقول هذا الكلام ؟.. أما أنا فقد مضى كلامى فى الطبيعة والقدماء ، ورأى الذى أبديته فى رسالتى الأولى أن الأقدمين كانوا أقرب منا إلى الطبيعة وإلى فهمها .. لقد كان الأقدمون يحسون أنهم جزء من الطبيعة

ونغم من أنغامها ، أما « رسكن » و « ألن » أو الإنسان الحديث فلا يحس إلا ذاته الآدمية منفصلة عن الطبيعة ، وعن كل شيء !..

ودليلي فن القدماء من مصريين وإغريق : أهذا فن قوم لا يحسون الطبيعة لذاتها ، ولا يدركون قوانينها وأساليبيها ؟.. إلى هذا الحد يصل الانقياد إلى النظريات ؟.. من أجل هذا لا أريد التمكين للعلم حتى يجلس على عرش النقد دون شريك .. أحب طرائق العلم .. لكنني أخشى نتائج العلم .. فلنترفع بالروح قليلا ، لست أريد أن أضع الروح تحت مِضع العلم ، رهبة مني أن يشقها فيجدها غلافا أجوف .. وإنني لا أنسى يوم شاهدت تشريح جثة آدمي للمرة الأولى ، أى قلق يومئذ مزق لإيماني بقيمة الإنسان !؟.. كلا - إنني كرجل من رجال الروح لا أريد أن أفجع في خير ما أعيش به وله .. يريح نفسي دائما أن أقول إن عقل العلم لا يكفى .. ولا بد - دون إدراك الجمال والروح - من العودة إلى القلب .. أريد ألا يخرجني العلم من ذلك الإيمان الذي كان يضىء فى قلوب المصريين القدماء ، إيمان قريهم من الخالق ، فإذا هم ببصائرهم العميقة العجيبة أول آدميين استطاعوا فهم أسلوب الله ، والنفوذ إلى قوانين إبداعه . إن أقصى العلم الإيمان .. أحب ذلك العلم المؤمن الشاعر ، الذى عرفه أيضا الفلكيون العظام فى القرنين السادس عشر والسابع عشر : « كوبرنيك » و « جاليليه » و « كيبلر » . إلى آخر قطرة من ذلك العلم الممزوج بالإيمان .. كانوا ينظرون إلى الكواكب ، كما نظر إليها من قبل المصريون الأقدمون ، لا بعين العقل وحده بل بعين القلب أيضا .. كانت السماء والنجوم فى نظرهم مخلوقات حية .. كانوا أيضا يحسون - فى كتلة النجوم وفى هذا الكون بأكمله - الروح الخالق ويد المبدع الأعظم .. ما أروع هذه العبارة من « كيبلر » .. فيها تلخيص جميل لكل ما يملأ نفسى : « .. كل الخليقة ليست سيمفونية عجيبة فى مجال الروح والأفكار ، كما هى فى مجال الأجسام والأحياء ..

كل شيء متماسك مرتبط بعرا متبادلة لا تنفصم .. كل شيء يكون  
 كلا متناسقا .. .. إن الله قد خلقنا على صورته ، وأعطانا الإحساس  
 بالتناسق .. كل ما يوجد حى متحرك ، لأن كل شيء متتابع متصل ..  
 كل كوكب وكل نجم إن هو إلا حيوان ذو نفس .. إن روح النجوم  
 هو سر حركتها ، وسبب ذلك الحب الذى يربط بعضها إلى بعض ،  
 وتعليل ذلك النظام الذى تسير عليه الظواهر الطبيعية .. أولئك رجال  
 ساروا فى بيداء العقل دون أن ينسوا دليل القلب ، أولئك هم العلماء  
 العظام ..

أرى أنك قد استشفقت رأيت بعد هذا التمهيد .. نعم ، ولا أخشى  
 أن أجب الآن عن السؤال فأقول : إن التيارات الثلاثة التى ذكرتها  
 تصدق أيضا فى النقد ، كما تصدق فى الخلق .. أما التيار الأوربي فى  
 النقد فهو المرتكز على العلم . ولقد وصل إلينا هذا التيار بالفعل وتأثرنا  
 به ، وإن بعض كتب النقد التى ظهرت أخيرا فى مصر الحديثة تنم عن  
 هذا الاتجاه العلمى . وهو أمر لا بأس به ، بل هو واجب محتوم ، على  
 شريطة أن نقرن به ونضيف إليه عناصر جديدة ، ووسائل أخرى  
 مستخرجة من أرضنا وتراثنا ، إذا أردنا أن ننشئ لآدابنا طريقة شخصية  
 كاملة فى النقد ..

فأما التيار المصرى القديم فهو النقد المعتمد على الذوق ، أى سليقة  
 المنطق والتناسق ، وهو عند المصريين القدماء سليقة المنطق الداخلى  
 للأشياء والتناسق الباطن ، أى القانون الذى يربط الشيء بالشيء .. أى  
 جمال للأهرام غير ذلك التناسق الهندسى الخفى وتلك القوانين المستترة  
 التى قامت عليها تلك الكتلة من الأحجار ؟ جمال عقلى داخلى ، كذلك  
 أسلوب الخالق لا يعنى دائما بالجمال الظاهر وحده فى خلق الطبيعة !  
 فأى جمال لجبل المقطم ؟ .. إن الجمال الظاهر نسبي لا يقدره غير  
 الإنسان . إنما المنطق الداخلى للأشياء هو كل جمالها الحقيقى ، هذا

الإدراك للجمال الخفى فطن إليه المصريون القدماء يوم صنعوا « الأهرام » : لم يرموا إلى الجمال الظاهر الذى يسر العين ، إنما أرادوا أن يصنعوا بأيديهم البشرية ظاهرة من ظواهر الطبيعة فى روعتها وضخامتها وتأثيرها ..

وقد تمت المعجزة ، وإذا الأجيال على مدى آلاف السنين تعبر الأهرام عبورها جبل المقطم سواء بسواء ، وكأنما اختلط الأمر فى ضمير الزمن وضمير البشرية ، فارتفع هذا « الخلق الآدمى » إلى « مقام الظواهر الطبيعية » .. أولئك قوم أرادوا أن يقلدوا أسلوب الله فى عظمتة ودقة قوانينه ، فأعانهم الله على ما التمسوا ، وكشف لهم عن بعض أسرارهِ وطرائقه !.. هذا المقياس المصرى القديم للجمال ما أحسبه قد أثر بعد فى حياتنا الفكرية ، أو فى أحكامنا الفنية ؟ .. أما التيار العربى القديم فهو النقد الذى قوامه ذوق الحس ، أى سليقة المنطق الظاهر والتناسق الخارجى .. الجمال عند العرب هو الجمال الظاهر الذى يسر العين ويلذ الأذن .. أنستطيع أن نتخيل العرب تبنى الأهرام أو تقدر فيها جمالا ؟ .. لقد جاء العرب مصر ، وتحذثوا بجمال نيلها وأرضها وسماؤها ولم يروا فى الأهرام إلا شيئا قد يحوى نقودا مخبوءة ، أما بناؤه فشئ لا يحسب فى الفن ، إنما الحسن عند العرب حسن الهيئة قبل كل شئ . المساجد كالعرائس تكاد تخطر حسنا بزخارفها ، زينة للناظرين .. بغير هذا فلا عمارة ولا فن ، الشعر رنين لذيذ ، وعيال جميل ، ومعان لطيفة ، وألفاظ مختارة ظريفة ، بغير هذا فلا شعر ولا فن !.. الجمال عند العرب جمال إنسانى ، والفن عندهم شئ صنعه الإنسان لنفسه وللذته .. الفن العربى القديم فن إنسان دنيوى ، والفن المصرى القديم فن إلهى دينى ، لهذا اختلفت المقاييس فى الجمال بين الفنانين ، أحدهما يعنى بالتناسق الشكلى الذى يروق الإنسان ، والثانى يعنى بالتناسق الخفى بغير التفات إلى الإنسان !.. ولعل المقياس العربى القديم هو فى مصر المنفرد حتى

اليوم بالحكم فى قضايا الشعر والأدب ! ..  
هذا المقياس العربى ذو الإبرة الدقيقة عجيب فى تسجيل كل انحراف  
عن منطق الألفاظ ! .. إنما هنالك فى اعتقادى منطق آخر مستتر أمره ،  
يعنى المقياس المصرى ! ..  
إنى - يوم قلت بمزج الروح بالمادة فى آدابنا - كان يجب على أيضا  
أن أقول بوضع المقياس المصرى فى النقد ، بجانب المقياس العربى ..

« كوم حمادة » فى سبتمبر عام ١٩٣٣م - من رسالة إلى « طه  
حسين » .

## بين الخالق والناقد

.. حقيقة أذكر أنك كنت عازما على نقد كتابي « محمد » ، فما الذى منعك ؟ وأذكر أيضا أنك أفضيت إلى بخوفك أن يسىء بعض رجال الدين فهم مرادك ، فأضار أنا بذلك ، وهى عاطفة نبيلة حمدتها لك .. على أنى فيما أذكر أيضا قد شجعتك على المضى فى نقدك ، وهو فى جملة لا يؤيدنى ، بل إنى قد وافقتك عليه معجبا بفراستك مقدرا لبراعتك فى الوقوع من فورك على المواطن التى يجوز فيها النقد والكلام ، فأنت ترى أن الموقف لم يغضب ، بل ابتسم واغبط ليقظة الناقد ..

فى الواقع أنى لست أومن كثيرا بتلك الأسطورة التى تزوى عن غضب المؤلفين ، واسمح لى أن أتكلم بلسانهم فأقول : إن هذا الغضب لا يجد سبيلا إلى نفس الكاتب ، إلا إذا شعر من ناقده بعزوف عن الحق والجد ، ونزوع إلى الحظ من القدر ، مبطن بسوء القصد !.. فالناقد الذى يحترم شخصى ويهدم عملى لا يغضبنى ، لأننى أعلم أن الأديب لا يهدمه النقد ، فهو كائن ممتاز لا يهدم ، ولا يقبض إلا بإذنه ، ولا يقضى عليه إلا بإرادته !.. إن الأديب لا يموت مقتولا ، بل يموت منتحرا .. ومع ذلك لا أحب للمؤلفين أن يغضبوا على أى حال ، فإن الغضب علامة الضعف الآدمى ، ولا شىء فى الوجود أقوى من الابتسامة ، ولكن من ذا الذى أعطى القدرة على الابتسام الصافى الجميل ، فى كل موقف وفى كل حين ؟.. أهو الجبار وحده ؟.. ألا ترى معنى أن الجيروت إنما هو الصفاء ؟.. « إذا أردت أن تسلك طريق السلام الدائم ، فابسم للقدر إذا

بطش بأحد » .. تلك كلمة لـ « عمر الخيام » ، وضعتها في صدر كتابي « عصفور من الشرق » الذى لم أكتب منه فى سنوات ثلاث أكثر من ثلاثة فصول . وإنك لتعجب إذا قلت لك إن هذا البطء أو هذا العجز مرجعه علة واحدة ، قد انكشفت لبصيرتى آخر الأمر : عدم استكمال الصفة العليا التى يرتديها بعض رهبان الفكر ، كما ترتدى المسوح : الصفاء !..

إن كنت من رأى فى كل هذا فإن لى عندك حاجة : أن تنثر معى تلك الابهتسامة بين الأدباء ، فإن الأدب شىء جميل ، هو جنة لا صاحب فيها ، وهو معبد لا تدخله الأحقاد .. إن أعجب ظاهرة فى أدبنا أنه لا توجد فيه صداقات عظيمة جديرة أن يتحدث عنا تاريخ الأدب ، تلك الصداقات التى نراها فى آداب الحضارات الكبرى قد أنتجت من الرسائل والأخبار والآثار ما لا يقوم بحال .. ما الذى يعوزنا نحن ؟ .. أهو شىء فى الخلق ؟ أم هو ضعف فى النفس ؟ .. أم هو نقص فى الثقافة ؟ .. لست أعلم !.. إنما الذى أعلمه أن الصداقة الخالصة بين رجال الأدب والفكر ، هى أظهر دليل على نضج هذا الأدب ، وهذا الفكر !..

« القاهرة » فى يونيو عام ١٩٣٦ - من رسالة إلى « أحمد أمين » .

## غاية الأدب والفن

.. « هذا هو الأدب الأمريكي يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية فى شتى شئونها ، ثم لم يكتبوا فى خيال وأوهام وأحلام ، إنما يكتبون أكثر ما يكتبون فى مشكلاتهم الحالية ، ومسائلهم اليومية ، وحياتهم الاجتماعية .. وأكثر هؤلاء لا يستوحون أساطير اليونان والرومان ، وإنما يستوحون مجتمعهم وما فيه وما يصبو إليه ، فللأديب العربى أن يستوحى « امرأ القيس » أو « شهر زاد » .. ولكن يجب أن يكون ذلك نوعا من الأدب ، لا كل نوع ، ولا هو النوع الغلب ، ولا هو الأرقى .. » (١) .

مع الأسف أرانى مضطرا أن أقول للصديق المبجل : إن استيحاء أساطير اليونان والرومان و « امرئ القيس » وشهر زاد ، هو النوع الأرقى فى الأدب .. فى كل أدب .. لا فى الماضى وحده ولا فى الحاضر .. بل فى الغد أيضا وبعد آلاف السنين ، ما دام الإنسان إنسانا ، وما دام رقيه الذهنى بخير لم يصبه نكاس ، فالإنسان الأعلى هو الذى يصون « الجمال الفنى » عن الاشتغال الأرضى فى أى صورة ، ويحتفظ فيه بمتمتعته الذهنية وثقافته الروحية .. وإن اليوم الذى نرى فيه « الأدب » قد استخدم للدعاية الاجتماعية ، و « التصوير » استغل فى معارض الإعلان عن السلع التجارية ، و « الشعر » جعل أداة لإثارة الجماهير فى

---

(١) مقال لـ « أحمد أمين » نشر فى مجلة « الثقافة » عام ١٩٤٤ م .



الانتخابات السياسية - هو اليوم الذى نوقن فيه بأن الإنسان قد كر فانقلب طفلا ، يضع فى فمه تحف الذهن وطرف الفكر ، لأنه لا يدرك لها نفعاً غير ذلك النفع المادى المباشر ..

والأدب الأمريكى الذى يعجب به الدكتور « أحمد أمين » هو فى أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيقى .. والأدب الحقيقى فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان ، أى مخلوقات الإنسانية التى أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع .. فالخلاف بينى وبين صديقى « أحمد أمين » هو على معنى « الرقى » . فأننا لا أسلم أبداً بأن رقى الإنسان هو فى تقدم أسباب معاشه المادية .. هذا حقاً هو الرقى بالمعنى الأمريكى . ولكن الرقى بالمعنى الإنسانى المثالى شىء غير ذلك .. أن الإنسان الأعلى ليس ذلك الذى يضع كل شىء فى فمه ، ولكنه ذلك الذى يشعر بحاجته إلى متع معنوية وأغذية روحية وأطعمة ذهنية ، لا علاقة لها من قرب أو بعد بضرورات حياته المادية أو الجمالية ..

هذا هو الفرق الوحيد بين الإنسان والحيوان ، فالحيوان لا يحتاج إلى أن يطرب لبيت من الشعر أو لصوت من الغناء أو لتمثال من الرخام ، ولا يمكن أن يخطر له على بال وجود عالم آخر غير عالم الأكل والشرب والمأوى . ولو نشأ أدب بين فصيلة من الحيوان لكان هذا الأدب فى رأى قائما فى جملته على مشكلات العراك على صيد الفريسة ، ولاقتصر خياله على الحلم بأن فى بطن كل سبع غزالاً سمينا ، وفى قم كل حيوان فى الغاب - صغر أو عظم - غذاء موفورا بغير وثب ولا بحث ولا ترهص ..

بل فلنأخذ مثلاً جماعة النحل أو النمل . وقد بلغت من الدقة والتناسق وروح التضامن فى نظامها الاجتماعى ما أثار الدهشة ، هذا المجتمع الذى شيده النحل على هذا الأساس من « الوعى الاجتماعى » لا « الوعى الفردى » لو قامت فيه نخلة شاعرة أو أدبية ، أو ظهر فيه أدب وشعر - فما يكون نوعه واتجاهه ومراميه ؟ .. لا شك عندى أن هذا الأدب

أو الشعر سيكون له عين المرامى التى ينزل إليها « الأمريكان » ويتمناها لنا « أحمد أمين » .. سيتحدث أدب النحل وشعره عن الأزهار من حيث كمية عسلها ، ونصيب كل عامل عن عمال النحل فى نقله وإعداده والانتفاع به فى الخلية ، وعن حقوق الطوائف العاملة وواجباتها ، ومشكلاتها اليومية وشئونها الحيوية .. أما الذى لن يحدث أبدا فهو التفات النحل فى أدبه أو شعره إلى حسن الأزهار فى ذاتها ، وإلى بهائها فى ألوانها ، وإلى تمايلها اللطيف مع النسيم ، كأنها تراقصه ، وإلى تفتحها ابتساما للفجر وهى تعانقه ، وإلى نداها بدموع الليل وهى تفارقه ..! لن يفطن النحل إلى هذا أبدا .. ولو فعل لانقلب إنسانا فى لحظة واحدة . كل فضل الإنسان على غيره من المخلوقات أنه ارتفع إلى العناية بأشياء معنوية لا تتصل مباشرة بطعامه وشرابه ومقومات حياته المادية . وهذه سمائها فيما سماه : الفن والأدب ، وحرص على أن تبقى — على قدر المستطاع — بعيدة عن تفاهاته الأرضية ، لتذكره من حين إلى حين أنه ليس حيوانا .. وهنا عظمة الفن والأدب ، ولكن مطامع الناس شاءت أن تمد أيديها القانية إلى هذا الجوهر السامى لتسخره فى شئون الأرض ، فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية ، فاستخدم الشعر أحيانا المدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء ، أو لنشر الدعوة فى الدين أو السياسة من أجل الثواب أو الجزاء ..!

ولكن كلمة الفن هى العليا دائما ، وحكمه هو النافذ وحده ، وهما هو ذا قد حكم لـ « امرئ القيس » الجاهل ، فرفعه وقدمه على داعية الإسلام « حسان » ، وفى هذا الدليل على أن الفن الخالص لوجه الجمال الفنى هو الأرقى والأبقى .. وذلك ما لا يسلم به « أحمد أمين » ، فهو يعتقد أن الفن المنسخر لخدمة الضرورات اليومية فى المجتمع هو الفن الأرقى ، متأثرا ولا ريب بتلك النظريات الحديثة فى السياسة والاقتصاد التى ترمى كلها إلى تملق الجماهير ، ومداهنة الدهماء ، ومصانعة

الجماعات والنقابات والهيئات ، ومسايرة الكتل والسواد من الناس والشعوب ، موهمة إياهم بجعل كل شىء فى خدمتهم .. وخدمة الجموع معناها خدمة مصالحهم الأرضية المادية من مأكّل ومشرب ومأوى ، لأن السواد والكتل لن يطلبوا أبداً ، ولن يعرفوا غير هذا النوع المادى من المطالب . فإذا أردنا تسخير الفن فى هذه الأغراض فمعنى ذلك الهبوط به إلى ذلك اللون من أدب النحل .. أو على الأقل إلى ضرب من أدب الدعاية والوعظ والهداية !

أما إذا كان فى الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا فإنى أرحب به ، وأسلم من الفور بأنه الأرقى .. ولكن هذا لا بتهياً إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون فى كل زمان .. فمن أين لنا فى شعرنا بأمثال « المتنبى » ؟ لقد أعدت قراءة ديوانه منذ أسابيع لأنظر كيف بقى ذلك الشعر الذى خرج من وحى الدنانير . الحق أن المال كان باعته ، ولكن الفن كان غايته .. ذلك الذهن الذى أبدع صوراً يرى لها أحياناً حركة ويصير لها بريق ، ويسمع لها رنين ، كما فى قوله :

وأمواه تصل بها حصاها صليل الحلى فى أيدي الغواني  
ماذا يعيننا منه أن يكون حافزه استجداء مال ، أو مدح ذى سلطان ، أو خدمة مجتمع ، أو تملق شعب ؟ .. المهم أن يكون هنالك فن قبل كل شىء .. بغير هذا ما عاش لنا « المتنبى » حتى اليوم ، فالسلطان يذهب ، والدولة تدول ، والشعوب تتغير ، لكن الفن باقى .. !

أما بعد ، فليتجه الأدب العربى حيث شاء له « أحمد أمين » وليخدم الجماعات ومشكلاتها الحالية ، ومسائلها اليومية ، ومطالبها المادية ، وليبتعد عن « الفردية » التى هى أساس كل فن ، والتى بغيرها لا يقوم فن ، وليتجنب « تراجم الأفراد » أو ترجمة الكاتب لنفسه ، أو تحليل الأدب لبعض الشخصيات أو روايات الغرام ، أو نحو ذلك مما يراه

صديقى من قبيل النزعات الفردية ، ولننكر الحقيقة الفائلة : إن  
« الفنان » إذا لم يقل « أنا » فهو ليس بفنان ، كما أن العالم الذى يقول  
« أنا » ليس بعالم !.. لننكر ذلك مؤقتا ولنتنظر .. عسى أن يخرج لنا أثر  
فيه الفن ، وفيه منفعة السواد !.

## الفن والإصلاح

لم يزل موضوع الأدب العربى ومستقبله فى حاجة إلى كلام ، على الرغم من الأدلة القوية التى ساقها « أحمد أمين » فى رده على كلمتى السابقة - وأعشى أن يتبادر إلى الذهن أننا نتجادل فى قضية لنا فيها مصلحة - فالواقع المعروف أن أكثر مؤلفات « أحمد أمين » ، مثل « فجر الإسلام » و « ضحى الإسلام » و « قصة الفلسفة » الخ . بعيدة عن الاتجاه القومى أو الاجتماعى الذى يروج له ألدنا العربى ، كما أن بعض كتبى ، مثل : « عودة الروح » و « يوميات نائب فى الأرياف » قد رمت بالفعل إلى هذا الهدف منذ زمن . فالقصة الأولى ( عندما نشرت بالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ ) كتب عنها ناقد يقول : « .. لو كان « بريس BARRES »<sup>(١)</sup> حيا ، واطلع عليها لنعتهها بقصة النشاط القومى .. » كما أن الكتاب الآخر يرمى كما هو معلوم إلى نقد المجتمع الريفى بحكامه ومحكوميه .. فأنا إذن أقرب إلى تلك الدعوة ولى فى نجاحها مصلحة أكثر مما لصديقى « أحمد أمين » .. ولكن العقيدة الأدبية والإيمان الفنى أقوى فيما يبدو عند كل منا ، وأرفع من المصالح الخاصة والغايات الشخصية ، فعناقشتنا اليوم تقوم فى جوهرها إذن على الرغبة المجردة فى الوصول إلى غرض واحد : هو كيف نبلي بأدبنا العربى قمة الكمال ؟ .. الغاية واحدة ولا ريب ولكن السبل

---

(١) الكاتب والسياسى المشهور . صاحب المؤلفات القومية النزعة .

مختلفة ، « أحمد أمين » يرى أن أدبنا لن يصل إلى مرتبة الآداب الأوربية إلا إذا خاض مثلها فى طريق الحياة العامة فنقد الفاسد من أوضاع المجتمع ، وقوم المعوج ، واقترح وسائل الإصلاح ، ونادى بالنافع من العلاج ، والمستحدث من التنظيم ، وكان له من أعلامه قادة للرأى العام ، يصرونه بمواقع خطاه فى طريق التقدم الاجتماعى ، واتخذ من « أناتول فرانس » و « برناردشو » و « تولستوى » مثلاً يحتذى ..

وهنا يجدر بنا أن نسأل : هل من الحق أن الأدب الأوربى بلغ مبلغه هذا بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية ، أو بفضل قيمته الفنية ومزايه الأدبية ؟ .. وهل نزعات الإصلاح الاجتماعى هى اللون الغالب فى الآثار الأوربية ، أو أنها لون ليس بالغالب حتى فى آثار المؤلف الواحد ؟ ..

الذى أعلمه هو أن « أناتول فرانس » أديب ، وأن « برناردشو » مؤلف مسرحى ، وأن « تولستوى » قصصى .. وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجدل ! .. أما ميول « فرانس » و « شو » الاشتراكية ، ونزعات « تولستوى » الإصلاحية ، فهى نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال ، وتارة أخرى على أنها توابع أو ظواهر أو دلائل قد تفسر على ضوءها بعض أعمالهم الأدبية وآثارهم الفنية ! ..

إن الآداب الأوربية لم تحترم يوما فنانا أو أديبا لأنه مصلح ، ولكنها قد تحترم المصلح إذا كان أديبا أو فنانا : ولعل أبرز مثل لذلك هو « إبسن » فقد هزته أحداث بلاده السياسية والاجتماعية فكتب تمثيلات بروح الإصلاح ، مثل « براند » و « عدو الشعب » و « بيت العروس » الخ .. ومات « إبسن » وتغير مجتمعه ، ونظر الناس فى أعماله .. وكاد يهزأ النقد به وبآرائه فى السياسة والمجتمع ، لولا أنه . وهكذا مات المصلح فى « إبسن » وبقي الفنان ! ..

نحن الشرقيين تبهر عيوننا دائما كلمة « مصلح » بقدر ما نستهي

بكلمة « فنان » وإنى لا أنسى دهشتى يوم قرأت فى مجلة « ماريان » الباريسية نقدا للطبعة الفرنسية من « يوميات نائب فى الأرياف » ، للناقد المعروف « رامون فرنانديز » يقول فيه : إن القارئ لهذا الكتاب ينسى فى أغلب الأحيان المقاصد الإصلاحية التى حركت المؤلف لوضع كتابه ، بل إن القارئ يتمنى ألا يتغير شىء فى عالم هذه المخلوقات الإنسانية ..

صدمنى هذا القول ، لأننى كنت أعتقد أن مقاصد الإصلاح لها الاعتبار الأول فى مثل هذا النوع من الكتب ، وأن صفة المصلح هى التى يجب أن توضع موضع التقدير !..

لقد تحدث الدكتور « أحمد أمين » فى أكثر من موضع عن الروايات الغرامية ، وعرامة الحب ، بما ينم عن الازدراء .. فذكرنى ذلك من فورى برواية « شكسبير » : « روميو وجولييت » ، وقلت فى نفسى : ها هى ذى قصة ليس فيها إصلاح لمجتمع ولا نهوض بشعب ، وكل ما فيها عرامة الحب .. ومع ذلك خلدتها الإنسانية ، حيث طرحت ومزقت كثيرا من صفحات المصلحين وكتابات الهادين والمرشدين .. إن الإنسانية لأدري بما يسرها وأعلم بما يسعدها منى أنا ومن أخى « أحمد أمين » .. كم من المؤلفات المملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ، ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان .. ولكنها احتفظت بقصة غرام ، وقصيدة غزل ، ورواية حب عارم !..

وإذا كان حقا أن الزبد يذهب جفاء ، وما ينفع الناس يمكث فى الأرض ، فماذا نقول فى بقاء « روميو وجولييت » وفناء الكثير من القصص الإنكليزية الذى قصد به إصلاح المجتمع ؟ بل ماذا نقول فى خلود قصة « غادة الكاميليا » لـ « دوماس الصغير » وموت أكثر رواياته الأخرى التى عالج فيها موضوعات اجتماعية كلها جد وحسن قصد !..

كلا .. لا ينبغي أن نغلى على الفن اتجاهها بعينه ، ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة ، أو رداء الإصلاح الوقور ..! إلا أن يشاء هو ويرضى ، لأننا إذا أرغمناه سخر منا ، وجعل من أردية رزانتنا ووقارنا أثواب مساخر ، وقلب بسحره أثواب الهزل خلودا تنحنى أمامه الجباه على الرغم منا .. لقد أصاب « أندريه جيد » إذ قال : إن الفن لا ينبغي له أن يثبت شيئا ، ولا أن ينفي شيئا .. إن الفن العالى ليس أداة للجدل .. إنما هو شيء كالسحر ينفذ إلى النفوس فيحدث فيها أشياء .. إن الفنان ليس مصلحا ، ولكنه هو صانع المصلح .. كل أولئك المصلحين من ملوك وزعماء وساسة ، ما كَوْنُهم وهياهم لرسالات الإصلاح غير أدب الأدباء ، وشعر الشعراء ، وفن الفنانين ..!

إن الفنان هو المصلح ولا شيء غير ذلك ، أما أن ينزل الفنان بفننه إلى الميدان يناقش ويدافع ويهاجم وينافح ، فهذا ما لم نره حتى الآن فى فن استحق البقاء فى أى أمة من الأمم ، أو حضارة من الحضارات .. من الحق أن بعض أهل الفكر والفن قادوا الرأى العام فى بلادهم وبلاد العالم ، ولكنهم كانوا فى الواقع يفعلون ذلك باعتبارهم شخصيات عظيمة مفكرة ، من واجبها أن تسدى آراءها فى المسائل الكبرى ، لا باعتبارهم فنانيين يقحمون فنهم فى ميادين الشؤون اليومية . لطالما تحدث الشاعر « فاليرى » عن المشكلات الإنسانية التى تمس المجتمع العالمى الحاضر ، ولكن هل رأيناه وضع ذلك فى قصيدة واحدة من قصائده ؟ ..

إن قيادة الرأى العام واجبة على الأديب ، ولا ينسب « أحمد أمين » ندائى إلى الأدباء أن يتسلموا القيادة الروحية والفكرية فى أول هذه الحرب ، وما قام حول هذا النداء من جدل . ولكن الذى أراه خطرا على الأدب هو قهر الأديب على أن يتجه اتجاهها يعينه فى صميم فنه .. وحسبنا أن نتأمل حال الأدب فى البلاد الدكتاتورية التى كبلت وحي



الآداب بالقيود ، فلم تخرج من قلوبهم إلا كتابات مفتعلة ، تفوح برائحة واحدة ، كأنها خارجة من مطبخ واحد .. إن الفن هو الحرية ، حرية الفكر والشعور .. ولا منبع له إلا فكر الفنان وقلبه ، هما وحدهما الهاديان له .. إن الوعي الفردي هو روح الفن ، فإذا أردنا إبادة الفن واستئصاله من الأرض ، فلنقتل فيه ذلك الوعي الفردي .

ولقد أصاب صديق الطرفين الكاتب الكبير « العقاد » إذ قال فى تعليقه على مناقشاتنا هذه : « إن اتجاه التاريخ الإنسانى متقدم من الاجتماعية إلى الفردية » ، وهذا حق ، إذ الفردية هى عنوان الكرامة الإنسانية .. هى شعور الإنسان بقيمة فكره وإحساسه لا بفكر الجماعة وإحساسها .. إن الحيوان لا يفكر بفكره ، ولا يحس بإحساسه .. إنما هو يفكر ويحس بغريزة الجماعة كلها والنوع كله .. ولن يرقى الحيوان إلى مرتبة الإنسان إلا إذا استقل فى تفكيره وإحساسه .. إن الوعي الاجتماعى فى الحيوان هو الذى جعل الحيوان حيوانا ، والفردية : أى الحرية هى التى جعلت الإنسان إنسانا ..

على أنه لا ينبغى الخلط بين الفردية والأنانية ، فإنى حينما قلت : « إن الفنان الذى لا يقول « أنا » ليس بفنان ، كما أن العالم إذا قال « أنا » ليس بعالم » ، إنما قصدت المعنى الفنى لا المعنى الخلقى ! .. قصدت أن الفنان هو الذى يقول « إن الطبيعة جميلة » ، لأنى أراها جميلة ، أما العالم فلا ينبغى له أن يقول ذلك ، ولكن عليه أن يقول : « الطبيعة جميلة أو قبيحة ، ساكنة أو متحركة ، لأن البحث والتحليل والبرهان والدليل تودى إلى هذه النتيجة » ا

الفنان هو الذى يكشف عن الطبيعة من خلال نفسه ، والعالم هو الذى كشف عن الطبيعة من خلال المجهر ، وكلاهما يكمل الآخر فى بناء المعارف الإنسانية ، ولا ينبغى لأحدهما أن يلجأ إلى وسائل الآخر فى استجلاء الحقائق ، واستكناه الطبائع ..

إن الفن مصدره الشخصي ، والعلم مصدره الموضوع .. الفن  
شخصي ، والعلم موضوعي .. الفن يقول « أنا » أى « نفسى » والعلم  
يقول « هو » أى « الشيء » !..  
أما أن يخدم الفنان والعالم أمته وقومه فهذا واقع بالبداية والضرورة ،  
لأن آثار الفن والعلم لا تبقى ، ولا يمكن أن تبقى إلا إذا رأى الناس فى  
بقائها منفعة ، فلا ينبغي أن نقول للفنان والعالم : « اصنعا شيئا نافعا  
للناس » ، بل يجب أن نقول لهما فقط : « اصنعا فنا وعلما » !..

## منابع الفن المصرى

فى عام ١٩٣٣م عقب نشر كتابى « أهل الكهف » جاءنى أديب صحفى يحدثنى فى شأنه ، ويسألنى عما حملنى على اختيار موضوعه ، فأجبتة :

حملنى على ذلك شىء واحد : الرغبة فى كتابة مأساة مصرية على أساس مصرى .. إنك تعلم أن أساس المأساة الإغريقية هو « القدر » ..!..! هو ذلك النضال الهائل بين الإنسان والقدر ..! فهل تعلم ما أساس المأساة المصرية كما أتصورها ؟.. أساسها « الزمن » .. أساسها ذلك النضال الهائل بين الإنسان والزمن .. اقرأ « كتاب الموتى » تحس ذلك للفور ..! عند الإغريق هو « القضاء والقدر » وعند المصريين هو « الزمان والمكان » ، لكل من الشعبين تنين يخيف كتب على الإنسان قتاله ..! وأنت ترى أن « تنين » المصريين وهو « الزمان والمكان » رأسه فى هذه الأرض ، وذنبه فى العالم الآخر المجهول ..! نعم إن « مصر » لا يمكن أن تفكر فى غير الخلوص إلى حياة أخرى .. دائما ما وراء الطبيعة .. دائما الفلسفة الدينية .. دائما ذلك الفزع من الموت ، وذلك الأمل فى انتصار الروح على الزمان والمكان ..! وذلك الانتصار إنما هو فى « البعث » ..! بعث لا إلى عالم آخر ، لا يعرف الزمان والمكان ، وإنما بعث إلى عين هذا العالم ونفس هذه الأرض بزمانها ومكانها ، ولقد شيدوا الأهرام لتقوى — على هذا التنين — حصون الروح فى حربها المخيفة مع عناصر الفناء الآدمى ..! التحنيط كذلك اختراع آخر ، ولدته

ضرورة الدفاع فى تلك الحرب الضروس !.. أين تلك الحروب من حرب طراودة ؟.. لم تكن مصر فى حاجة إلى « هوميروس » منها يسطر أخبارها : لأن صليل تلك الحرب لا يوصف من قلم بشرى !.. إنها صيحات الروح تدوى طول الأبد من بين سطور « كتاب الموتى » .. إن أعظم مأساة لم تدون ، ولا يمكن أن تدون : « المأساة المصرية » !.. وبعد هذا تسألنى : ما الذى حملنى على كتابة « أهل الكهف » ؟.. إنها صورة ضئيلة وصدى خافت لتلك المبارزة بين « الزمن والإنسان » ، وفى قصتى « شهر زاد » صورة أخرى للمبارزة بين « الإنسان والمكان » .

— إذن أنتم تقولون باستيحاء الفكر المصرى القديم ؟..

— إنى أقول باستيحاء كل ما هو مصرى !..

— كيف نميز ما هو مصرى عما هو دخيل على مصر ، وقد دخلت

مصر وتداولتها حضارات مختلفة ؟..

— فى مصر أفكار ثابتة لم تتغير إلا قليلا ، منذ عهد الأساطير الأولى حتى اليوم ، ذلك لأنها متصلة بصميم هذه الأرض ومستوحاة من نفس طين هذا الوادى الخصيب ، ومن نفس هذا النيل الخالد ! إن أفكار الإنسان وعقائده ودياناته وخرافاته إنما تولد من مظاهر الحياة التى حوله !.. ما « اليونان » بأساطيرها وفلسفتها بغير البحر المتوسط وجزر « اليونان » ؟.. وما أساطير « النرويج » بغير الغابات وبحر الشمال ؟.. وما فلسفة « الهند » بغير نهر « الجانج » المقدس وأدغال الهند ؟! كذلك هل يتصور تفكير مصرى بغير هذه الأرض الخصبة البطحاء التى تلد الخير فى كل عام دون أن يصيبها العقم أو يبدو عليها الهرم ؟.. شبابها خالد ، هذا الشباب الذى تفهمه مصر حق الفهم ، وهى ذى آثار مصر منذ الأزل من تماثيل وصور على حيطان المعابد ، هل شاهدت فيها تمثالا واحدا يمثل إنسانا هرا ؟.. كل تماثيل مصر وصورها تمثل الشباب ، لأن

كل مظاهر الحياة فى مصر من أرض وماء وسماء فتية قوية رقيقة ، —  
تجدد وتبعث وتوحى بالحياة الدائمة !..

إن العمر لا وزن له فى مصر : آلهتهم وملوكهم وكهانهم وعبيدهم  
حليقون نخفاء ، لا يلدو عليهم عمر ولا سن ولا أثر واحد من آثار  
الزمن !.. شباب وفتوة وقوة كهذه الأرض السوداء البطحاء ، التى  
ما وعظها قط المشيب !.. إن الزمن لا وزن له عند مصر ، خوفا منه ،  
واحتقارا له ، أو حفيظة عليه . كل ذلك جائز !.. إنما الواقع أن مصر  
كانت تؤمن إيماناً عجيباً بانتصارها على الزمن رمز « العدم » بالبعث  
الدائم !..

فها هو ذا النيل فى انتظام يحيا ويموت مرة فى كل عام : موت  
وبعث ، وبعث ثم موت .. هكذا دواليك كساقية النيل ذات الجرات  
الحمراء !.. من هذا النيل خرجت أساطير البعث ، وفى هذه الأرض  
الجميلة الدائمة الخصب نشأت فكرة الخلود وقاتل « العدم » تشبها بهذه  
الأرض المحبوبة ، لم تخلق الآلهة جنة سواها ، فهى المرجع والمآب ، يموتون  
عليها ويعودون إليها ، موت ثم حياة ثم موت !.. وهكذا إلى أبد  
الآبدين .. لا الموت يفنى ولا الحياة تفنى .. شأن هذا النيل فى حياته  
وموته !..

تلك فكرة أساسية من أفكار مصر الثابتة .. ولدت فى العهد  
الفرعونى الوثنى الأول ، فهل تزايلت مع العهد المسيحى أو مع العهد  
الإسلامى ؟.. كلا : لم تتزايل ، ولم تكن مصر تقبل اعتناق المسيحية  
أو الإسلام ديناً لها ، لو لم تجد فى هذين الدينين فكرة البعث فى جوهرها  
ولبها !.. وقد رفضت مصر دين « إسرائيل » لخلوه من تلك الفكرة التى  
لا تعيش مصر بغيرها .. البعث هو نشيد مصر الخالد ، يغنيه النيل فى كل  
عام .. والنبات والطيور والسماء والشعراء !..

— إذن البعث والزمن من أفكار مصر الثابتة ، التى تصلح وحياً للأدب

المصرى الحديث فى رأيكم ؟..

– بلا شك ، وفكرة أخرى : قوة القلب .. بغير قوة القلب – أى قوة الإيمان والحب – ما كانت مصر تستطيع أن تنشئ هذا الفن العظيم الذى انتصرت به فعلا على الزمن ، ولا تزال تنتصر به عليه فى كل جيل .. وقلب الفنان المصرى الذى نحت تمثال « شيخ البلد » أو تمثال « نفر تيتى » ما زال ينبض بالحياة ، ويحس حياته رواد متحف « اللوفر » ومتحف « برلين » ..

– ومصر فى عهد المسيح والإسلام ..؟

– مصر فى العهد المسيحى ، كان فيها أدب قصصى دينى صوفى رائع ، تلمس فيه الشخصية المصرية بأفكارها الثابتة ووسائلها الخاصة ، أكثر مما تلمح فيه الطابع الرومانى ..

ومصر الإسلامية شيدت مساجد ضخمة المظهر ، قوية البنيان ، بسيطة التفصيل ، لولا أسلوب البناء الإسلامى لخلتها معبدا فرعونيا فى عظمة الأثر الذى تحدثه فى النفس .. ذلك أن فن العمارة الإسلامى يسمو بالزخرف لا بالبناء ..

والفن الفرعونى المعمارى يتفوق بالبناء لا بالزخوف ، لهذا السبب كان الفرق ملحوظا بين بعض مساجد مصر الشهيرة « قلاوون » و « السلطان حسن » الخ . وبين المساجد الأخرى فى غير مصر . وكذلك كلما استوحى الفنان المصرى تاريخ قلبه وأرضه أنتج فنا شخصيا لا صلة له بغير هذا القلب وهذه الأرض ..

وقس على ذلك الشعر والقصص الذى ظهر فى مصر الإسلامية مفعما بروح هذه الأرض لا بروح البادية أو وحي أمة أخرى ..

– وما قولكم فى الأسلوب الأدبى الذى يميز مصر ويطبعها بطابع خاص ؟..

– الأسلوب هو مزاج الفنان وطبيعته ووسيلته الخاصة فى إظهار

مكونون فكره .. أو هو الشخص كما قال « بوفون » ..! هذا صحيح إلى حد ما : إن الكاتب إذ يخلو إلى نفسه وقلبه ، ويترك التصنع والتقليد يستطيع أن يهتدى إلى أسلوبه .. لكن لا تظن الطريق هينا : ذلك الطريق الوعر الطويل بين الإنسان وقلبه ..! إن القلب البشرى لأعمق من أن يُستكشف قراره من أول نظرة ، إن قلب الإنسان يمر سحيفة رسخت فيها تجارب جنسه وأمه آلاف السنين ، طبقة فوق طبقة ، فعليه إذن أن ينزل طبقات هذه البئر .. وهأنذا أعود بك إلى نعمتي الأولى :

حتى الأسلوب. ينبغي لنا أن نبحت عنه فى أرض مصر وفتحها على مدى الأزمان!.. ولقد سبقنا إلى ذلك البحث أمم الغرب مع الأسف .. الفن الحديث كله من تصوير ونحت وعمارة ، انطلق يبحث عن وسائل جديدة للتعبير ، فوجدها فى مصر القديمة : وجد طريقة تركيب الأشكال المختلفة على قواعد هندسية « الكوبزم » ، وجد وسائل التعبير عن حقائق « الشكل » التى تخفى على العين العادية .. وجد أساليب الحركة والإضاءة فى التماثيل والأعمدة مما لا نظير له فى قوة الأداء وبساطته ، كل ذلك وجده الغرب ، وشيد على أساسه فنا جديدا ، ونحن نستطيع أن نجد أكثر من ذلك لو بحثنا طويلا وتأملنا مليا ..! إن كنوز قلوبنا العميقة لا قاع لها ، وهى أدنى إلى أيدينا من الغرباء ..

— وأى أسلوب اخترعوه لأهل الكهف ؟ ..

— لست أعرف .. على النقد أن يجيب ..! إن المؤلف لا يقع فى الخطأ إلا عندما يحاول الكلام فى عمله .. إن الإنسان لا يستطيع أن يرى ملامحه أو يصفها إلا بالمرآة ، والنقد هو المرأة ..!

— وهل ستقدمون « أهل الكهف » للتمثيل ؟ ..

— إنى لم أكتب هذه القصة للتمثيل ، ولو كان فى مقدورى معالجة الفكرة فى قصيدة أو صورة زيتية أو فى قطعة موسيقية لفعلت ..!

لقد كانت وسيلتى فى إخراج الفكرة هى الحوار ، ذلك القلب الذى

أحبه بين قوالب الأدب ، ومع ذلك أليست القصة التمثيلية أحيانا شكلا من أشكال الأدب ؟ .. لها كيان مستقل منسق كالقصيدة والصورة والهيكول الهندسى ، ذات جمال فى التركيب وتناسب فى الفكرة يوحيان باللذة الفنية لذاتها .. إن التمثيل أحيانا إن هو إلا مجرد تفسير وليس ضرورة أو غاية أو إنمما للقصة التمثيلية !.. إن مآسى « سوفوكل » ، ودرامات « كاليدياسا الهندى » و « فاوست » تأليف « جوتة » ، لهى كلها أدب صراح ، تدخل على النفس — بمجرد قراءتها — لذة فنية كاملة ، بغير حاجة إلى مسرح وممثلين .. ولقد أعدت النظر أخيرا فى مأساة « هيبوليت » لـ « أيرويد » فضلتها على « فيدر » لـ « راسين » مع أن « راسين » راعى مقتضيات المسرح فى عهده ، وحذف « الكورس » .. فوجدت أنا الجمال فى هذا « الكورس » المخنوف ، ووددت لو أستطيع إدخال « الكورس » فى قصة أكتبها .. نعم « الكورس » الآن فى أواخر القرن العشرين ، سأعيد إليه اعتباره يوما .. إنمما فى لون آخر ، وبروح أخرى مستمدة من « كتاب الموتى » وأوراق البردى<sup>(١)</sup> .. نعم إن « الكورس » الخفى الذى أسمع همسه

---

(١) أرسل إلى « أتين دريوتون » ، مدير مصلحة الآثار المصرية سابقا ، بحثا خاصا بالمأساة فى مصر القديمة ، ضمنه ترجمة دقيقة الأجزاء من حوار أبطال قصة مقدسة ، وكلام « الكورس » كما وجد حديثا فى بعض أوراق البردى . وقد أدهشنى جمال القطعة ، كما أنها قد كشفت للعالم « دريوتون » ولبعض زملائه من مشاهير علماء الآثار فى العالم عن منبع « المسرح الإغريقى القديم » ، إذ تبين أن هذه القطعة التمثيلية تشمل قسمين : قسم كلامى وقسم غنائى ، وأنها كانت تمثل فى المواسم الدينية . فالغناء إذن والكورس والرقص الدينى الذى عزا إليه « نيتشه » أصل التراجيديا الإغريقية إنمما يرجع إلى أصل أقدم منه هو التراجيديا المصرية القديمة ..



الغريب ، وآهاته المتقطعة ، ونوحه المخنوق ، ثم هدوءه العميق ، ثم نهوضه وصياحه وإعلانه الانتصار ، هو شيء بعيد عن المسرح ، قريب من المعبد ، عسير على الكلام تفسيره ، مستطاع للموسيقي وحدها التعبير عنه !..

## الثقافة الشرقية

إذا كنت قد أطلت الكلام فى روح « مصر » وتراث « مصر » فما ذلك عن رغبة فى حبس تفكيرنا فى حدود قومية ضيقة ، إنما أنا أرمى إلى غاية أبعد وأرحب .. إنى أريد دعم الثقافة الشرقية كلها ، والعمل على إنهاضها ، لتقف إلى جانب الحضارة الغربية قوية غنية . وهذا الغنى لن يأتى إلا إذا عكف كل بلد من بلاد الشرق فى أول الأمر على نفسه ، ليستخرج من بطن الأرض التى يحيا عليها كل كنوز ماضيها ، حتى إذا اجتمع لدى تلك البلاد قدر عظيم من تلك اللآلئ القديمة محلوة منزوعا عنها التراب ، صب ذلك الثراء كله فى معين واحد مشترك ، وقدم إلى الإنسانية باسم : « الثقافة الشرقية » ..!

على أن الذى يدعو إلى الأسف والألم أن بعض المفكرين الشرقيين أنفسهم يشكون ويشككون فى حقيقة وجود « الثقافة الشرقية » . أولئك هم الذين قد بهرته انتصارات « الثقافة الغربية » المسيطرة الآن على العالم ، فأعمتهم أشعتها الساطعة ، وأقعدتهم وأسجدتهم يسبحون بمجدها ، ويفركون أعينهم التى لا ترى شيئا غير هذا النور الكثير ..!

ذلك هو العمى ، والعقم ، والكسل . كذلك لا أقر تلك الفئة الأخرى من الشرقيين ، الذين يظنون أن التحمس للثقافة الشرقية معناه الجلوس متدثرين فى أطمار حضارات بالية يصعرون خدودهم ويصيحون بألفاظ نكرة مضحكة وفخر كاذب ..! وذلك أيضا هو العمى ، والعقم ، والكسل ..! إنما إنهاض الثقافة الشرقية لا يكون إلا بنهوض الشرقيين إلى

العمل ، فيبدؤون أولا بالجرى واللاحاق بما وصلت إليه الثقافة الغربية ..  
تلك الثقافة التى أضافت اليوم كثيرا على ما استطاعت أخذه من  
الحضارات الأولى !..

فثقافة الغرب – خصوصا فى العصر الحديث – لا تهمل شيئا أنتجته  
العقل البشرى فى أى عصر من العصور ، وفى أى بقعة من البقاع ،  
فالأوروبيون قد أفادوا من الفلسفة الهندية والصينية « شوبنهاور »  
و « نيتشه » ، وحتى من الثقافة العربية والشعر العربى « جوتة »  
و « هاينى » . ولكنهم طبعوه بطابع فنيهم وتفكيرهم ، ذلك أن حب  
المعرفة والاستطلاع لا يمكن أن يسمح لرجال الفكر الحقيقيين فالاقتناع  
بلون واحد أو الوقوف عند حد معلوم ، فالأوروبيون دائما يأخذون  
ما عند غيرهم من ثروة فكرية ليصبوه فى قالبهم !..

فأوروبا إذن على ثروتها وغناها الثقافى اليوم لم يخطر ببالها قط أن  
تتقاعد عن قطف ثمار أية شجرة أخرى !.. إن الفكر البشرى ليس له  
حدود « دولية » إنما هنالك المزاج الخاص ، والطبيعة الخاصة التى تكيف  
تلك الثروة المباحة التى تنهل منها كل ثقافة وكل حضارة !..

إن الحضارة الأوربية فى الحقيقة لم تخلق بيديها خلقا كل هذه القوالب  
المعروفة فى آدابها وفنونها ، ولا كل هذه النظريات الشائعة فى فلسفتها  
وعلمها ، فإن كثيرا من هذه القوالب والنظريات مأخوذ عن الشرق فى  
حالته الأولية ، ولكن الأوروبيين زادوا عليه ، وأضافوا إليه ، وأخرجوه  
ممهورا بأمضائهم ، ومطليا بشخصيتهم !.. وهذا فى الواقع عمل كل  
حضارة من الحضارات !.. ولا نستثنى من ذلك الحضارة الإسلامية  
نفسها فى عصورها الزاهرة ، فما هى إلا جماع أفكار وثقافات  
وحضارات أمم مختلفة ، صبها الإسلام فى قالبه ، وجعل منها لونا  
خاصا .

فالثقافة الشرقية إذن ، لا يمكن أن تكون اليوم بمعزل عن ثقافة أوروبا ،

ولا أن تغمض عينها عن هذه الثروة الهائلة ، فلنمد أيدينا إذن غير مقيدتين بسلاسل التقاليد أو العادات أو العقائد ، فنأخذ كل شيء ، ونهضم كل شيء ، ثم نخرج على روحنا القديم ، كل فى بلده ، فنستخلص الأفكار الثابتة المدفونة : إذ لا ريب أن كل بلد من بلاد الشرق فيه مناجم الفكر مفعمة متألفة لم تستخرج بعد . فالغرب على نشاطه الفكرى ونهمه الذهنى لا يستطيع أن يستخرج كل كنوز الشرق مثل الشرقى ، إذ لا بد أن تكون معوله قد ارتطمت بخواجز منيعة من أسرار طبيعة لا تكشفها غير طبيعة الشرقى وغرائزد ، وتجارب حكمته المتراكمة فى أعماق نفسه ، على مدى آلاف السنين !..

فإذا تم لنا ذلك ، فإننا نستطيع أن نطبع كل تلك الثروة وكل تلك المادة بطابعنا الخاص ، وعلى نحو ما حدث عندما اختلفت طبائع الدول الشمالية فى أوربا عن طبائع الدول الجنوبية ، ففرغت عن الثقافة الواحدة ثقافتان ، هما الثقافة اللاتينية ، والثقافة الأنجلو سكسونية ، ثقافتان لا تختلفان من حيث مقدار الثروة الذهنية ، وإنما تختلفان فى الطابع والمزاج والروح ، فإذا كان فى مقدورنا نحن أن نضيف إلى هاتين الثقافتين العظيمتين ثقافة ثالثة ، لا تختلف عنهما فى مبلغ ثروتها ومادتها ، وإنما تخالفهما فقط فى الطابع والطبيعة والروح ، ثقافة ثالثة حية نامية جميلة ، عليها خاتم شخصيتنا الشرقية ، يراها الغرب ، فكأنه يرى شيئا جديدا مستقلا ، قد أخرج لهم من صدر عبقرية جديدة ، — فإننا نكون قد أدينا رسالتنا إلى هذا العالم ، وأمكنا أن نساير الفكر البشرى فى طوره ، وأن نسهم بعملنا ومواهنا فى بنائه العظيم ، وأن نظفر أخيرا باحترام هاتين الثقافتين الحيتين القائمتين ، ذلك الاحترام الذى تنظر به إحداهما إلى الأخرى ، ويسترد « الشرق » عندئذ اعتباره فى نظر « الغرب » !..

## كتلة « الروح الشرقى »

سألنى سائل عن رأى فى « الوحدة العربية » فأحلته على آرائى السابقة ، وقلت له : إنى لم أغير موقفى ، فأنا على الرغم من رغبتى فى تكوين شخصيات فكرية مختلفة ووحدات سياسية مستقلة لكل أمة من الأمم العربية والشرقية ، - فإنى أحب أن نتذكر دائما أننا إزاء الغرب لنا صفة تجمعنا ، وينبغى أن نحافظ عليها : فأوربا اليوم عندما تبين لها خطر الحروب التى تقوض المدنيات ، قد ارتاعت وأرادت أن تحافظ على مصير ما تسميه « الروح الأوربى » ، فأقامت من أجل ذلك المؤتمرات ، دعى إليها كبار مفكرى الأمم الأوربية ليدرءوا الأخطار التى تهدد هذا الروح الأوربى المريض !.. ونحن الشرقيين لنا - من غير شك كذلك - ما نستطيع أن نسميه « الروح الشرقى » !..

إن طابعا الفكرى ، وطريقة نظرنا إلى الأشياء ، وتقاليدنا وإحساسنا بالجمال الذهنى ، ومشاعرنا نحو مظاهر الطبيعة المختلفة . أسلوبنا فى التعبير ، عن حقائق الأشياء ، - كل ذلك ينم عن عقلية خاصة ، وعبرية . مستقلة ، لا ينبغى أن تتحلل وتتزايل تحت طغيان موجة أقوى !.. فإذا نادينا بالوحدة العربية فإنما ذلك لندعم كتلة « الروح الشرقى » أمام كتلة « الروح الغربى » !..

## إحياء الثقافة العربية القديمة

سألتني مجلة عربية عن هذه المسألة ، فقلت :  
 تسألونني كيف نعمل على إحياء ثقافتنا العربية القديمة ؟ .. هل ماتت  
 هذه الثقافة حتى نطلب إحياءها ؟ .. إن الثقافات والحضارات لا تموت ،  
 ولكنها تهضم في ثقافات أخرى وحضارات أخرى ..! فالثقافة العربية  
 القديمة قد امتصتها واحتوتها الحضارة الأوربية القائمة ضمن الذى  
 امتصت وهضمت ، فمادة الثقافة لا تنعدم ، ولكنها تتحول إلى ثقافة  
 جديدة ، وتدخل في تركيب حضارة جديدة ، فالقول بإحياء الثقافة  
 العربية القديمة أو الثقافة الإغريقية القديمة ، قول لا أستطيع أن أفهم له  
 معنى .

فالحضارات إنما تقوم على الحضارات ، وهيكل الحضارة القائمة إنما  
 ينهض على طبقات متعددة من حضارات سابقة : فلو فرضنا المستحيل ،  
 وأردنا أن ننزل طبقات ونرجع إلى ثقافة قديمة بعينها وحالتها وكميتها  
 الغابرة فماذا نجد فيها غير شيء أولى إلى جانب ثقافة العصر الحاضر ..!  
 أما إذا كان المقصود من كلمة الإحياء ، لا إحياء الثقافة القديمة بعينها  
 وحالتها وكميتها ، إنما المقصود إحياء المجد الغابر والمكانة والازدهار الذى  
 لفت الأنظار إلى الثقافة العربية القديمة في عصرها فهذا شيء آخر ، وهذا  
 أمر ممكن لو عملنا واجتهدنا في سبيل إحداث نهضة ثقافية ، يشعر  
 بهزتها العالم المتحضر ..!

ووسائلنا في هذا ، هضم كل ثقافة موجودة قديمة أو حديثة وإخراج

ثقافة جديدة تتم عن روحنا وشخصيتنا الشرقية ، تستطيع أن تقف جنباً إلى جنب مع الثقافتين العظيمتين الحاضرتين : اللاتينية والإنجلو ساكسونية ..

أما الوسيلة الفعالة لتوليد ثقافتنا الشرقية الجديدة ، فإن الطريق إليها هو الطريق الذى اتبعته كل حضارة من الحضارات المعروفة ، أعنى به : « القيام بحركة ترجمة واسعة النطاق » ، ولا يعنى التلخيص عن الترجمة ، فنحن بإزاء نهضة فكرية يجب أن تشيد على دعائم قوية ..

وكما أن عصر النهضة الذى تلا القرون الوسطى فى أوربا قام على حركة ترجمة المؤلفات الإغريقية ، وكما أن نهضة الثقافة العربية القديمة فى عصورها الزاهرة قامت على حركة ترجمة المؤلفات الشرقية الحديثة ، الهندية والفارسية والإغريقية ، كذلك نهضة الثقافة العربية الشرقية الحديثة يجب أن تقوم على ترجمة أمهات المؤلفات الأوربية المعتمدة فى الفروع المختلفة ، وهذه المؤلفات من السهل معرفتها ، فما من أمة متحضرة ، وما من لغة حية إلا تحدث فى كتب خالدة معينة بالذات ، لابد أن تعرف فى لغتها وفى كل لغة حية ، وفى فرع الأدب مثلاً لا نجد اليوم لغة حية ولا أمة متحضرة ، لم تنقل إلى لغتها كل أعمال « هوميروس » و « سوفوكل » و « شيكسبير » و « مولير » و « جوتة » الخ .. وفى الفلسفة والعلوم والفنون أسماء كهذه يضيق بى المقام عن تعدادها هنا ، وهى على كل حال معروفة لكل مثقف ، ولكن المهم هو إجماع رأى فى الشرق العربى الحديث على القيام بحركة ترجمة عظيمة واسعة .. ولننفق فى هذا السبيل الأموال ، فإن ربنا سيكون عظيماً ، وسنشترى بهذا حياة لغتنا العربية ، وسنضع بهذا كل أساس نهضتنا الفكرية التى قد يسجلها التاريخ كنهضة للفكر الشرقى ، لا تقل فى أهميتها عن نهضة الفكر الغربى التى ختمت القرون الوسطى ..

## أثر أوربا فى أدبنا الحديث

سألتنى كذلك مجلة شرقية أدبية عن مدى تأثير الأدب الأوربى فى أدبنا العربى الحديث ، فقلت :

إن الحضارة لا تبلغ أوجها ، حتى تبسط جناحيها على العالم المحيط بها ، فتؤثر فى مجرى الأفكار فى كل شعب وقارة ، وتغير من طابع الأساليب المختلفة ، وتطبعها بروحها الخاص الذى جاءت به ، كذلك كانت الحضارة الفرعونية والإغريقية والرومانية والمسيحية والإسلامية الخ ..

واليوم الحضارة القائمة هى الحضارة الأوربية ، ولعل الحضارة الأوربية أشد الحضارات نفوذاً فى الشعوب على اختلاف ألوانها . ولعل هذا يرجع إلى تسخيرها العلم والطبيعة فى تيسير سبل المواصلات مما لم يعهده العالم من قبل ، فالسفن البخارية والقطارات السريعة والطائرات والراديو والسينما — كلها وسائل عجيبة فعالة فى سرعة إذاعة الأفكار الأوربية ونشرها .. إن الكرة الأرضية اليوم ليست إلا برتقالة فى مقلب هذا النسور الأوروبى ، ولا مناص لأمة من الأمم ، أن تجهل أو تتجاهل هذه الحضارة ، رضيت أو كرهت !..

لذلك كان من الطبيعى للشرق — ولا سيما أمم البحر الأبيض — أن تتأثر — إلى حد كبير — بالحضارة التى تهيمن اليوم ، لا على البحر الأبيض وحده ، بل على كل بحار الأرض !..

فالقول بأن الأدب العربى الحديث تأثر بالفكر الأوربى هو البديهة



بعينها ، وينبغي لهذا الأدب أن يتأثر بالحضارة الموجودة الحية ، إذا أراد أن يحيا ، وان ينتشر ، وأن يفهم ويعترف به فى الأرض عامة ، وفى بلاد هذه الحضارات المختلفة ، وجرى فى شرايينه الدم الفارسى والهندي والرومى ..!

والقول بأن الأدب العربى الحديث كان أشد تأثرا بأوربا بعد الحرب هو أيضا قول يطابق طبيعة الأشياء . فالاتصال الوثيق بين الشعوب ، واحتكاك الأفكار والمبادئ ، وتقدم المواصلات — كل هذا حدث بعد الحرب ، وتأثير الحرب على نحو فجائى قوى يشبه الطفرة ..!

ولقد أدرك الأدب العربى من احتكاكه بأوربا أن وسائل التعبير فى الأدب قد تطورت ، وأن الكتاب على اختلاف جنسياتهم قد تواصلوا على أن يلبسوا أفكارهم ثيابا متشابهة فى أغلب الممالك المتحضرة ، كما ألبسوا أهدانهم ثيابا متشابهة ، هى القبعة والسرة ، سواء فى ذلك الإنجليزى والفرنسى والروسى والإيطالى .. الخ . فكان من الطبيعى أيضا للأدب العربى الحديث أن يتأثر بهذا اللباس الأدبى الشائع ، كما تأثر الزى الشرقى إلى حد كبير بالزى الغربى .

على أن الزى أو اللباس شئ ، والروح أو الشخصية التى فى جوف هذا الزى واللباس شئ آخر ..! ومهما يكن اتحاد الإنجليزى والإيطالى والأسبانى والروسى فى شكل الزى ، فإن الدم الذى يجرى فى شرايين كل منهم مختلف كل الاختلاف ..!

لذلك أحب أن أقول لأدباء العربية الحديثة : لا تحنثوا مطلقا من إلباس أفكاركم الأثواب الأوربية ، على شرط أن يكون طابع هذه الأفكار وروحها شرقيا محضا ، وأن يحس القارئ الأوروبى إزاء أعمالكم أنه أمام نفس غير نفسه ، وشخصية غير شخصيته ، وإن كان الرداء ليس غريبا عليه ، لأن الرداء ليس ملكا لأحد : إنه ملك الحضارة ، والحضارة وليدة الحضارات التى سبقتها ..!

## الأدب العربي فى الماضى والحاضر

اعتاد الباحثون فى الأدب العربى أن ينظروا دائما إلى الماضى ، وأن يقصروا عليه كل جهودهم ، وأن يخصوه بكل التفاتهم ، زاعمين أنه لا أسلوب فى العريية إطلاقا إلا أسلوب « الجاحظ » ، ولا نثر عذبا إلا عند « ابن المقفع » ، حتى أدى هذا الزعم إلى حبس النشاط الذهنى على أثار الماضى وإلى الاعتقاد بأن يجد الأدب العربى الذى لن يعود إنما كان فى الماضى ..!

أثرت هذه العقائد فى تفكير الشرق العربى ، وكانت هى علة الجمود العقلى الذى أصيب به الشرق على مدى أحقاب ، حتى شعر الناس كأن باب الاجتهاد قد أغلق ، فما عادوا يسمحون لمداركهم أن تتذوق غير الأدب القديم ، وإن لم يفهموا مراميه ، ويشعروا بملاسات حياته ، وما عادوا يسمحون لأدباء جيلهم أن يخرجوا عن دائرة تقليد هذا القديم ، وإن أحسوا من أنفسهم القدرة على إبداع ما يناسب روح العصر الذى يعيشون هم فيه ..!

غير أن التحرر الفكرى الذى انطلقت نسماته أخيرا على ربوع الشرق قد عدل كثيرا من هذه النظرات ، فنحن اليوم لانخشى أن نبدع تحت وحي الحاضر إنتاجا يختلف عما أبدع تحت وحي الماضى ، ولا يخشى الناس أن يتذوقوا ويعجبوا بنتاج الحاضر ، كما يفعلون بنتاج الماضى ،

ولا نخشى أن نضع الماضى والحاضر فى ميزان المقارنة وميدان البحث .. نعم .. نحن اليوم قد تعلمنا أن نعتبر الأدب العربى شجرة واحدة نامية نستطيع أن ننقل عيوننا بين : جذعها وفرعها وأغصانها ، وأمسها ويومها وغدها ..! بل إننا لا نتحرج اليوم من الاعتقاد بأن مستقبل هذا الأدب قد يكون أئيع وأزهر من ماضيه ، على أن الجرة فى الحكم ما زالت تعوزنا ..

أذكر يوما جاءنى فيه أستاذ من أساتذة الأزهر ، فتحدثنا قليلا فى الأدب العربى ، فقلت له : إن أساليبنا اليوم فى الكتابة خير من أساليب كتاب العرب الأقدمين من بعض الوجوه .. فنظر إلى دهشا ، كأنه لا يصدق أذنه ، فأدركت أن قداسة القديم ما زالت تنسج على هذا العقل الجامد خيوط العنكبوت ..!

ولبثت وحدى أفكر فى الأمر ، وأسائل نفسى ، ما وجه العجب فى هذا التفضيل ؟.. إنى من المعجبين بفن الكثير من الأقدمين ، أمثال : « الجاحظ » و « ابن المقفع » . ولكنى مع ذلك لا أستطيع أن أقضى بغير هذا الحكم ..! على أن من التعسف أن تقوم المقارنة على هذا النحو ، فنحن الآن فى عصر مختلف كل الاختلاف عن العصور السابقة .. حقا إن إدراكنا اليوم للفن أوسع ولا ريب من إدراك « الجاحظ » و « ابن المقفع » كما أن إدراك « إينشتين » للعلم أوسع من إدراك « فيثاغورس » ..! هذا لا يمكن أن يقوم فيه جدال .. إنما الأمر الذى يصح أن نجادل فيه هو : أى الآداب ، وأى الكتاب استطاع أن يملأ عصره ، وأن يعبر عن روح عصره ، وأن يؤثر فى عصره ؟.. إنهم يقارنون أحيانا بين « فولتير » وبين « برناردشو » ..! فى رأى أن الأخير قد اكتملت لديه من الوسائل الفنية ما لم يتهيأ مثله للأول ..! إن « فولتير » لم يبلغ قط فى قصصه التمثيلية ما بلغته قصص « برناردشو » ، ولكن أيهما استطاع بكتاباتة أن يهز عصره هذا ، وأن يحدث فى تفكير

عصره تيارات قوية ، وأن يفرض وجوده على العروش والتيجان ، وأن يلقي بذور الانقلابات المقبلة فى نفوس الشعوب ؟.. ثم سؤال آخر يجوز فيه الجدل : أى الأديين ، العربى القديم أو الحديث ، استطاع فى جملته أن يقف إلى جانب الآداب الأخرى المعاصرة : ليؤدى معها رسالته إلى البشرية ؟.. إن المقارنة بين أدب الأمس فى ذاته وأدب اليوم فى ذاته يؤدى غالبا إلى ترجيح أدب اليوم .. إنما المقارنة يجب أن تكون بين أدب الأمس فى عصره وأدب اليوم فى عصره .. وهنا تختلف النتيجة بعض الاختلاف ١..

لا أحب مع ذلك أن أصدر أحكاما سريعة .. فإن الحكم يقتضى أسبابا مطولة .. وإن المقام ليضيق دون ذلك ١.. إنما أحب فى ختام كلمتى أن ألفت نظر هذا الجيل إلى أن يأخذوا الأدب العربى الحديث على سبيل الجد ، وأن يضعوه موضع الدرس إلى جانب الأدب القديم سواء بسواء . وأن يكثروا من المقارنة بينهما إذا شاءوا ، كما يقارن الإنسان بين الزهرة والزهرة فى شجرة واحدة ، وبين الثمرة والثمرة فى أعوام متعاقبة ، فإن فى ذلك تذكيرا لهم بأن الأدب العربى كائن حتى : يتطور ويتغير ، ويتلون ويتأثر باختلاف الفصول والعصور !..

## كرامة الفكر

القوة الحقيقية للقلم هي أن يستطيع أن يقول ما يريد ، وقتما يريد أن يقول ..! » ، والرجولة الحقيقية هي أن يندل المرء دمه وماله ، وراحته وهنائه ، ودعته واطمئنانه ، وأهله وعياله ؛ وكل أثير عنده وعزيز عليه ، فى سبيل شىء واحد : « الكرامة » ، والكرامة الحقيقية هي أن يضع الإنسان نفسه الأخير فى كفة ، وفكرته ورأيه فى كفة ، حتى إذا ما أرادت الظروف وزن ما فى الكفتين رجحت فى الحال كفة رأيه وفكره ..! كل عظماء التاريخ كانوا كذلك ، بل إن مصر الفقيرة اليوم فى العظماء قد عرفت ذات يوم رجالا كثيرين من هذا الطراز ..! رجال لم يترددوا فى تضحية كل شىء من أجل فكرة .. والنزول عن كل متاع من أجل رأى .. يمثل هؤلاء الرجال ربحت مصر كثيرا فى حياتها المعنوية والفكرية .. بل إنى لا أبالغ إذا قلت إن الأمم لا تبنى ولا تقوم إلا على أكتاف هؤلاء ..! وإن الخطأ المخيف هو يوم تخلو أمة من أمثال هؤلاء ..! نعم وإنه ليخاجنى الآن شىء من القلق : فناموس اليوم هو وطء الفكرة بالأقدام ركضا خلف الجاه الزائف والمال الزائل ..! لقد حق لنا جميعا أن نسأل هذ السؤال : هل يطول غضب الله علينا فلا يظفرنا بهؤلاء العظماء الذين يستطيعون أن يردوا الاعتبار إلى قيمة الرأى . ويطهروا النفوس من درن المادة ، ويعيدوا المثل العليا النبيلة إلى مجدها القديم .. .

\* \* \*

هذا قول قلته منذ أعوام ، وأقوله اليوم أيضا .. وأنا واثق أن فى مصر عددا كبيرا من العقلاء الذين يستطيعون تمحيص المسائل ، وبحث المشكلات ، وإبداء رأى الذى ينفع البلاد .. ولكنهم يطرون الرأى فى الصدور ، أو يهمسون به فى الأذان .. ولا يعرضونه بجرأة ، أو ينادون به فى إيمان ، خشية أن يتعرضوا لهجوم ، أو يلحق مصالحهم ضرر موهوم .. هذا التنحى من الناضجين والأكفاء عن المشاركة فى توجيه الرأى العام ، هو الذى يوجد فى مجال الآراء حالة تشبه الحكم المطلق أو الدكتاتورى ، إذ تستبد فكرة واحدة بعقول الناس ، ويطغى رأى واحد على تفكير الجماهير .. فتؤمن دون مناقشة بالقول الغالب ، وتنساق دون وعى بالرأى الجارف .. فنحن — فى حقيقة الأمر — الذين نفرض بأنفسنا على أنفسنا الحكم المطلق ..! لا دستورنا ، ولا نظام الحكم لدينا .. نظامنا الديمقراطى لا يمنعنا من الحرية .. ولكننا نحن الذين ننزل عنها راضين ، لأننا لا نريد أن ندافع عنها أو ندفع عنها .. إننا نفضل دائما أن نقبل رأى غيرنا الذى لا نؤمن به ، على أن ندفع فى سبيل رأينا بعض الجهد أو بعض الغرم .. ما من نظام فى الوجود يكفل الحرية لإنسان ، يخشى أو يكسل أو يهمل فى إبداء رأيه الحر ..!

\* \* \*

إذا أردتم الحرية والكرامة الآدمية فافحصوا كل رأى بعقولكم . ولا تقبلوا جزافا وبغير تفكير آراء غيركم ، حتى ولو كان أصدق أصدقائكم ..!

إن الكلب على مروءته محتقر .. لا لشيء إلا لأنه قبل بلا صعوبة أن يضع أصدقائه فى عنقه قيلا وإن كان من ذهب ..!

## من النيل إلى السين - ١

قرأت رسالتك إلى على وجه « الأهرام » ذلك الوسيط الصادق بينى وبينك ، والرسول الأمين بيننا وبين الناس ، نحملة ما شئنا وما شاءت أفقدتنا من آمال وأحلام ، بل هو ذلك الحمام الزاجل لهذا العصر ، نطلقه بين ضفتى نهرين ، ونافذتى قارتين !..

إني أكتب إليك الآن هذا الرد وأنا أطل على النيل ، وقد اتخذ لون الفضة فى هذا الشتاء ، وأتخيلك الآن واقفا تنظر إلى السين فى لونه الفيروزى الصافى ، ماشيا الهوينى تتصفح بين أن وآن الكتب القديمة المعروضة فوق حاجز النهر ، كما كان يفعل صديقك « أناطول فرانس » ..

نعم إنك تثير فى نفسى ذكريات .. رسالتك قد أعادتني إلى ذلك الماضى يوم كنت أقطع كل صباح ذلك الطريق بين « كاتدرائية نوتردام » حتى جسر « دورسيه » فى الضفة الشرقية ، لا أترك كتابا حتى أتصفحه ، كان نصف تحصيل العلم فى أول أمرى من تصفح الكتب جلسة بغير مقابل ، ألتقط من كل كتاب فكرة أو فكرتين ، كالعصفور يلتقط من كل سنبلة حبة أو حبتين ، وأتخاشى أن ترانى عين البائع المسكين ، وهو أيضا فنان فى أغلب الأحيان ، يهيمه اقتناء النادر من المجلدات ويزهو بعرضها أكثر مما يهيمه أمر بيعها . ولقد أضحككتنى ذات مرة عبارة فى كتاب مشهور كنت أتصفحه ، فباغتتنى نظرة البائع فحججت أن أ طرح الكتاب بعد ذلك ، فاضطرت إلى شرائه بالمال الذى

ادخرته لغدايى ..

نعم لقد كنا هناك نجمع أعقاب العلم من كل مكان ، كما يجمع  
الغلمان فى مصر أعقاب « السجائر » .. إلى أن اتسعت أذهاننا بالمران  
فصرنا نلتهم الأسفار التهاما ..  
إن « باريس » عندنا لم تكن قط امرأة ، إنما كانت كتابا مفتوحا هو  
« سفر الحياة العليا » ..

أما هنا .. فالنيل جميل حقا ، لست أنكر ذلك ، وإنى لأرى الآن  
طرف « الجزيرة » الممتد فى الماء ، كأنه مقدم سفينة ، وأبصر فيها  
النخيل والأشجار خضراء داكنة ، كأنها ليل شعرى يخفى تحت ستره  
الحبين ، ولكنى لا أرى على ضفتى هذا النهر الرحيب العظيم غير قصور  
صغيرة متناثرة بيضاء وصفراء وخضراء ، كأنها بعض طيور الماء .. جمال  
طبيعى لا ريب فيه ، ولكنك لا ترى فيه بعد يد الحضارة النشطة ، فلا  
حواجز ممتدة ، ولا تماثيل منصوبة ، ولا كتب معروضة ..

أعترف لك أنى لا أقرأ فى مصر كثيرا ، وهل فى مصر بعد شيء  
يدفع إلى القراءة ؟ .. إن مصر ليست كتابا مفتوحا ، إنما هى هيكل قديم  
مغلق يحوى كنوزا ، قد ضاع مفتاحه ، فعلينا قبل كل شيء أن نفتح بابه  
ونستخرج ما فيه . ليس من الخير أن نظل طول الزمن نتغنى بمفاخر هذا  
الهيكل ونحن نائمون على أعتابه ، ولكن المصلحة كلها فى أن نذكر  
أنفسنا دائما ، بما فينا من كسل ونقص وخمول ، وأن نهب على أقدامنا  
للعمل .

وعلى ذكر العمل أريد أن أسألك سؤالا :

أما زال المقيم فى « باريس » يحس هذا الجو المعنوى المشبع بالنشاط  
الذى يغرى بالعمل المتواصل دون كلال ؟ لعل أهل مصر لا يعرفون هذا  
الجو ، وإنك لتستطيع أن تحدم بلادك لو وصفته لنا فيما تصف « ، هذا



الجو الذى ينتشر فى كل مكان ، فى القهوة حيث ترى الجالسين يكتبون ويقرعون أو يتحدثون حديثا خافتا سريعا كله عزم ، ثم يتناولون قهوتهم السوداء فى جرعة أو جرعتين ، ويخرجون قافزين إلى « الأتوبيس » أو هابطين إلى « المترو » السفلى لينصرفوا إلى العمل ، فلا جلوس مستلما فى غير طائل ، كما نفعل فى مقاهينا نخلق بأبصارنا فى الرائحين والغادين ، ولا قهقهة عالية نصخب بها ونحن ننفخ دخان الشيعة ، ولا مناقشات مدوية فى العسلاوة والترقية ، ولا صيحات للعردة ، ولا ضوضاء بسبب الرد .

نعم .. أو ليست تلك كل حياة الملايين من المصريين فى أوقات فراغهم ، بعد عمل قليل لكسب اللقمة ؟ فهى بالقياس إلى ما تراه الآن حولك فى « باريس » لا يمكن أن تسمى حياة .. فالحياة هى العمل واللهو ، ونحن لا نعرف حتى كيف نلهو ، لأننا لا نعرف كيف نعمل . ولعل مصيبة العاملين فى مصر — وهم نادرة — أنهم لا يعرفون أين ولا كيف يلهون ، بعد نهار شاق ممتلىء بالإنتاج ، فلا أوبريت فنية مصرية ، ولا مسارح تلقى فيها شمس الهيئة الاجتماعية ، ولا « صالونات » لنساء عظيمات تتقابل فيها أساطين البلاد ، ولا أندية ليلية راقية يعرض فيها ظرفاء الأدب والشعر والفن كلماتهم اللامعة ، ونكاتهم البارعة ، وأخبارهم ونوادهم وأغانيهم .. لا شئ فى ليالينا المصرية يمكن أن ينم عن الروح المصرى والذوق المصرى ، بينما كل شئ فى الليالى الباريسية يدل على الروح الباريسى والذوق الباريسى .

إن الحياة بمعناها الرحب العظيم لم تدب بعد فى « وادى النيل » إنما تلك الحياة الصغرى التى لا تخرج عن شئون الأكل والشرب والمتعة الوضيعة هى وحدها المعروفة الآن ..

وبعد ، فإننى أرجو لك إقامة طيبة فى محيط تلك الحياة الحقيقية التى  
أنت فيها الساعة ، وأرجو منك أن تحرص على كل دقيقة من دقائقها ،  
وأن تروى ظمأك بحسنها العلوى ، وتتبع نفسك بجمالها الروحى ؟..  
وهنيئا لك ؟!

من رسالة إلى « أحمد الصاوى محمد » فى عام ١٩٣٧ م .

## من النيل إلى السين - ٢

جاء فى آخر رسالتك الماضية ذكر للأكل والشرب ، وقلت بحق إننا حتى فى هذا أيضا لم نبلغ شأن الأمم المتمدنية .. صدقت والله ، صدقت .. إن كل شىء فى الحضارة موضوع تقنن وابتكار .. إن الرجل المتحضر هو الذى يعرف كيف يعمل ، وكيف يأكل ، وكيف يلهو .. وما من أدب من الآداب العريقة إلا وفيه فصل عن الطعام ، فإذا فتحت « العقد الفريد » لابن عبد ربه أو « مقامات بديع الزمان » وجدت أوصافا تسيل لللعاب فى ألوان « السكباجة » و « الطهباجة » ، وإذا راجعت كتاب « بول ريسو » الأديب الفرنسى عن فن الأكل لوجدت فيه هذه العبارة الظريفة : « إن استكشاف لون جديد من ألوان الطعام لأنفع للإنسانية من استكشاف نجم جديد من نجوم السماء .. » وإنك لتعلم فيما تعلم عنى أنى أحب الجيد من الطعام ، وأنى كثير التبديل والتغيير للطهارة ، فبحقى عندك إلا أكلت لى وباسمى ثلاثة أزواج من « المحار البرتغالى الأخضر » وطبقا من « الكاسوليه » التولوزيه التى أحبها ؟ .. ولا أوصيك بحساء البصل فأنت أدرى منى أين تجده وتطلبه ؟ .. وبعد ! .. أما وقد فرغنا من أمر بطورنا فلنتجه إلى شعون عقولنا .. لقد راقنى وصفك للإضراب العام فى « باريس » ، وقولك إن تعطيل طرق المواصلات من « ترام » و « مترو » و « أتوبيس » فى بلد كباريس لم يعطل لحظة نشاط الباريسيين ! .. هذا صحيح .. إن ضرب باريس نفسها بمدافع الألمان أيام الحرب لم يؤثر لحظة فى حياتها العقلية

والذهنية والاجتماعية ، فقد كان رجال العلم فى معاملهم وقاعات بحثهم هم هم : ينظرون إلى عالمهم اللانهائى من خلال « المكركوب » و « التلسكوب » ، ورجال الأدب هم هم : يستقبلون تحت قباب الجامع الأدبية زملاءهم بذلك النثر الذى سيبقى على التاريخ ، ورجال الفن هم هم : يعرضون نتائج ابتكارهم ، واتجاهات مذاهبهم فى المعارض والصالونات .. والمسارح هى هى : تعج بالمشاهدين والناقدين .. وأندية الليل هى هى : بظرفها وشعرها وخفة روحها !..

أما فى مصر ، فكل هذا غير معروف ، فإنه ليكفى أن تنشر جريدة فى صفحتها الأولى أو التاسعة خبرا سياسيا هاما ، حتى تجدد مصر كلها من أقصاها إلى أقصاها لا تتكلم إلا فى هذا الخبر ، ولا تقلق إلا بترديد هذا الخبر ، السبب فى ذلك بسيط ، إن حياتنا فوضى ، أو هى حياة أولية « سلبية » لم تتكون فيها عوالم منظمة متألقة يعيش فيها الناس .. فإنك لا تستطيع مثلا أن تقول فى مصر « عالم الأدب » و « عالم العلم » و « عالم الرياضة » و « عالم السياسة » الخ الخ ، بالمعنى المفهوم لهذه العوالم فى أوروبا ، فإن كل طائفة من هذه الطوائف عندنا لم تستطع حتى الآن أن تنظم نفسها تنظيما يؤهلها لحصر جهودها المنتجة فى منطقة معينة بالذات !.. وقد نشأ عن ذلك أن الطائفة التى فى يدها القوة واللقمة وهم رجال السياسة ، قد برز عالمهم كالشمس فطغى على الآخرين ، وحما من الوجود تلك العوالم الأخرى النافعة التى كان ينبغى ألا تقل عنها إشراقا ، فنحن إذن لا نعيش كما تعيش الأمم الكبرى ، ومجتمعنا على وضعه الحاضر مجتمع ابتدائى . فإلى أن يهتم الناس بأشياء أخرى غير السياسة وأرقى من السياسة – وكل شىء فى الوجود هو فى الحقيقة أرقى من السياسة – إلى أن يعنى الناس بشئون الفكر ولذات الفكر ، وينفقون فى الكتب والمتاحف والمعارض وقاعات المحاضرات بعض اللحظات .. إلى أن يكون لرجل العلم ورجل الأدب ورجل الفن فى

مجتمعنا عين الاحترام والاهتمام الذى يقابل به رجل السياسة .. إلى أن تكون للمظاهرات الأدبية والعلمية عين الهزة والضجة التى تكون للمظاهرات السياسية .. إلى أن نترك هؤلاء البضعة القليلة من السياسيين المحترفين يصيحبون ويصحبون فى نواديهم ، وننصرف نحن المفكرين إلى نواديها وبمجامعنا الفكرية ، ونحن الرياضيين إلى نواديها الرياضية ، ونحن الماليين والاقتصاديين إلى نواديها المالية والتجارية .. إلى أن تتعدد نواحي النشاط فى البلد ، ويذهب هذا النوم والخمول الذى شمل كل جانب إلا ذلك الجانب العقيم : السياسة .. إلى أن يحدث كل هذا فلا أمل فى المجتمع المصرى ، فلندع الله أن يتدارك هذه الأمة برحمته ، فهو مغير الأحوال ، والسلام ..11

من رسالة إلى « أحمد الصاوى محمد » عام ١٩٣٧ م .

## من مشكلات الفكر

أثارت صحيفة إنجليزية مشكلة ليست يسيرة الحل .. وهى فيما يبدو من الظواهر الشائعة اليوم فى كثير من الأمم .. تلك هى مشكلة الأدباء والمؤلفين وموارد رزقهم .. فلقد كادت تنقرض الآن أسطورة المؤلف الثرى .. ذلك أن أزمة الورق فى إنجلترا ، ومشكلات النقد ، وقيود الاستيراد الدولية ، - أنقصت إلى حد كبير عدد المطبوع من الكتب ، فلم يعد ربحه يكفى لإطعام المؤلف .. وليس كل مؤلف يستطيع فوق ذلك أن يضمن لكتابه النشر ، حتى وإن كان من المجيدين أو المعروفين ، فإن للناسحين حصة محدودة من الورق ، وعلى كل منهم أن يعد قائمة بمؤلفيه ، ويعين لكل نوبته فى أسبقية الطبع .. أمام كل هذه العقبات : ماذا يصنع المؤلف لينتج ويعيش ؟ .. استطلعت الصحيفة آراء طائفة من الأدباء .. فأجمعوا رأيهم على أن تأليف الكتب لم يعد يضمن رزقا لمؤلف ، وأن على الأديب أن يتخذ له حرفة من الحرف ، أو وظيفة من الوظائف ، أو عملا بإحدى الصحف ! ..

إنها حقا لمحنة أن يعجز الفكر الصبر عن أن يكفل لصاحبه حياة مستقلة فى هذا العصر ! .. ولكن ما هو الحل ؟ ..

فى فرنسا تكفلت الحكومة عقب الحرب الأخيرة بشراء بعض مقالات الأدباء ، لتقيهم شر الموت جوعا ، وجعلت توزع هذه المقالات على الصحف ، داخل بلادها وخارجها ، قاصدة من وراء ذلك إلى نشر الدعاية للثقافة الفرنسية .. ولكن هذا ليس بالحل الطبيعى الذى تلجأ إليه

حكومة فى كل حين !..

أما فى بلادنا فالمشكلة قائمة على أشدها .. فالحكومة أبعد من أن  
تعنى بتأليف أو مؤلفين .. ومع أن عدد الأدباء المنقطعين لحرفة القلم  
قليل .. إلا أنهم قد تركوا لمصايرهم يدبرون لأنفسهم أمر معاشهم .. ولما  
كانوا لا يحسنون عملا غير حمل القلم فقد احترفوا الكتابة على كره  
منهم !..

ترى ماذا يحدث لو التفتت إليهم الحكومة قائلة : « يجب أن تنقطعوا  
للفكر الصرف كل الانقطاع .. أما معاشكم فيأني سأدبره لكم .. » .  
إذا فعلت الحكومة ذلك ثم اقتضت من الأدباء بعدئذ الثمن ، وأرادت  
تسخيرهم فى خدمة أهدافها السياسية أو أهوائها الخزية ، فإن الحال  
تنقلب شرا مما كانت .. ولخير للأديب أن يموت جوعا من أن يبيع روحه  
لشيطان السلطان .. ولكن .. لنفرض أنه وجدت الحكومة التى تترفع عن  
هذا الصغار !.. ولنفرض — أكثر من ذلك — أيضا أنها تورعت عن  
التدخل فى إنتاج الأديب ، وانها جردت من سلطانها حارسا يحمى حرية  
الأديب فى التفكير والإبداع ..  
لنفرض أن هذه الحكومة أو « العنقاء » يمكن أن توجد .. فماذا  
يكون الحال ؟..

ما من شك أن الأدباء سيتوفرون على الفكر الخالص وحده ..  
وسيكرسون جهودهم لخدمة الفن الرفيع ، بعيدا عن كل اعتبار ..  
وسيحلقون فى أدبهم وتفكيرهم تحليقا قل من يتابعهم فيه ، أو يلاحقهم  
فى التصعيد إلى قممه !..  
إنه الفكر المستكفى بذاته ، قد امتطى صهوة السحب .. ليشرف من  
سمائه على جموع الناس !..

\* \* \*

على هذا الوضع بخيل إلينا أن المسألة قد حلت .. ولكن صوتا من أعماق الجموع يرتفع قائلا : أنسيتم أنكم فى عصر « الجماعات » البشرية المتبقطة ، التى أصبحت لها حقوق فى كل زاد مادي ومعنوي ؟! .. بأى حق تحبسون عنها هؤلاء الأدباء فى تلك الأقفاس المرتفعة ؟ .. وتدثرونهم بهذه السحب القصية ؟! .. لماذا تحرموننا — نحن الشعب هذا الاتصال المباشر بهذه العقول الممتازة ؟! .. نحن — الناس فى جموعها وألوفها — لاتصل أيدينا الفارغة الفقيرة إلى الصحف السيارة والمجلات المنتشرة .. أتريدون أن نقرأ فيها الفارغ الفقير من الكلام فى كل الأحوال ؟. أليس من حقنا أن نلقى فيها أدبيا من هؤلاء الأدباء الذين تريدون أن تجعلوهم وقفا على الخاصة ؟! .. إلى متى — هذه النظرة الأرستقراطية القديمة إلينا ؟. إن العالم قد تغير .. وإن الأديب الذى ينكرنا ، ويأبى أن ينفعنا ، وأن يمد يده إلينا — ولو فى أعماق طيننا ، وفى حمأة وحلنا ، وفى وصمة جهلنا — هو أديب مترف بغيض ، بل هو كمدعى النبوة المترفع الكاذب الذى يخشى على ثيابه أن تدنسها أوساخ الطريق .. وعلى سمعته أن تلطيخها خطايا الفجرة .. فلا يهبط من مقصورته العالية لينتشل من الجماهير ولو نسمة واحدة صالحة للهداية أو الرقى !..

\* \* \*

بين هاتين الصورتين ماذا يصنع الأديب ؟. وإلى أيهما يتجه ؟. إلى الفن الخالص الذى يناديه من أعلى .. أو إلى الجموع العطشى التى تناديه من أسفل ؟! .. أو يظل معلقا كالقرد .. يد فى العلو ويد فى السفلى ؟! ..

مشكلة أخرى لآبد لها من حل !..



## بين جيلين

جاءنى ذات صباح أديب شاب .. وقدم إلى رواية مصرية ألفها ونشرها فى كتاب .. وهو مزهو فخور منتعش ، كشجرة آتت ثمارها .. فحملت كتابه فى يدى بعناية وحنان ، أقرأ العنوان .. ثم شرعت أقلب بعض الصفحات ، وإذا حركة بالباب تبلغ أذننى ، فرفعت عينى فوجدت فتاة لطيفة المظهر أنيقة الملبس ، مشرقة الوجه ، وضاحية الجبين ، — تستأذن وتدخل وتجلس ، قبل أن تمنحنى وقتا لرد أو جواب ، ولم تنتظر منى كلاما ، فقد انطلقت هى تقول بلسان فصيح وحنان ثابت :

إنى قارئة ساخطة ثائرة .. جئت أوجه إليك سؤالاً واحداً ، ماذا تصنع الآن ؟ .. مضى العام تلو العام ، دون أن يظهر لك كتاب فى السوق : أهى الصحافة التى شغلتك ؟ ..

وأشارت بيدها إلى جو الحياة الصاخبة الذى يحيط بمكتبى ! ..

\* \* \*

والتفت إليها لأجيب .. ولكن الشاب سبقنى صائحا بحماسة : أمن الضرورى أن يؤلف هو وينشر ؟ .. أليس فى الدنيا كتب أخرى جديدة بالقراءة تظهر فى كل حين ؟ ..

فنظرت إليه الفتاة دهشة ، ثم نقلت بصرها إلى كالمستأثلة ! .. فوجدتنى أهز رأسى موافقا مصادقا مؤمنا .. فعادت إلى الشاب قائلة :

— إننى أسأله هو عما يشغله !..

فقال الشاب بقوة وتدفق :

— ما لنا وماله !.. فليشغل نفسه بأى شىء خيرا من أن يملأ مائتين  
أو ثلاثمائة صفحة يجعلها قصة يتقدم بها فى كل موسم .. حتى يقال إنه  
دائب على الإنتاج .. ما كان أسهل عليه أن يكرر نفسه !.. ويخرج  
حلقات لا تنتهى على غط « عودة الروح » أو « عصفور من الشرق »  
أو « الرباط المقدس » أو « المسرحيات الاجتماعية والذهنية » أو يستغل  
على الأقل كتب التاريخ ، يستخرج منها قصصا لا تنفذ ، وينشر فى كل  
موسم ما تشائين ويشاء أمثالك لمجرد النشر أو الكسب أو إثبات الوجود  
أو إظهار النشاط !..

— أترأه يستنكف من فعل ذلك .. أو لا يرى له جدوى ؟!..

— اطرحى عليه هذا السؤال .. ها هو ذا أمامك ..

فالتفتت إلى الفتاة لحظة ، ثم انصرفت عني يائسة إلى الشاب :

— إنه يهز رأسه دائما .. أجب أنت .

— ولماذا أجب عنه .. ولماذا تصرين على الكلام فى شأنه ؟!.. إذا  
أردت فىئنى أحدثك عن نفسى . فأنا ولا شك ملم بكل تفاصيلها ، وأنا  
أديب ومؤلف وروائى و ..

— عجباً !. ولكنى لم أجيئ لأتحدث إليك !.

— هذا خطأ منك أيتها الأنسة ! لو كنت مكانك لسألت توأ عمى  
يكون هذا الشاب الموهوب الذى تدخل فى الحديث بهذه الشجاعة ،  
وطلبت أن يقدم إلى ، وأن يحدثنى ، عن كتابه الذى ظهر حديثا ،  
لأطمئن على أن الأدب بخير .. سواء ألفت صاحب هذه الحجرة أو لم  
يؤلف ، ونشر كتباً أو لم ينشر .. عاش أو لم يعيش ..

— إنها حقاً لشجاعة ، بل جرأة !. إنك تتدخل على نحو !..

— لا تنظرى إلى صاحب الحجرة .. إنه لن ينقذك منى ، ولن يتكلم

.. ولن يبت برأى .. إنه كما ترين يجيبك دائما بهز رأسه .

— هذا صحيح ، وأنت ، هل تعرفه منذ زمن طويل ؟

— أعرفه منذ خمس عشرة سنة ، كنت يومئذ فى الخامسة عشرة ، وكان أهلى فى البيت يتحدثون عن « عودة الروح » ولكنى لم أحفل بقراءتها شخصيا إلا عندما بلغت العشرين .. فى ذلك الوقت نشأت مع كثيرين من أقرانى فى الجامعة وشباب جيلى ، وشببت معهم وهم يلغظون ويتناقشون فى الرواية المصرية الطويلة التى شق طريقها .. ويقسمون بحماسة الصبا أنهم سوف يمضون فى هذه السبيل ، ويخرجون يوما روايات مثلها وخيرا منها عن حياتنا القومية ، وقد بر بعضهم بوعده ، ونشر قصصا على جانب كبير من الطرافة والافتان !.. وأستطيع أن أؤكد لك — أيتها الأنسة — أنى أحد هؤلاء النابغين !.. أقولها بكل صراحة ، وبكل تواضع !..

— إنى متأكدة من صراحتك وتواضعك .. وعلى الرغم من كل شىء ، ثقتى أنى بدأت أهتم بأعمالك .. ولكن ، ألا تسمح لى قبل ذلك أن أعرف شيئا قليلا عن الأمر الذى جئت اليوم من أجله !؟..

— تفضلى !.. ماذا تريدان أن تعرفى ؟..

— السؤال بالطبع ليس موجها إليك .. أردت أن أعرف كيف يتركه الله العالى ، لينزل إلى الكتابة فى الصحف ..

— والله لقد حيرتموه !.. إذا ارتفع بفنه قلم كيف لا يهبط إلى الناس : يشعر بشعورهم ، ويدرس أحوالهم ويعرف أنباءهم ، ويعرض شكواهم ، ويدافع عن حقوقهم !.. فإذا فعل عدم فقلتم : أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة .. نصيحتى لك أيتها الأنسة ألا تلقى هذه الأسئلة السخيفة !.. لا تؤاخذينى !.. إن من يكتب لمئات الألوف ، ويستطيع أن ينفعهم بعض النفع ، ويرتفع بهم بعض الارتفاع ، هو رجل يؤدى خدمة عامة !..

— وفنه ١٩..

— ما من فنان يستطيع أن يهمل فنه وإن أراد !.. ولعلك تخططين بين الفن وبين إنتاج الكتب فى كل موسم !.. تخططين بين الفنان والمعلم ، بين المنتج والتاجر !.. ماذا تسمين ذلك الذى يسكت عندما ينبغي له السكوت .. عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة ، يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاربه ، ويراقب أحوال الناس ، وتطورات المجتمع .. ويراجع أعماله القديمة ، ويبحث — صامتا صابرا — عن طرائق للتعبير الفنى جديدة !.. إن النشر يا آنستى سهل ، ولكن الصعب هو البحث الطويل فى الظلام !.. ولعلك تجدينه الساعة مشغولا بالبحث عن نوع من الفن ، لا علاقة له بكل ما عالج من قبل .. » الفن طويل والحياة قصيرة « !.. تلك كلمة « جوتة » المشهورة !..

إن من يريد أن يمسك بتلابيب « الفن » ، فى حياته المحدودة .. يجب أن يقفز فوق كل تكرار لا غناء فيه !.. وأن يركض خلف سراه فى كل طريق حتى القبر !..

\* \* \*

وسكت الفتى ، ونظر إلى كأنه يسألتنى : هل أصبت ؟.. فتلقى منى الجواب هزة من الرأس أيضا .. أما الفتاة فقد أكبرت كلام الشاب الأديب وقالت :

— اسمح لى أن أبدي إعجابى بفهمك للفن .. وأن أسألك عن كتابك !.. فإننى مشوقة إلى قراءته .. فى أى المكتبات أجده ؟..

— أسف كل الأسف يا آنسة !.. إننى لم أجد هنا إلا بنسخة واحدة .. ولكن إذا أذنت فإننى أرافقك الآن إلى أقرب مكتبة ، وأقدم لك نسخة ممضاة .. ألدبك ما يقيقك هنا الساعة ١٩ ..

— لا داعى لبقائى .. نستطيع أن نذهب توا !..

ونَهَضت في الحال وحيثنى تحية سريعة ، وانصرفت .. ونهض الشاب  
لينصرف في إثرها بعد أن حياني هو الآخر تحية سريعة ، ولم يكذ يبلغ  
العتبة حتى بدا له رأى ، فعاد أدراجه إلى واقترَب منى هامسا راجيا :  
- المكتبات الآن مغلقة .. أكون شاكرًا لو تفضلت ، ورددت إلى  
هذه النسخة لأهديها إليها .. أما أنت فسأحضر لك نسختك غدا .. إن  
المستقبل أولى من الماضي !..  
فما تمالك أن مددت يدي إليه بالنسخة .. وأنا أغمز له بعيني راضيا  
باسما :

- صدقت ! .. وإنى لأراه مستقبلا مشرق الوجه وضاح الجبين !..

# فى السىاسة والاعتماع

## « هستريا » السياسة

أسمع هذه الضوضاء التي ارتفع صدها إلى أبراجنا العاجية ،  
فأفسدت علينا هدوءنا وتفكيرنا ؟ .. لعلك قائل معنى : « هستريا  
السياسة » أصيب بها هذا البلد دفعة واحدة .. نعم ، الأمر لا شك  
خطير ، ما دام قد استطاع أن يصل خبره إلينا ، فيؤثر في أعصابنا  
وإنتاجنا نحن المعتصمين في أبراج الفكر الهادئ ، وإذا وصل بخار  
« السياسة » إلى تلك القمم الباردة في أمة من الأمم فأندر إذن بالويل ،  
وتنبأ بأن رأس الأمة قد لعب به الداء .. فما رأس الأمة في حقيقة الأمر  
إلا مفكروها المجردون ..! وإنك لتذكر ما كان من أمر « جوته » شاعر  
الألمان يوم زلزلت الدنيا بثورة يوليو الفرنسية ..! فقد دخل عليه صديقه  
الأديب « أكرامان » يزوره ويتحدث إليه ، فبادره « جوته » صائحا :  
- « لقد أرسل البركان حممه ، واشتعلت النار في كل شيء ..! » .  
فقال « أكرامان » :

- « نعم إنه لحدث جلل ، هذه الثورة الفرنسية ..! » .

فعجب « جوته » وقال ساخرا :

- « كلا ، لست أعنى تلك الثورة ، إنما أتكلم عن تلك المساجلة  
العلمية التي نشبت في موضوع « أصل الأنواع » بين العالمين « كوفيه »  
و « جعفرى سانت هيلير » تحت قبة « المجمع العلمى » ..!

هنا أيها الصديق كل مجد « ألمانيا » في الماضي ، بل كل مجد البشرية  
العليا ..! إن رعد الثورة ، وصياح التوار لم يبلغ صدها أبراج العلم وقمم

الفكر ..! هذا الرأس قد ظل ثابتا لم تلعب به « السياسة » ، هادئا  
لا يتأثر بإنقلاب أو فتح أو حرب إلا ما وقع فى ميدان العلم والفكر ..!  
ولقد انطفأ فعلا لهب الثورة الفرنسية ، ومضى بدخانها ورماد أشلائه ،  
وبقى رأس « جوته » شامخا مضيئا فى عليائه ، رمزا للفكر الإنسانى  
الخالد ..!

ينبغى أن نتدبر قليلا هذا البلاء خوفا على رؤوسنا أن يصيبها دوار  
« السياسة » فلا تبصر شيئا فى هذا الضباب الشامل ، وخشية على  
الناس أن يتمكن منهم الداء ، فيذهب بألبابهم ، ويدفعهم إلى التقاتل  
والتناحر ، ويغرى الشبان منهم باقتراف الإثم وارتكاب الجريمة ، ويشغل  
المنتجين منهم عن الإنتاج ، ويصرف الأمة قاطبة عن العمل المفيد ،  
ويوقف تلك النهضة التى كادت تعود إلى هجعة مضطربة ، تحت أقدام  
كابوس ..!

إننا لا نستطيع أن نصبح فى الناس ، وإذا صحنا من هذا العلو فما  
صيححاتنا إلا همسات ثمر فوق بحر من العراك والصياح والهتاف تعج به  
وتصخب أمة بأسرها ، هل لك فى أن تنادى معى من برجك :  
أيها الناس : اتركوا السياسة للسلاسة ، فإنهم ليسوا فى حاجة إلى  
حناجركم ، ولكنهم فى حاجة إلى هدوئكم وانصرافكم إلى أعمالكم ..!

من مساجلات مع « منصور فهمى » ١٩٣٧ م .



## جموح الديموقراطية

ما تقول هو الواقع !.. إن تفشى المادية وجموح الديموقراطية لمن أظهر الأمراض الاجتماعية اليوم !.. ولعل الأولى نتيجة الثانية فقد فهمت الديموقراطية فهما غريبا ، فهى اليوم مطية ذلول لمن يريد سرعة الوصول !.. ولقد تراحم الناس فعلا على ركوبها فجمحت بهم وانطلقت تهدم الأخلاق وتحطم المثل العليا !.. إنك لن تجد اليوم كثيرا من طراز أولئك الرجال الذين عاشوا متعفين .. لا مطمع لهم غير تلبية نداء الحق والواجب فى صوت جهير وخلوص ضمير !..

لقد مضى ذلك الزمن الذى كان يجلس فيه العالم قابعا فى أطماره ، يلقي الحكمة على سامعيه ويجرى عليه الخير ليعيش ثم يموت ولم تعرف يده ثقل الجنيهاات ، فقد كفها أن عرفت ثقل القبالات ، يضعها عليها رجال الحكم والسلطان ، مضى ذلك الزمن الذى كنا نرى فيه الجاه والمال عاجزين عن انتزاع الطبيب من واجبه الإنسانى ، والقاضى من عدله المنزه ورجل الفقه من فتاواه المجردة ، والأستاذ من بين تلاميذه ودرسه ، ورجل الدين من بين تابعيه وزهده !.. الآن نستطيع بترقية أو بعلاوة لا تعدو جنيهاات أن نلعب بلب أكثر هؤلاء ، وأن نصرّفهم عن ميادين نشاطهم الطبيعى ، وأن نغريهم بمناصب لا صلة لها بعملهم ولا بفضلهم ، وهذا ما يحدث كل يوم ، فقد ماتت المثل العليا !.. وهذا ما أفقر دور العلم والفكر ، ودور الدين والزهد ، ودور العدل والفقه ، ودور الفن والأدب من أربابها ، وزج بهم إلى التلاحن والتسابق فى

## ميادين المادة والوصول ..!

هنا أيها الصديق كل الخطر ، فإن تفشى المادية والوصولية فى جسم الأمة لا يخيفنى بقدر ما يخيفنى دنو الدواء من رأس الأمة ، أى خاصتها وقادة الرأى فيها !.. إن هذا الرأس هو المحتاج الآن إلى العلاج ، ولكن كيف ؟.. ما هى تلك العملية الجراحية التى تخرج من هذا الرأس صديد المادية ، وتطهره بماء القناعة والروحانية ؟.. كيف نستطيع أن نذكر الناس اليوم أن أقوى إمبراطورية على الأرض وقفت ذات يوم — وخلفها أساطيل البحر والجو — مكتوفة اليدين حائرة أمام رجل هندي خلفه عنزة ؟.. ثق أن فى الإمكان صنع الأعاجيب ، لو استطعنا أن نعيد إلى الخاصة حسن ظنهم بـ « الأخلاق » ، وصدق تقديرهم « للمثل العليا » !.. ينبغى أن يؤمن الناس بألا أحد أعظم ولا أقوى من الرجل الذى لا يشتري بمال ولا بجاه . نعم إن من ملك قلبا حارا ولسانا حرا ، ولم يكن له فى زينة الحياة مطمع ، — فهو وحده الذى يستطيع أن يسود العالم !.. ألا ترى معنى أن « المثل العليا » المحطمة فى حاجة إلى أن توضع من جديد شاذخة فوق عروشها الرخامية الجميلة !!..

من مساجلات مع « منصور فهمى » .

## الإيمان بالمثل العليا

تسألنى عن أقرب الأسباب لإعادة حسن الظن بالأخلاق ، وتقوية الإيمان بالمثل العليا .. هنا كل المسألة .. ولست أدري من يبدأ بالعمل ومن يعطينى المثل ؟ .. أهم الأفراد أم هم أصحاب السلطان ؟ .. ولقد ذكرت « عمر بن الخطاب » وزهده فى متع الدنيا ، وفى يده مفاتيح الكنوز وتحت قدميه دول وعروش ! .. هذا حقيقة خير مثل لصاحب السلطان ، ينبغى أن يضرب للأفراد والمحكومين كى يقتلوا به ويؤمنوا بأن العظمة الحقيقية لا تعرف الحرص على المادة ، ولكن الدرس والمثل قد يأتى أيضا من الفرد المحكوم ! ..

وما إخالك تنسى موقف ذلك العالم الفاضل « الشيخ الطويل » يوم دعاه « الخديو » فأبى إلا أن يذهب إليه بعباءته البالية الممزقة التى عليه ، فلما ألح عليه الناصحون أن يرتدى عباءة جديدة صاح فيهم : أهو يريد رؤيتى أنا أم رؤية العباءة ؟ إن أراد العباءة فها هى ذى أحملوها إليه ، وإن أرادنى أنا فلانى أذهب إليه كما أنا . وما إخالك تنسى كذلك موقف علماء الأزهر يوم دعاهم « نابليون » الظافر وأراد أن يزين صدورهم بالنياشين ، فراحه أن رأى أيديهم الغاضبة قد انتزعت نياشينه ، وألقت بها إلى الأرض فى حضرته ، فلم يغضب وابتسم ، وعلم أنه أمام رجال يحترمون أنفسهم ! .. وهو أول من يدرك أن الانتصارات والجيوش لا قوة لها ولا حيلة أمام رجل يحترم نفسه ! .. فأنت ترى معى أن الدرس الخلقى قد يأتى من صاحب السلطان ، كما يأتى من الفرد المحكوم ! .. المهم فى

الأمر أن يوجد المثل الحى للأخلاق الحرة النزيهة العظيمة ، فى أى طبقة  
وأى بيئة ، وأى زمان ..!

وأعود فأجيبك على سؤالك الآن ، فى غير تردد :  
إن أقرب السُّبل إلى إعادة حسن الظن بالأخلاق والمثل العليا هو  
وجود المثل بالفعل ..! هو ظهور رجل واحد ومثل واحد حتى نراه  
بأعيننا ، ونسمع صوته بأذاننا ، ونلمسه بأيدينا ، ونتبعه بأفئدتنا !  
ولكن هل كل مجتمع قدبر على إخراج مثل هؤلاء الرجال ، أو أن أولئك  
لا يظهرون إلا فى مجتمع يهبئهم للظهور ..؟

( من مساجلات مع « منصور فهمى » عام ١٩٣٧ م ) .

## داء الكلام

هنالك أمر آخر يدعو إلى قلقى على مستقبل نهضتنا .. إن أول شىء يحزننى حقيقة - وأرجو أن يكون قد استزعى نظرك على الأقل - هو أن « الكلام » له عندنا دائما كل القيمة ، أما « العمل » فلا يسأل أحد عنه !.. إن « الشكل » هو الذى يعيننا ويخلب منا اللب .. أما « الجوهر » فلا نكاد نلتفت إليه !.. إن « الوسيلة » تنقلب عندنا دائما إلى « غاية » .. لعلك قرأت فى كتابى « يوميات نائب فى الأرياف » كيف يهتم رجال الضبط أحيانا بتنميق تحرير المحاضر ، وملء القسائم أكثر من اهتمامهم بالقبض الفعلى على الجناة .. ولعلك رأيت فى محيط حياتنا العام كيف أن عشرين عاما قد مضت على مصر ، ونحن لا عمل لنا إلا الصباح بملء أفواهنا هاتفين بكلمات الحرية والاستقلال !.. ولقد نبذنا كل شىء ، وتركنا كل عمل من أعمال النهضة الحقيقية ، جلسنا نتقاذف أقوالا ونردد كلمات .. إلى أن شاء القدر آخر الأمر أن ينقذنا من هذا التكاثر والقعود ، فقال :

« هاكم الاستقلال !.. » .

فقلنا :

« هات » !.. ثم أخذنا هذه الكلمة ، وجلسنا كما كنا ، لا ندرى ماذا نصنع بها ؟.. نحن نقع دائما فى الحيرة كلما تركتنا الظروف وجها لوجه أمام العمل المنتج ، وكأننا لا نجد فرجا ولا مخرجا إلا فى الصباح والجدل !.. إنى لأخشى أن تظهر فى الأفق كلمات أخرى ، أو أن نخترع

موضوعا جديدا للتصايح ، يشغلنا من جديد عن المضي الجدى فى حركة النهوض المنشود ..!

آه .. العلة كلها ها هنا .. إن روح العمل وعبقرية الخلق ثمار لم تلق بعد بذورها فى أرض مصر ..! حاجتنا شديدة إلى هذا الصنف من رجال العمل ، الذين لا يصرفهم عن الخلق والبناء شىء فى الوجود ..! إنك ولا ريب تذكر « نابليون » فى غزوته لروسيا ، وكيف خذله البرد والجليد ، غير أنى أريد منك أن تذكر ماذا فعل هذا الرجل عندما وجد نفسه محصورا فى تلك الأصقاع ، لا يدرى ماذا يفعل ..! أستغفر الله ..! إن الرجل العظيم يعرف دائما ماذا يصنع ، ولا يطبق مطلقا أن يقعد دون أن يخلق شيئا ، فهو لم ينفق وقته فى صياح ، ولم ينتظر الغد مستلقيا على ظهره ، ولكنه شمر فى الحال عن ساعديه للعمل ، وجعل وهو فى كربه وضيقه يفكر فى إصلاح بلاده ، ويضع بالفعل وهو بعيد عنها ، الأسس اللازمة لتنظيم الحركة الفكرية والاجتماعية فيها ، وكان من بين تلك المنشآت مشروع « الكوميدي فرانسيز » ، إحدى منائر الثقافة الفرنسية فى العالم ، وكذلك فعل هذا الرجل فى « مصر » ، يوم حطم خصومه أسطوله وانقطعت صلته بوطنه ، فلم يضعف عزمه ، ولم تفتر روح العمل فيه وقال :

— لم لا أصنع فى « مصر » حضارة أخرى ؟..

وشرع من فوره يبنى دعائم المعاهد العلمية ، ويضع أحجار النظام والاستقرار لطرائق الحكم وأسباب العمران ..! ولكن ، من المسئول عن موت روح العمل المنتج فى هذه الأمة ؟.. أهم رعوسها الذين عودوها سياسة الكلام ؟.. أم هى الأمة نفسها التى لا تحب ولا تحتمل بعد غير هذا الصنف من الطعام ؟..!

( من مساجلات مع « منصور فهمى » عام ١٩٣٧ م ) .

## البرنامج أولا

ما دمنا قد اتفقنا على أن « العمل » قد حان له أن يحل محل « الكلام » ، وما دمت يا صديقى قد طلبت إلى أن أمضى فى ذكر التفاصيل ، فإننى أقول لك إن أول ما ينبغى عمله هو وضع « البرنامج » ، وقد ترد علىّ بأن « البرامج » هى أيضا مما يدخل فى منطقة « الكلام » ، ولكن ما الحيلة إذا كانت حتى هذه الخطوة الأولى فى سبيل العمل لم نخطها بعد ؟ .. إن كل النهضات التى قامت بها الحكومات الحديثة فى بلادها - خصوصا بعد الحرب - قد تمت وفق منهج مرسوم ، وتحدد لتنفيذها زمن معلوم .. فقالوا :

هذا « نظام خمسى » وهذا « نظام عشرى » تبعا لعدد السنوات التى قرر الأخصائيون أنها لازمة لظهور المشروعات ، فأين نحن من هذا ؟ .. أتستطيع مثلا أن تقول لى : هل وضع نظام ثابت لمحو الأمية من البلاد فى ظرف سنوات معلومة كما فعلت العراق ، حتى نرتب على هذا الحدث نتائج اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية نواجه بها هذه النهضة القادمة ؟ .. يمكنك أن تقول لى : هل هنالك مشروعات اقتصادية ، درسها الخبراء وقرروا لها زمنا تتم فيه ، وتخرج للبلاد فى نهايته ، وسيلة جديدة من وسائل الإنتاج تزيد الثروة الأهلية الزيادة التى تتعادل مع نمو عدد السكان ، وتسد الحاجات المنتظرة والمطالب المستقبلية ؟ .. أو أننا سنظل دائما كما نحن ، وكما كنا منذ أن أدخل الخديو « إسماعيل » فى مصر

زراعتى القطن والسكر ، لا نفكر فى مصدر جديد للثروة نفعنا فى الغد ؟.

وهل فى مقدورك أن تقول لى : هل درس الباحثون سياسة ثابتة للتعليم الجامعى ، وخطة واضحة لتوجيه الثقافة العامة فى نهضتنا ؟.. وإلى أى مدى ننحو نحو الحضارات القائمة ؟.. أو أننا سنبقى حيارى فى حقائق المعرفة ، لا ندرى ماذا نأخذ وماذا ندع ؟.. فأنت ترى أنه لم يوضع شىء بعد - حتى على الورق - لتحديد العمل والزمن مما يقتضيه التنفيذ لمختلف فروع نهضتنا ، بل إنه لم ينظر إلى الآن حتى فيما يجب البدء به حالا من هذه المرافق المختلفة ، تبعا لحاجة البلاد ، حتى لا يضيع علينا الوقت ، فهل أنت ما زلت من المتفائلين ؟..!

من مساجلات مع « منصور فهمى » عام ١٩٣٧ م .



## فساد الدولاب

حتى على فرض فراغنا من رسم الخطط ووضع البرامج ، فالباقي بعد ذلك كثير ، بل إن مجرد السير الآن فى طريق العمل عسير ، إذ بمن نعمل ؟.. إن الأيدى العاملة قد لحقها الفساد ، فهى مثل « تروس » الساعة المختلة ، تدور فى غير حدود . فيد الوزير أحيانا تمتد إلى الأنظمة والأوضاع تقلبها رأسها على عقب ، دون أن تصغى إلى كلام أصحاب الاختصاص من المرعوسين ، وإن الموظف مهما يكبر ، ومهما ينبغ ، لا يعدو أن يكون تابعا يتلقى أمر رئيسه ، ويؤمن على رغباته ، وإن علم أن فيها الضرر لمصلحة البلاد ..! وهكذا أهدرت الشجاعة الأدبية ، وجبت النفوس عن تحمل المسئولية ، بل إنه ليحدث أكثر من ذلك ، فإن المسألة الفنية لتعرض أحيانا على لجان الأخصائيين ، يبحثونها فى شهور ، فيأتى وزير يضرب بنتيجة البحث الطويل عرض الحائط ، ويؤشر بقلمه الأحمر مناقضا ما جاءت به اللجنة ، كأنما هو يتحدى تلك العقول ، ليظهر أن رأيه « المرجح » لساعته خير وأحكم من آراء المختصين بعد درس شهور ، ولكن الأدهى والأمر أن يجد فى أكثر الأحيان من بين موظفى وزارته ومن هؤلاء الأخصائيين أنفسهم من يقول له : « آمين ، آمين ..! » فهل يمثل هذا الدولاب الحكومى نستطيع أن نسير فى تنفيذ خطة أو برنامج ؟.. فىلى أن يعلم الوزير كيف يحترم رأى موظفيه المختصين ، وإلى أن يفهم هؤلاء الموظفون كيف يحترمون آراءهم ، وإلى أن توزع الأعباء والمسئوليات بين الوزير ومعاونيه ، ويحل النظام محل

الفوضى في علاقة الرئيس بالمرعوس ، فلن تكون الأداة الحكومية صالحة بعد للسير الجدى في تنفيذ مشروع من المشروعات !.

وإنى أسوق إليك مثلاً صغيراً للإدارة الحكومية الصالحة ، ما ذكره يوماً صحفى أمريكى قال : إنه ذهب لمقابلة وزير خارجية « إنجلترا » قبل إعلان الحرب العظمى ليسأله عن موقف « إنجلترا » من ذلك الحدث الهائل الذى يهدد العالم . فوجد الوزير مطرقاً فى مكتبه ، وإلى جانبه وكيل وزارته الدائم ، غارقاً بين تقارير فنية ووثائق تاريخية ، فرفع الوزير رأسه وقال للصحفى : « تسألنى عما إذا كنا سندخل الحرب ١٩٠٠ .. لست أنا الذى يستطيع أن يجيب الآن عن هذا السؤال الخطير !.. ثم أشار إلى وكيل وزارته وقال « إن وكيل الوزارة يبحث الموضوع من كل وجوهه ، وهو وحده الآن صاحب الكلمة ، وعليه تقع التبعة ، ونتيجة أبحاثه هى وحدها التى ستنبئ لنا الطريق كسياسيين ، فنقرر إذا كان من واجب « بريطانيا العظمى » دخول الحرب ١٩٠٠ ..

من مساجلات مع « منصور فهمى » عام ١٩١٩ م .

## الحرب بكل الأسلحة

كارثة أخرى من الكوارث التي نكبت بها مصر ، وهذا الغلو والإغراق في الخصومات ، فإذا اختلفنا على رأى فنحن أفيال هائجة تدوس كل شيء وتحطم كل شيء ، إن في كل بلد راق حدودا مقدسة تقف عندها الخصومة وأسلحة لا يلجأ إليها أبناء الوطن الواحد ، فإقحام الدين مثلا في ميادين الخلاف السياسي أمر لا يمكن أن يحدث اليوم في أى شعب ديمقراطى متحضر ..!

فالديمقراطية ليست كلمة تقال في الخطب ، لأنها جميلة ذات رنين ، ولا هي بناء شامخ يسمونه « البرلمان » ، ولكن الديمقراطية هي روح المساواة والإخاء وحرية الفكر المكفولة للجميع ..! وإن كل طعنة تصيب كتلة الوطن فتحللها إلى عناصر أو طوائف إنما هي طعنة مسمومة تصل مباشرة إلى قلب الأمة وصميم الديمقراطية ، كذلك ينبغي أن نتذكر دائما أن الخصم في المبدأ هو مواطن مصرى قبل كل شيء ، وأن خصومة المبادئ ليست معناها القضاء المبرم على الأشخاص بكل الأسلحة ، وتعطيل كل أدوات المنفعة التي ترجى منهم في وقت من الأوقات ، فليس من حق مواطن أن يقضى على مواطن آخر قضاء يخرجه إلى الأبد من ميدان النفع العام وإنما الغرض الذى يسعى إليه الجميع هو خدمة الوطن وحده ..! فلتكن الخصومة في حدود التنافس على القيام بخدمة المجموع ، وليعتقد كل فى خصمه أن عجزه يوما بعد خدمة بلاده على الوجه المطلوب لا يمنع من استطاعته ذلك فى يوم ، فلتكن إذن السهام (تحت شمس الفكر) ١٢٩

المصوبة من طرف إلى طرف فى غير مقتل من الشخصية والأدمية  
والشرف ، فليس من مصلحة الوطن أن تفرش أرضه بصرعى وقتلى من  
أبنائه العاملين ، إنما المصلحة هي فى أن تتداول السواعد إدارة العجلة ،  
وأن تنهيا لكل يد الفرصة لخدمة البلاد !..

( من مساجلات مع « منصور فهمى » عام ١٩٣٨ م ) .

## نعيم الانتخابات

معذرة يا صديقي إذ أقطع اليوم سلسلة مناقشتنا الإصلاحية ،  
لأتحدث في خاطرة مرت بى ، ولعلها مرت بك ، فالأفكار الآن  
لا يشغلها غير أمر واحد : الانتخابات .. يخيّل إلى أن موسم الانتخابات  
نعيم لكل الناس إلا للمتقدم إلى الانتخابات : ويل لهذا المتقدم !.. إن كل  
خطوة يخطوها إلى الميدان نفقة وغرامة ، فهو لا يحرك رجله قبل أن يدفع  
مائة وخمسين جنيهًا « رسوم الامتحان » ثم يسير فاتحًا جيوبه بالمال ،  
وعيون به بالحرص والحذر ، وفمه بالكلام والخطب والوعود .

أما نحن — معشر النظارة والمتفرجين المحايدين — فهو لنا تسلية أمتع من  
سباق « الدربى » !.. وإنى لأرى الناس حولي مبتسمين يتحدثون فى  
أخبار هذه « الملهاة » بلذة واهتمام ، وأرى فئة العارفين والحقائق  
يستعرضون المرشحين ، ويوازنون بينهم كما يوازن أهل الخبرة بين كرام  
الجياد ، وهى تبختر فى المضمار فوق العشب الأخضر قبل بدء  
السباق !.. على أن النعيم الحقيقى فيما أرى هو من نصيب الفلاح  
المسكين .. هذا المخلوق العارى القدمين الذى يجوع أكثر الأسبوع ،  
ولا يرى وجه القرش إلا مصادفة كما نرى نحن وجه الحظ عابرا فى  
طريق الحياة . هذا الذى يسمونه إنسان بحكم النوع وهو فى الحقيقة  
لا يستزعى التفات إنسان !.. هذا الآدمى المهمل الذليل لا يرد اعتباره  
ولا تعود إليه آدميته إلا فى أيام الانتخابات ، فإن « صوته » الضائع مع  
الريح كأنه صوت كلب ضال ، وهو اليوم (صوت) له خطره وله

سعره ، وله طلابه ، وله من يجرى خلفه ، ويقدره ، ويدفع فيه نقودا ، وهذه المعدة الخاوية التي لم يدخلها غير الفجل والجبن ذى الدود تنتظرها اليوم الولاثم ، وتذبح من أجلها ذوات الأجنحة والقرون ..

وتلك الأقدام الحافية التي لم تعرف غير المشى خلف حمير « السباخ » توضع اليوم تحت تصرفها السيارات و « التاكسيات » ، تنقلها من حفلة إلى حفلة .. نعم .. إنها فترة لا تحسب من عمر الفلاح ، وهو بذلك يعرف أنها لا تدوم ، فهو يستمتع بها من غير غرور ، ويراهن نزول فما يأسف ولا يزيد على أن يقول :

كانت أيام « استنخاب » ركبنا فيها « كنايل » ، وأكلنا « زفر » ودخلت جيوبنا « نقدية » ..

من يدرى لعل فريضة « الزكاة » التي ذهبت مع زمن قديم عادت اليوم في ثوب جديد .. نعم إن لم يكن من فضيلة الانتخابات إلا أن تشتري صوت الفقير بالذهب وتسد فمه بالطعام ، وتركبه ما لم يركب ، وتريه ما لم ير ، وتحيطه بمظاهر العناية والاحترام ولو إلى وقت قصير ، — لكفى بها فضيلة ..

إن الانتخابات في نظري ليست — حتى الساعة في هذا البلد — مظهرا من مظاهر الديمقراطية ، ولكنها أول معلم يفهم الفلاح أولا معنى الحياة الإنسانية ويذيقه طعم الأدمية ..

( من مساجلات مع « منصور فهمي » عام ١٩٣٨ م ) .

## « شركة مقاولات الانتخابات »

نعم يا صديقى !.. لقد خطر لى أن فى الإمكان إنشاء مثل هذه الشركة تسهلا للعمل ، فإن من المرشحين من قد يكون مثلى ومثلك فى براءة الحمل الوديع ، لا يعرف كيف ينال من خصومه ، ولا كيف يمدح نفسه ، ولا كيف يضحك على ذقون الناحيين !.. فما أحسن لمثلنا من أن يتوجه إلى مثل هذه الشركة ، ويتفق معها على « المقالة » ويدفع « العربون » ، ويذهب إلى منزله فينام ملء عينية ، وتقوم هى بكل ما يجب من إقامة السراشق ، وتأجير الخطباء ، وإعداد الولايم ، وجمع المعلومات عن فضائح الخصم ومثالبه الشخصية .. الخ .. الخ !

وما على مثلى ومثلك بعد ذلك إلا أن يذهب إذا شاء خفية على سبيل حب الاستطلاع ، ويجلس فى سراشق الاحتفال الذى تقيمه الشركة ، فيرى ويسمع اللذيذ الطريف ، يرى خطباء الشركة قد قاموا ، أو اعتلوا المنصة واحدا تلو واحد ، يوسعونه مدحا ، ويسردون تاريخ حياته الحافل بكل جليل ومجيد ، ويتكلمون فى ذمته وطهره وكفايته ونزاهته ، وهو لم يرههم ولم يروه مرة قط !.. ثم يرجون على خصمه فيطعنون فيه الطعن المر ، ويذكرون من خصاله الذميمة وأعماله الخبيثة وخياناته وسفالاته ما تشمئز منه النفوس ، وما تكاد تختتم هذه الحفلات على خير أو شر حتى تقدم الشركة « فاتورة » الحساب ، فإذا استكثرت المبلغ أقسموا لك أن الشركة قامت بنفقات باهظة ، وأن خصمك وحده

كلف الشركة « شتائم » بما يساوى مائة جنيه .. إلى هنا لا بأس .. لكن لو خطر لك أن تسير قليلا فى البلدة لوجدت عجبا ، فإن سرادقا آخر قد نصبته عين الشركة لخصمك هو هو أيضا ، وقد قام فيه خطباء آخرون من الشركة بمدحون الخصم ، ويغسلون عنه ما لحقه فى السرادق الأول ، وينزلون بك أنت كل تهمة وكل عيب ، ويلصقون بك من « الشتائم » ما يساوى مائتى جنيه ، فإذا ذهبت غاضبا إلى الشركة قالوا لك :

— يا حبيبى حضرتك « زبون » وحضرته « زبون » !! ..

فإذا صحت محتجا اتسموا لك فى أدب بما معناه أن « لا فضل لزبون على زبون إلا بالمال ! .. » .

هذه الشركة الخيالية غير موجودة من حسن الحظ على هذا الوضع ، ولكن من يدرى !.. لعل الحال فى جوهره يجرى أحيانا على هذا المنوال ، فإن ما يسمونه حفلات الانتخاب يودى غالبا إلى مثل ذلك بدون أن نقصد ، وإن يد « التنظيم » هذه إذا دخلت فى مسائل الواجب والضمير فإنها تتجه غالبا إلى فم الساذجين ، فتزججه بألوان من الطعام ، يضيع معها صوت الواجب والضمير ! ..



## العرائس

ترى ونحن على هذه الحال من البراءة والسذاجة ، لو حدثتنا النفس الملعونة بالنزول من أبراج فكرنا العاجية ، والجلوس تحت قبة البرلمان الذهبية ، ماذا كنا نخطب قائلين للناخبين ؟ ..  
أما أنا فإننى كنت أقول هكذا :

سادتى الناخبين ! ..

باسم « الديمقراطية » أتقدم إليكم ملتصبا عطفكم ! .. إننى أحب الديمقراطية ، ومن ذا الذى لا يحب الديمقراطية ؟ .. تسألوننى ما معنى هذه الكلمة التى تسمعونها هذه الأيام كثيرا ؟ .. تعريفها بسيط : « إن الديمقراطية » هى أن رهطا من الجياع الحفاة يمنحون مرتبا شهريا قدره أربعون جنيه لرهط آخر من الثروة والعتاة ! ..

لعل هذا المنطق يدهشكم ، ولكن تلك هى الحقيقة ! .. هنالك أعجب من ذلك ، فإن جوف الحقيقة مملوء دائما بالغرائب لمن أراد الغوص فيها ! .. إن بيننا - معشر المرشحين ، وبينكم معشر الناخبين - سوء تفاهم كبير ، فإننا نطلب إليكم أن تخدمونا ، وأنتم تحسبون أننا وجدنا كى نخدمكم ، أنتم تظنون « البرلمان » هو المكان الذى نتكلم فيه عنكم طول الوقت ، وعن جوعكم وفقركم وجهلكم ، ونبحث تحت قبته كل يوم عن وسائل رخائكم ورقيككم ، ونحن نرى فى تلك القبة الذهبية شرفا ، لمن استطاع أن يقتنص له تحتها مقعدا ، ونرى عضوية المجلس لقبا نتوج به أسماءنا ، ونزين به « بطاقتنا » ! ..

إن عضوية البرلمان في نظرنا ليست إلا عربة « الرولزرويس » التي نرفع بها مركزنا الاجتماعي في أعين الشعب ، ونحن إذ نفق المال في هذا السبيل إنما ننفق ونحن معتقدون أننا نشترى به وظيفة أو لقباً أو مقاماً ، فإذا ما ظفرنا بما نريد بفضل أصواتكم ووجدنا أيديكم العارية السمراء تحملنا إلى داخل ذلك المكان ، فإننا نترجع فيه كالعرائس في « الفترينات » ، ومهما صحتهم وناديتهم وصبرختم بعد ذلك فإننا لن نسمع أصواتكم ، لأن بيننا وبينكم حاجزاً من زجاج ، ولن تستطيعوا أن تلمسونا أو تقربونا ، ولكنكم تستطيعون أن تشيروا بأصبعكم من خلف البلور ، فنحسب ذلك منكم إعجاباً فنزداد صلفاً وتيهاً ..

أيها الناجبون ..! عجباً ، إنى حقاً لعل غاية السذاجة إذ أفضى إليكم بكل هذا في خطبتي التي على أساسها أنتخب .. ما العمل الآن ؟ ..

أنتخبونني برغم ذلك ؟ .. لعل صراحتي على الأقل تشفع ..!

( من مساجلات مع « منصور فهمي » عام ١٩٣٨ م ) .

## الشحاذون

إن تعاقب الوزارات السريع فى مصر ، يقذف اليوم على أفاريز الفراغ بعدد وافر من أصحاب « المعالى » لا يصنعون شيئا غير الانتظار فى « ميادين » السياسة ممدودى الأكف . ماذا ينتظر هؤلاء المتعطلون ؟.. ينتظرون دورهم فى العود إلى الركوب ؟..

نعم .. إن « الحكم » أصبح الآن مثل أرجوحة « الخيول الخشبية الدائرة » التى يركبها الأطفال فى مقابل مليمات ، ولو أعطى طفل ألف مليم لأنفقها كلها فى هذه اللعبة اللذيذة ، فهو يحب الركوب لمجرد الركوب فوق هذا الحصان الخشبي المطلق بالذهب ، الملون بأزهى الألوان الخادعة ، وإن دوره ينتهى ورأسه يميل من الدوران ، فلا يفيق إلا وقد أنزله صاحب الأرجوحة على الأرض ، فيظل واقفا بلا حراك ينظر إلى حصانه يدور بغيره ، وفى قلبه الصغير حسرة ، وفى عينيه الزائغتين علامات الصبر النافذ ، إلى أن تنتهى الدورة فيخفق قلبه أملا فى أن يعود إلى الركوب ، وهكذا دواليك ..!

أما الفائدة من ذلك فلا شئ غير اللهو والسرور ، فهو متى امتطى صهوة الحصان الخشبي تملكه الغرور ، وظن أن هذا غاية الأمل ، وأنه قد وصل .. ويلعب برأسه دوار « الأرجوحة » ، أو دوار السلطة الباطلة و « الفروسية » الكاذبة ، فيقنع بذلك ، ولا يفعل شيئا غير ازدراء الواقفين فى الانتظار ، وهو يمر مر البرق متعاليا متصايحا صياح اللذة والظفر ..!

فالحياة فى مصر هو فى هو ، وتعطل إلى جانب تعطل ، وفراغ إلى جانب فراغ .. الجميع من شبان وسياسيين وقادة ومقودين ، لا عمل لهم غير التطلع إلى خيول « المناصب الحكومية » الخشبية ، وهى تدور .. وهذا الروح العام قد أثر فى روح الشعب كله ، فنحن لا نكاد نرى طرفائنا فى مصر خالية من أناس أشداء يتطلعون إلى موائد المقاهى ، ويمدون أيديهم يطلبون شيئا ، لقد سرت روح البطالة والسؤال فى كل طبقات الشعب : الجاهل منها والمتعلم ! وكدنا نعتقد أن مصر قد نسيت أن فى الوجود شيئا يسمى العمل والكدح والاعتماد على النفس ، وإن مصر قد أصبحت بلدا تحقق عليه راية « التسول » العام : وهنا الخطر الداهم ، ولا أبالغ إذا قلت : إن روح « الشحاذة » موجودة فى كل نفس مصرية فى الوقت الحاضر ، فالوزير الذى تسول طويلا فى انتظار منصبه ، لا يكاد يدخل مكتبه كل صباح ، حتى يرى هو الآخر أفواج المنتظرين من أصحاب السؤال يمدون أيديهم ليعطيهم مما أعطاه الله ، فيثقلون كاهله بطلبات النقل أو التعيين أو الترقية أو العلاوة أو إلغاء عقوبة أو التماس منحة ، ويضيق الجزء الأكبر من عمل الوزير اليومى فى التخلص من هؤلاء السائلين .

ومكنت هذه العادة المردولة إلى حد نرى معه بعض الناس ينتظرون حتى يسألوا جيرانهم الجرائد ليقروها « شحاذة » ، وإلى حد أرى معه أنا المؤلف كل يوم من يسألنى نسخة من كتيبى « شحاذة » ، ولا أستطيع أن أجلس فى مكان حتى أسمع من حولي أصوات الإلحاح فى سؤال شئ من الأشياء ..!

حقيقة إن الحياة فى مصر أصبحت لا تطاق ، فلما أن يتغير هذا الروح العام ، ولما أن نبيس ونحكم على هذا الشعب أفسى الأحكام ..! على أنى أعود فأقول دائما إن الذنب فى كل هذا واقع على كاهل القادة وحدهم من رجال الحكم والسياسة ، فهم الذين علموا الشعب

كله ، وغرسوا فيه روح البطالة والتسول والصياح ، ولو أن الشعب رأى  
رعوسه ورجالاته يعملون فى سكون ، لخشجل وعمل هو أيضا بغير  
صخب ، لأصبحنا حقيقة شعبا متحضرا يعمل ولا يتسول !..

أريد أن أضع تحت أنظار وزرائنا مثل أبى بكر ، يوم ولى الخلافة ،  
فقد واصل عمله فى بناء الدولة الفتية حتى رضى واطمأن ، فجهز إبله  
ذات صباح ، وأراد أن يخرج فى تجارة له ، فاعترضه الناس دهشين :

- كيف تخرج فى تجارتك وأنت الخليفة ؟..

- وكيف أعيش وتلك صناعتى !..

- نعم .. هذا الرجل العظيم لم يكن يعتقد قط حتى ذلك الوقت ، أن  
سياسة الدولة عمل يرتزق منه ، إنما هو فى نظره واجب محتوم عليه  
كعضو من أعضاء الأمة . أما الارتزاق وأسباب العيش فينبغى أن يكفلها  
عمل آخر وكدح آخر !..

## الأحزاب والشعب

سألتني إحدى الجلات السياسية عن رأيي في أحزابنا المصرية ومدى قيامها بواجبها نحو تحسين حال الشعب فقلت :

إن المفروض في ممثلى الشعب ، أن يتقدموا إلى المقاعد النيابية ببرامج ثابتة واضحة محددا فيها بالدقة : الخطط ، ووسائل التنفيذ لمطالب طبقات الشعب المختلفة التى يمثلونها .. ولكن الذى يحدث اليوم هو غير ذلك ، فإن كل مشروع حيوى يهتم الشعب ، إنما يصدر عن جهات أخرى غير ممثلى الشعب ..! ولم نعد ندرى ، فيم يمثل هؤلاء الممثلون الأمة ؟..!

خذ مثلا ، مشروع مقاومة الحفاء ، ما كان أحراره أن يكون جزءا من برنامج حزب من الأحزاب ..! إن كلمة أحزاب - كما تفهم فى مصر - تطلق فى الحقيقة على سبيل التجوز ، إذ أن ليس فى مصر حزب بالمعنى الحقيقى لكلمة حزب كما تفهم وتستعمل فى النظم الديموقراطية الصحيحة ..! إنما فى مصر « فرق » منفصلة تسمى أحزابا ، لا هم لكل فرقة من هذه « الفرق » إلا « توزيع » المقاعد البرلمانية ، والحصول على المناصب الوزارية وتنظيم حركة « تذاكر » الانتخاب ، أما برنامج « الرواية » فليس من هم أحد التفكير فيه ..! فالأمر فى ذلك يسير على نمط حفلات التمثيل « ومتعهديها » الذين يركزون كل نشاطهم ، فى مسألة توزيع المقاعد وتحصيل قيم التذاكر ! أما مسألة « البروجرام » والغرض من الحلقة وما إلى ذلك فلا يلتفتون إليه ، ولا يجعلونه من شأنهم ..! وإننى لأحب هنا أن أقول : إنه قد آن الأوان لأن يسأل

الشعب عن البرامج لا عن شغل المقاعد !..

إن الشعب اليوم ، قد تغير فى نظرى ، وإن عقليته قد تكونت ، وأصبحت له رغبات حيوية تمس صميم غذائه اليومى وحياته المادية !.. إنه يطالب اليوم أن يعيش ، لا معنويا فقط ، كما كنا ننادى بالأمس ، ولكن ماديا أيضا ، عن طريق اللقمة المتوفرة للملايين من المحرومين !..

— ألم تتجه العناية فى هذه الأيام إلى طبقات الشعب الفقيرة ؟..

— هذا صحيح ، ولقد كثر جمع الصدقات ، ونشطت حركة التبرعات .. ومهما تكن الدوافع إلى ذلك ، فهى على كل حال ، عواطف كريمة ، تتم عن تيقظ روح الأريحية فى نفوس ذوى الفضل من الأغنياء والقادرين .. على أنه ينبغى لنا ، مع ذلك ، أن نتساءل : إلى متى نظل فى مصر — ونحن نملك فيها نظاما ديمقراطيا — نعتقد أن إصلاح شئون الطبقة الفقيرة معناه التصديق والإحسان !؟.. وإلى متى ، ونحن لدينا برلمان ، لا نجد فيه ممثلين للملايين الطبقات الفقيرة ، يدافعون عما تراه هذه الطبقات منهضا لها ، مصلحا لحالها !؟.. ما معنى الديمقراطية إذا لم تكن هى تمكين طبقات الشعب كلها — على اختلاف مراتبها ومطالبها — من الدفاع عن نفسها بنفسها تحت قباب المجالس النيابية !؟..

ما من برلمان فى أى بلد ديمقراطى فى العالم ، يعرف هذا الوضع الذى نحن عليه ، لأنه ما من أحزاب فى العالم تكونت هذا التكوين الشخصى المرتجل كأحزابنا المصرية ، ذات الصبغة الشخصية الواحدة المتشابهة !..

فى البلاد الأخرى أحزاب ذات مبادئ مقررة ، كل منها يدافع عن حقوق طبقة من طبقات الأمة ، ممن ضمن تمثيل الطبقات المختلفة على نحو يكفل التوازن بين المصالح . بينما أحزابنا ، على تعددها وكثرتها ، لا تتمثل فى حقيقة الأمر ، غير طبقة واحدة ، هى طبقة الملاك !..

هى التى نسمع صوتها فى البرلمان !.. وهى التى اتخذت لنفسها صفة القوامه على الطبقات الأخرى ، وهى التى تستطيع أن تمنع وتحرم

الطبقات الأخرى ، حتى من حق الاعتراف بنقاباتهما التى تنظم شئونهما ،  
وتدافع عن حقوقها ..!!

ويحضرني هنا مثل أحب أن أذكره ، فقد وجدت فى حانوت حلاقة  
ذات مرة حلاقين : أحدهما يعمل إلى جانب الآخر ، ويتقاضيان أجرين  
متساويين ، الأول مصرى ، والثانى يونانى ، فعلمت شيئا عجيبا ، فقد  
قال لى العامل المصرى إنه ، وهو فى بلاده ، لا يستطيع أن يعلم أبناءه  
بالبحان . ولا أن يستشفى بالبحان ، وإنه لا يجد أحدا ولا هيئة تعينه على  
تكاليف العيش .. بينما زميله اليونانى يعلم أولاده كلهم بالبحان ، فى  
المدارس اليونانية ، ويستشفى هو وعائلته بالبحان فى المستشفيات  
اليونانية ، لأن هناك هيئات ونقابات يونانية تعنى أتم العناية ، بمساعدة  
العمال والأجراء اليونانيين ..! وقد روى لى هذا العامل المصرى أيضا ،  
أنه ذهب بابنته الصغيرة يوما إلى مدرستا الأولية ، فوجد عاملا مصريا  
آخر ، قد عجز عن دفع مصروفات ابنته على ضآلتها « عشرة قروش  
شهريا » فاضطر إلى العودة بها إلى البيت ، مما حز فى نفس زميله فأخرج  
« أجره اليومي » من جيبه ودفعه من أجله .

لا شك أن أكثر الناس يوافقوننى على أن هذا الوضع للأشياء يجب أن  
يتغير ..!



## الفكر والشعب

سألتنى كذلك مجلة سياسية أخرى :  
هل ترون أن الكتاب الاجتماعيين فى القرن الماضى كانوا هم قادة  
الإصلاح فى أوروبا وأمريكا ؟..

– بالتأكيد ، بل لا يزال الكتاب حتى اليوم هم الذين يمهّدون السبيل  
للإصلاحات والانقلابات الاجتماعية المقبلة ، وإنى أرى أن كتابات  
روائى مثل « شارلس ديكنز » كان لها الفضل فى حمل ساسة إنجلترا من  
محافظين وأحرار وعمال على وضع المسألة الاجتماعية فى رأس برامج  
أحزابهم .. واليوم بالذات برغم الحرب وأهوالها لا يفتأ « ويلز »  
و « برناردشو » و « برستلى » يرسمون الاتجاهات التى ينبغى أن يتجه  
إليها بعد الحرب ، لا الشعب البريطانى وحده ، بل البشر كافة .. فهم  
ييفون انقضاء عهد الشقاء الاجتماعى وبزوغ عهد يستطيع أن يعيش فيه  
كل فرد حياة جديدة بالكرامة الآدمية ، فلا إغراق فى البؤس ولا إغراق  
فى الترف ، بل نظام يقوم على التوازن الاجتماعى والتضامن  
والتعاون !.. نعم ، الكتاب والمفكرون هم قادة الإصلاح ، وهم واضعو  
أسسه وخططه فى كل زمان ومكان !..

ولئن كانت حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر قد تأخرت حتى  
اليوم ، فذلك سببه تقصير الكتاب والأدباء . إنى أتهم بملء فمى الأدب  
المصرى بهذا الجرم !..

إن الأدب فى مصر لم يكن إلى عهود قريية غير حلية عاطلة فى

معاصم الأدباء .. لقد كان يعيش هؤلاء الكتاب ، لا على هامش المجتمع فقط ، بل على هامش حياة الآخرين من أصحاب الجاه أو الثراء .. لم يكن الأدب فى مصر إذن أداة تسجيل وتوجيه لشئون المجتمع ، ولم تكن أقلام الكتاب أبواقا توقظ النائمين ، ولكنها كانت معارف ينعس على أنغامها المتزفون .. وإذا كان هؤلاء هم كتاب أمة ، وهذا هو أديبها ، فلا عجب إذا ظلت حال المجتمع على ما نراه اليوم ..!

على أن الأمر بالضرورة قد تغير الآن .. وإنك تستطيع أن تقول : إن الأدب فى مصر يتجه فى الطريق الصحيح ، وإن كثيرا من الكتاب المعاصرين نشروا كتباً وأفكاراً تتصل بصميم المجتمع ، وإن آراءهم تسمع وتحترم وتؤثر أحيانا فى اتجاهات الحياة العامة ..!

— كنتم أول من اقترح منذ عامين إنشاء وزارة الشؤون الاجتماعية فى حديثكم المشهور عن النظام البرلمان ، وها هى ذى قد أنشئت ..!

— إننى اقترحت أن يعدل اسم وزارة الأوقاف واختصاصها ، وتجعل « وزارة الأوقاف والحياة الاجتماعية » بهذا النص ، وكانت فكرتى فى ذلك أن يتسنى تحويل أموال الأوقاف إلى وجوه المنافع الاجتماعية المثمرة ، كالملاجئ والمستشفيات والنوادي الرياضية الخ .. ولكن فكرتى قد أدت إلى إنشاء وزارة مستقلة لشئون المجتمع ، فضاعف ذلك التفات الناس إلى الفكرة الاجتماعية فى ذاتها . وكان فى مجرد وجود هذا الهيكل الرسمى المخصص للمسألة الاجتماعية أقوى دعاية لهذه المسألة فى أنحاء البلاد . مما جعل الشعب كله يهتم بالمسألة الاجتماعية بعض اهتمامه بالسياسة ، وأصبحت تثار فى البرلمان قضايا الفلاح والعامل وحقوقهما فى حياة إنسانية معقولة ، وحصص الفقير وحقه فى معونة الغنى ، وأصبحنا نسمع كبار الأمة يتحدثون عن ضرورة الرقى بمستوى حياة الشعب ، وكثرت المحاضرات فى كل مكان ، وتكونت جمعيات الإصلاح ، وارتفعت أصوات الرحمة من القلوب وكلمات العدالة والانصاف من

الأفواه ، - كلها بجمعة على أنه ينبغي وضع حد لما نراه من استئثار مفاث من أهل هذه البلاد بالخيرات ، وترك الملايين فى جوع وعرى كالسائمات !..

ولكننى أقول باعتبارى كاتباً : إن الأمر لم يعد فى حاجة إلى توجيه ، فإن حال الشعب الآن لا يختلف فيه اثنان ، وإن قادة الرأى ورجال الأمة ومفكريها يعرفون علل الشعب أتم معرفة ، ويوضحونها ويصفون لها العلاج .. وفى كل يوم يزداد عدد هؤلاء المفكرين والدعاة ، وتتسع دائرة المصغين إلى رسالتهم ، إلى أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه المسألة الاجتماعية هى المسألة الأولى فى الدولة : لها صحافتها ولها ساستها ، وعلى أساسها تتقدم الأحزاب إلى الحكم ، ويكون النجاح أو الإخفاق فى تحقيق برامجها هو الذى يبقى الوزارات أو يسقطها !..

فها أنت ذا ترى ما أرمى إليه ، إن المسألة الاجتماعية عندنا هى فى طور « الهواية » ولن تدخل فى طور « العمل الجدى » إلا إذا طالب بها الشعب نفسه ، ولما كنا فى نظام ديمقراطى فإن الشعب عندئذ يكون أحزابه ويتنخب ممثليه طبقاً لهذه المطالب ، فإلى أن تصبح المسألة الاجتماعية فى مصر ذات تأثير مباشر فى أداة الحكم ، كما لمسألة السياسية سواء بسواء ، فليس لنا أن نقول إن فى مصر مسألة اجتماعية على الإطلاق !..

## « كادر » المقامات

إنى مقر للتخفيض الذى حدث فى « كادر » المرتبات ، فقد آن لهذا المخلوق الذى يسمونه « الموظف المصرى الكبير » أن يتواضع لله وللناس ، هذا الآدمى الذى خلقه الله بمواهب تساوى عشرين جنيها فى الشهر ، فقدرت له الدولة مواهب بمائة جنية فى الشهر !.. هذا الآدمى الذى ألقى به الطبيعة على الأرض ، ليزرع بسواعده العارية عملا مسئولا ، ويحصد ثمرا معقولا ، فإذا هو قد انزوع بين أوراق فارغة على مكتب مساحته فدان ليحصد آخر كل شهر غلة ٥٠٠ فدان !.. هذا الآدمى الذى صنعت له أجيال الشباب المصرى فى نفسها تمثالا ذهبيا تعبده ، فصرفها عن الالتفات إلى المغامرات الحرة العظيمة التى قام بها أشخاص اسمهم « فورد » و « روكفلر » و « كروب » بل حتى أشخاص فى المحيط المصرى اسمهم « عدس » و « بنزايون » و « موصيرى » .. هذا المثل الأعلى الحكومى الذى غرسته فى نفوسنا المرتبات الضخمة لعمل « الروتين » الفارغ ، هو الذى أفقدنا عدتنا من الرجال الأكفاء المنتجين ، وهو الذى أضاع من أيدينا ميادين الثروة الحقيقية ، فاحتلتها الأجانب الأحرار ، أصحاب النشاط الواقفون بالمرصاد !.. تخفيض آخر ينبغى أن نفكر فيه بعد أن انتهينا من كادر « المرتبات » ذلك هو كادر « المقامات » !..

« مقاماتنا » أيضا متضخمة أكثر مما ينبغى .. تضخم غير طبعى ، وهو ما قد يسمى فى عالم الطب بالانتفاخ ، وفى عالم الاجتماع

« بالنفخة » ، وكلاهما فيما أعتقد شيء واحد وعلمته واحدة ، وكلاهما إذا فتح بالمشروط وجد بداخله « هواء » فهي مجرد أسماء لا معنى لها ، وهى لا ترفع ولا تحفض ولا ينبغي لها أن تفعل ، يكفيننا أن ننظر حولنا فلا نجد أمة واحدة من تلك الأمم المجيدة التى تعج بالعظماء فى مختلف الفروع والأعمال قد سارت على ما نسير عليه نحن الأمة الصغيرة الفقيرة . فإن « مستر تشميرلين » هو بلا شك من أرفع رجال الأرض مقاما فى العصر الحاضر ، ومع ذلك قد يشارك « مستر جون » كمسارى المترو فى لندن لقبه المتواضع ، و « مسيو دلاديه » هو اليوم من أقطاب العالم ولا لقب عنده إلا ما عند « مسيو ريمون » خادم المطعم الذى يأكل فيه .. تلك هى العظمة ، وتلك هى الديمقراطية .. بل إن « الهر هتلر » هو أيضا لا يمتاز عن « الهر شاخت » سائق سيارته فى اللقب !.. قد يسند إليه أحيانا لقب « المستشار » غير أن هذا حقيقة لا لقب .. بل أقل من حقيقة ، لأن « هتلر » لا ينتظر حتى يستشار فى أمر من الأمور ، وهو المتصرف وحده فى مصير بلده ، المؤثر فى أقدار الشعوب . ولماذا نذهب بعيدا وقد كان الامبراطور العربى العظيم « عمر ابن الخطاب » لا ينادى إلا بلفظ واحد يا « عمر » ..

إنه فى رأى داء تصاب به غالبا الأمم الصغيرة التافهة ، فهى كالطفل يجب كل ما هو براق طنان أجوف ، وليت هذا الداء محصور فى طبقة كبار الموظفين وحدهم ، بل إنه مع الأسف قد تعداه إلى جسد الأمة كله ، فإذا كل من لبس « بدلة » يتوق أن يناديه الجميع بلقب « بك » ويكتب له الجميع « صاحب العزة » ، وأصبح لقب « أفندى » سبا فاحشا !.. ومن أراد أن يشتم أحدا فى الطريق العام أو على صفحات الجرائد أو على مظروف خطاب ، فما عليه إلا أن يقول له يا « أفندى » !..

من المسئول عن هذا المرض الخطير ؟.. لا أشك فى أنهم هم الموظفون

الكبار ، أو قادة الأمر فى البلاد ، من أصحاب « الرفعة » و « الدولة »  
و « المعالى » الخ ، فهم بتكالبهم على المظاهر الفارغة قد علموا الشعب  
أن يحترم الألقاب أكثر من احترامه لمجرد الأعمال ..!  
فلعل الروح الجديد الذى يسرى اليوم فى مصر الناهضة المستقلة  
يدفعها فى طريق العمل والبطولة ، ويحفزها أيضا على التفكير فى تغيير  
نظرتها إلى الألقاب ، وتعديل كادر المقامات ، بما يتفق مع الروح السائد  
الآن فى العالم ومع طابع العصر الحاضر فى كل دول الأرض ..  
الديمقراطى منها وغير الديمقراطى !! ..

( حديث نشر عام ١٩٣٨ م ) .

## مصر والشعار الدولى

قرأت تعقيبكم على إثارتى لحرية خلع « الطربوش » فاسمحوا لى أن أبدى بعض حججى وأسبابى ، وأبدأ فأقول أن لا محل للقلق والخوف من إضعاف الروح القومى إذا خلع « الطربوش » فإن الروح القومى هو فى القلب الحار لا فى ذلك « القرطاس » الأحمر . وقد يكون هنالك محل الخوف لو أننا كنا أول أمة فى الأرض قادمة على هذا التغيير .. أما وقد فعلت ذلك قبلنا أمم شرقية ، هى الآن خير منا فى قوة روحها القومى ، فليس لنا إذن أن نتردد أو نخاف ، فما من أحد يستطيع أن يقول إن اليابان ذات التقاليد الشرقية العريقة قد فقدت روحها القومى يوم لبست ولبس مليكها - وهو ذو صفة دينية مقدسة - اللباس الدولى الكامل ، وما من أحد يستطيع أن يقول إن النبى العربى كان له زى خاص ، فهو قد لبس القلنسوة ولبس اللامة ، ولم يكن هنالك فارق فى اللباس بين مسلم ومسيحى ويهودى ..!

واليوم وقد اتجه العالم كله فى حضارته القائمة هذه الوجهة الجميلة ، وسن هذه السنة الحميدة التى ترمى إلى وحدة الرى فى الدنيا قاطبة ، هذه السنة التى عرفها الإسلام منذ نشأته ، فلم يخفى بزي أو بلباس حتى لا يجعل بين الناس فوارق غير ما لبسته أرواحهم ونفوسهم ..!

اليوم وقد شعرنا بحاجتنا إلى الوحدة والمساواة داخل حدود بلدنا بإزالة الفوارق التى تشطر السكان إلى طائفتين غير متعادلتين .. اليوم ونحن مقبلون على حياة خارجية قوامها الاندماج فى عصبة الدول المتحضرة ،

— أية فائدة لنا أن نضع بيننا وبين أمم الأرض ذلك الفارق الظاهر الذى ينادى فى كل حين بتخلفنا وحدنا دون غيرنا من الأمم الشرقية المسلمة وغير المسلمة ، التى أعلنت للعالم نهضتها ، وقامت تجلس جنبا إلى جنب مع أرقى الدول حضارة ١٩..

أما القول بأن تغيير لباس الرأس قد يجر إلى تغيير اللغة أيضا ، فالجواب عليه أن ننظر كذلك إلى غيرنا من الدول التى تماثلنا فى الحال ، ولنبحث : هل غيرت « اليابان » و « الصين » و « إيران » و « العراق » لغتها ؟ .. بل متى كان الاتحاد فى الزى يوجب الاتحاد فى التفكير ؟ إن الملاحظ فى حضارة اليوم أنها وحدت الزى فى شعوب الأرض مع عدم المساس بشخصية كل شعب وثقافته ..!

وها هى ذى « أمريكا » تماثل « إنجلترا » فى الزى وتتكلم الإنجليزية مثلها ، ومع ذلك فإن الأدب والثقافة وطريقة التفكير عند « الأمريكان » هى غيرها عند « الإنجليز » .

لا ينبغي إذن أن نتمسك بكلمة « الشعار الوطنى » لشعبنا أو لحكومتنا المصرية ، فإن مستقبلنا قد تغير ، وبعد أن كنا شعبا منعزلا قد أصبحنا شعبا منضمّا إلى هيئة الشعوب الأخرى ، لنا ما لهم ، وعلينا ما عليهم ، فالأحرى أن نتمسك منذ اليوم بكلمة « الشعار الدولى الرسمى » للأمم العالم ، كما تفعل كل أمة تركت عزلتها وظلمتها ، وخرجت إلى الحياة والمجتمع والنور ..!

وبعد ، فإننى لشديد الإيمان بالتطور الطبيعى لما أراه من تطور الشرق السريع نحو حياة جديدة وتفكير جديد قوامه الخروج عن العزلة والجمود إلى التجدد والتعاون مع العالم ، وإننى لألحظ تقدم مصر فى هذا السبيل تقدما يشبه الركض على الرغم من المعارضة الكلامية الظاهرة ، فالمرأة المصرية قد غيرت زيها فى سكون وشجاعة ، فوافقها الرجال دون جدال ..!



هذا يدلنى على أن مصر تتحرك بالفعل وتسير ، وإن كانت لا تزال  
تسير مفتونة بالكلام والمناقشة أثناء السير .. نعم كل هذا يثبت عقيدتى  
أنه لن يأتى عام ١٩٥٠م حتى تكون مصر متحدة مع العالم المتحضر فى  
زيه الكامل المعروف ، تلبية لنداء التطور الطبيعى للأشياء ..

من رد على تعقيب « خليل ثابت » عام ١٩٣٦ م .

## المعنى الإنسانى لوحدة الزى

مرة أخرى أناقش الحجة الوحيدة القائمة فى جانب « الطربوش » وهى كلمة « الشعار الوطنى » وأغلب المصريين مفتون بهذه الكلمة ، وأغلب المصريين ما زال يعتقد أن من المفاخر أن يتميز بلباس خاص ، شعب صغير عن بقية شعوب الأرض القوية المتحضرة . وقليل من المصريين يرى من المفاخر أن يتمسك رجل أو رجلان بلباس أحمر فاقع صارخ ، بين مئات وألوف من الرجال المحترمين المتحدين فى زى معروف .. لقد لاحظ بحق أحد المفكرين أثناء سياحة طويلة فى آسيا وإفريقيا : أن الشعوب المنحلة هى أكثر الشعوب تمسكا بتقاليد الزى ، وأكثرها حبا فى التميز عن غيرها من الأمم بأردية صارخة الألوان .. وأزيد أنا على هذا المفكر بقولى : إن فكرة التميز بشعار خاص ليست فقط فكرة « بربرية » فى عصرنا الحاضر ، ولكنها تدل كذلك على ضعف الإدراك فى أمة من الأمم ، فإن من علامات الإدراك الضعيف عدم اتساع أفقه للأفكار الإنسانية ولا ريب عندى الآن أن خوفاً وتردداً فى مسألة كمسألة الطربوشى ، وتمشداً الكثيرين بكلمة « القومية » ، — سببه الوحيد أننا لم نزل فى حالة « عزلة ذهنية » لا أكثر ولا أقل ، فنحن فى الواقع لم نتصل حتى الآن بالعالم المتحضر اتصالاً يشعره بوجودنا ويشعرنا بأننا جزء منه ، فنحن فى حقيقة الأمر شعب صغير لا وجود له حتى الآن على خريطة الفكر الإنسانى المتحضر . إنما نحن زراع وخدام وعبيد يعيشون على هامش الحضارة ،

يخدمون المصالح المثالية الأجنبية ، التي قبضت على وادى النيل منذ عشرات من الأعوام .. هذا كل دورنا الذى نلعبه حتى الساعة فنحن لم نقدم للعالم ما يدلله على مساهمتنا فى التقدم الإنسانى ، لأن الفكرة الإنسانية نفسها بعيدة عن ذهنتنا .. إنا لا نفكر إلا فى أنفسنا وفى حياتنا الصغيرة ، وما يحيط بها من عوائد بالية ومعتقدات قديمة وتقاليد عتيقة .. إن العالم المتحضر لا يهتم أن يعرف عنا شيئا ، لأننا ليس عندنا ما يستحق أن يعرفه العالم المتحضر .. إنما نحن نعيش كفصيلة من الدواجن وكفى .. وهو لحسابه تسخيرا ماديا وكفى إبنى لا أقول إن خلطنا « الطربوش » سيأتى بالأعاجيب وسيغير هذا الموقف ، كلا مطلقا . إنما أقول وأصر على القول : إن ما رأيته من اتجاه الناس نحو استنكار كل تغيير للبالى العتيق ، هذا الاستنكار العنيف وتكالب الناس شباب الجيل الجديد مع الأسف الشديد على الاحتفاظ بروح « القبيلة » الجامد .. كل هذا أدهشنى وأحزنى ودلنى على أن عقليتنا فى ذاتها لم تنزل تميل « إلى العزلة الذهنية » ، وأن جرائم « البربرية » ما زالت متأصلة فى نفوسنا ، وأن أماننا وقتا طويلا قبل أن نهضم الأفكار الإنسانية فى ذاتها ، ونصبح أهلا للانضمام إلى هيئة الأمم المتحضرة ، التى لا تتميز باختلاف الزى واللباس ، والتى اتجهت كلها إلى وحدة الزى إيذانا بوحدة الإنسانية ..

## البعث

حوريس : انهض ، يا « أو زيريس » ..  
أنا ولدك « حوريس » ..  
جئت أعيد إليك الحياة ..  
جئت أجمع أعظمك ،  
وأربط عضلاتك ،  
وأصل أعضائك ..  
أنا « حوريس » الذى تكون أباه  
« حوريس » يعطيك عيوننا لترى ..  
وآذاننا لتسمع ، وأقدامنا لتسير ،  
وسواعدنا لتعمل ..  
ها هي ذى أعضائك صحيحة ،  
وجسدك ينمو ،  
ودماؤك تدب فى عروقك ..  
إن لك دائما قلبك الحقيقى ،  
قلبك الماضى ..  
الميت : إنى. حى ، إنى حى ..

« كتاب الموتى »

و « حوريس » ليس إلا « الشباب » يعيد الحياة إلى ماضيه الميت .

نعم هو « الشباب » ، الذى يكون أباه الوطن .. وقد أعطاه بالفعل  
 عيوننا يرى بها غابره العظيم فى حريته ، وحاضره الدليل فى قيود  
 الغرباء ، وآذانا يسمع بها ضحكات السخرية من أفواه الجبناء الذى  
 جاءوا يستغلون رقاده ويستلبون خيراتاه ، كما أعطاه أقداما يسير بها كى  
 يثبت لهم أنه حى ، وسواعد يعمل بها على تشييد الصرح المهدود !.. إن  
 أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو ، وها هو ذا جسده يتحرك  
 وينمو ، والدم يجرى فى شرايينه ، والشباب على رأسه يصيح :  
 « إن لك دائما قلبك الحقيقى .. قلبك الماضى !.. » ويخيل إلى أنى  
 أسمع الوطن من كل جانب يلبي النداء ويحيب الشباب الأبناء : « إنى  
 حى ، إنى حى !.. » إنى دائما أؤمن بأن مصر لا يمكن أن تموت ، لأن  
 مصر منذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف السنين لهدف واحد ، مكافحة  
 الموت .. ولقد فازت مصر ببيغيتها ، كلما ظن الموت أنه انتصر ، قام  
 « حوريس » من أبنائها يصيح : « انهض ، انهض أيها الوطن !.. إن  
 لك قلبك ، قلبك الحقيقى دائما ، قلبك الماضى .. » ، وإذا الموت يراجع  
 أمام صوت مدو من أعماق الوطن :  
 « إنى حى .. إنى حى !.. » .

## دولة العميان

« هل سمع أحد حتى الآن عن أعمى لا تدرك  
يده اليمنى ما تصنعه يده اليسرى !... »

إنها ليست على مثال تلك الدولة من العميان التي صورها الكاتب  
الإنجليزي « ويلز » في إحدى قصصه .. فدولته تسير على الأقل تبعا  
لمنطق خاص .. وتجري الحياة فيها على نهج متواضع عليه .. أهلها  
لا يصرون بعيونهم حقيقة .. ولكنهم استعاضوا عن العين بجواس أخرى  
أظهرت لهم حقائق الوجود في أشكال جديدة ، وأنشأت لهم مجتمعا  
قائما على قواعد خاصة به .. قد ينكرها الغريب عنهم ، ويعجب لها غير  
الخاضع لظروفهم .. ولكنها في محيطهم هم طبيعة صادقة معقولة ..  
تعهدتها يد الخبرة والعناية ، وأدارتها في فلك الأيام متسقة منتظمة  
مصقولة .. لا تلمح في بنائها ثغرة نتم عن عبث أو فوضى أو خرق  
أو هوس !...

أما دولتنا التي نتحدث عنها هنا فمختلفة كل الاختلاف .. فالعمى  
فيها من نوع معروف .. وهل سمع أحد حتى الآن عن أعمى لا تدرك  
يده اليمنى ما تصنعه يده اليسرى !؟ .. هذه العجيبة قد وقعت .. ولم  
تقع مرة .. ولكنها تقع كثيرا .. وتكاد تكون من الظواهر العادية التي  
تحدث في كل يوم .. ولعل أكثرنا ما عاد يعجب لحدوثها .. وهل دهش  
كثير من القراء وهم يطالعون خبر تلك المصلحة التي تملك قطعة من

الأرض مناصفة مع مصلحة أخرى ، فأجرت الأولى نصيبها لإحدى الشركات بسعر ٣١٥ جنيها للفدان بينما أجرت المصلحة الأخرى نصيبها لذات الشركة بسعر ٢٠ جنيها للفدان .. وظل الأمر على ذلك عشر سنوات ، بلغت فيها خسارة الدولة ١٤ ألف جنيه .. فلما سئلت المصلحة الأخيرة فى الأمر قالت : إنها لم تكن تعرف أن المصلحة الأولى كانت تؤجر نصيبها بذلك السعر المرتفع !.. وهاتان المصلحتان الشريكتان تابعتان لحكومة واحدة فى دولة واحدة ! ولكنها دولة العميان التى لا تعرف فيها اليد اليمنى ما تصنعه اليد اليسرى !..

\* \* \*

ومثل هذا كثير فى هذه الدولة .. فبينما تندفع أفواج الطلاب فى التعليم الثانوى تطلب أمكنة فى بعض المدارس المزدحمة .. يهمس نظار بعض المدارس الأخرى قائلين : إن لديهم متسعا للطلبة وفرجا .. وأولئك لا يعرفون ، وهؤلاء لا يتكلمون .. والوزارة لا ترى هذا ولا ذاك !.. وفى كل عام تطرق أبواب الكليات جيوش من الطلبة ، فتوصد دونها الأبواب ، كأنها جيوش كلاب تهجم على طعام لا حق لها فيه .. وما من أحد يسائل نفسه : ما مصير هؤلاء المطرودين ؟.. وإذا نجحنا فى نفض أيدينا منهم هذا العام ، فماذا نحن فاعلون بأضعافهم فيما يستقبل من أعوام ؟.. فى دولة العميان : لا حساب للغد ، ولا إدراك للزمن !.. وفى كل جهة من جهات الحكومة موظفون ، لهم عين المؤهلات ويقومون بعين العمل .. ولكنهم فى هذه المصلحة يقبضون أجرا ملائما .. وفى مصلحة أخرى ينالون أجرا لا يمسك الرmq .. فإذا أبدوا العجب لهذه الفوضى سمعوا ألفاظا غريبة .. مثل « الكادر » و « التنسيق » .. وغير ذلك من هذيان العميان !..

وفى كل ناحية من نواحي الإيراد أناس يدفعون للدولة ضرائب وأناس لا يدفعون .. وربما كان الذى لا يدفع هو الأقدر على الأداء .. فإذا بحثنا فى النسب والمقاييس ، التى يؤدى بمقتضاها الناس ضرائبهم ، وجدنا عجبا من التعجب وضياح العدالة ! .. فأيدى الدولة هنا لا تدرى فى أى جيب توضع .. وإذا دخلت بالمصادفة فى جيب من الجيوب ، لا تعرف كم تدفع وكم تأخذ ..

ما العلاج لهذه العاهة الممكنة فى هذه الدولة ؟! .. تلك العاهة التى أدت إلى ثورة الطوائف وتخبط النظام ..!

لو كان الأمر بيدى لأشرت بصنع « عين » مهمتها أن تبصر لهذه الدولة ، وأن تربط أعضائها بعضها ببعض ، وأن ترى لها الطريق اليوم وفى المستقبل .. ولنطلق على هذه العين اسما من تلك الأسماء المألوفة لدينا .. فليكن اسمها مثلا : « وزير الخطط » أو « وزير المشروعات » أو « وزير التناسق الحكومى » .. لا تتبعه وزارة من هذه الوزارات المعروفة .. ولا يكن هو على رأس وزارة من النوع المعروف ، لكنه يوضع فى مكان مستقل .. مع جملة من الخبراء والأخصائيين يرسمون خريطة دقيقة لا تحيز فيها ولا محاباة .. يوضع فيها كل موظف وكل فرد وكل عامل وكل ممول وكل منتج فى مكانه الذى يكفل له الإنصاف فى الحقوق والواجبات ، ويدرسون حاجة البلاد فى كل مرافقها فى حاضرها ومستقبلها ويضعون الخطط الثابتة ، ويهيئون المشروعات للسنوات الخمس أو العشر .. فى التعليم والرى والزراعة والتجارة والصناعة الخ ..!

إن فى تولى هيئة واحدة بحث هذه المشروعات - جملة فى دار واحدة - أكبر ضمان للتناسق والنظام ، لأن كل هذه الفروع المختلفة فى الظاهر مرتبط بعضها ببعض فى الباطن .. لقد قيل إن فتح أبواب التعليم على مصاريحها فى بعض الكليات لا يؤدى فى مصر إلى خير .. لماذا ؟! .. لأن



النشاط التجارى أو الصناعى الذى يستوعب فى أوروبا أكثر الخريجين ، —  
متخلف فى بلادنا عن النشاط العلمى النظرى !..

لا بد إذن من إيجاد نوع من التنسيق بين نشاطنا التعليمى ونشاطنا  
الاقتصادى .. وقل مثل ذلك فى كثير من نواحي خططنا ومشروعاتنا  
التي تحتاج إلى دراستها جملة ، وتحت قيادة واحدة ، حتى لا يؤدي  
البحث والتنفيذ إلى ذلك التخبط الذى نرى صدامه كل يوم بين وزارة  
ووزارة !..

كارثتنا هي أن كل وزارة لا ترى فى الوجود إلا نفسها .. فهي تضع  
مشروعاتها مستقلة ، وقد عصبت رأسها بقناع ، فلا ترى عينها العمياء  
شيئا .. ولا تلمس يدها إلا ورق ملفاتها هي ..

وسيزل الحال هكذا طويلا فى دولة العميان ، إلى أن نفطن آخر الأمر  
إلى ضرورة إيجاد تلك « العين » التي تشرف من عل على أمورنا جملة ،  
يبصر حاد نافذ خبير !..

# فى المرأة

## المرأة والمجتمع

إنه ليدهشنى حقا أن بعض الشباب المثقف نادى يوما بفصل الجنسين فى الجامعة المصرية ، فى وقت أثمر فيه نظام الدراسة المتحدة وأخرج لنا فتيات حائزات على « الليسانس » و « الماجستير » و « الدكتوراه » ، هن فخر مصر ، وهن أنصع دليل على رقى مصر العقلى فى الوقت الحاضر .. إن القول بأن المرأة للبيت لا لمزاحمة الرجل لا يحول مطلقا دون تثقيف المرأة تثقيفا تاما ، لتكون زينة البيت ، وأستاذ الطفل ، ومعلم الجيل ! إن المرأة ليست قطعة من أثاث البيت توضع فيه بجهلها وعقلها المغلق .. وهى ليست خادما تطعم الرجل وتغسل له ملابسه ، ولكنها شريك محترم ينبغى أن يجد فيه الرجل متعة عقلية تحبب إليه البيت ..

أما شبع رجالنا طوال الأجيال الماضية جلوسا فى القهوات والحانات يأنس بعضهم ببعض ، هارين من وحشة المنزل الذى لا يحوى غير نساء كالخدمات ؟.. نعم .. إن المرأة للبيت ، ولكنها لكى تكون بحق ملكة البيت وقرة عينه يجب أن تتقف أكمل ثقافة !.. إن من النساء فى صدر الإسلام من ففن الرجال فى فنون الشعر والأدب والعلم والجدل !.. وقد كان لبعضهن مجالس مشهورة يحضرها رجال الدولة ونوابغ الشعراء والأدباء والمغنين !.. وكان ذلك فى عصر لم تزاحم فيه المرأة الرجل فى المناصب والأعمال !..

كذلك فلنقل عن ثقافة المرأة الأوروبية يوم كانت صالوناتها تضم أعظم العباقرة ، دون أن تخرج المرأة وقتئذ من أجل ذلك عن وظيفتها ، فتزاحم

الرجل فى أسباب معاشه .. لا ينبغي إذن نخلط بين أمر تثقيف المرأة وبين أمر وظيفتها ..

إن المرأة زهرة البيت وروحه ، بل زهرة المجتمع وروحه ، كلنا فى ذلك متفقون ، فلنجعلها إذن زهرة ، وهل تعرف زهرة أينعت دون أن تتعرض قليلا للشمس والهواء !.. فلنحاذر كل الحذر من حبس المرأة .. فإن ذلك حبسا لعقلها وموتا لشخصيتها ، ولنذكر أننا اليوم ندفع غالبا ثمن سجن المرأة المصرية فى الماضى ، فهى كلما دعتها الظروف إلى مواجهة الحياة والمجتمع اهتزت قدمها ضعفا واحمر وجهها حياء ، وتلعثمت وتعثرت فى هزالها النفسى والفكرى ، وظهرت بمظهر يدعو إلى الرثاء والإشفاق ، وبدأت للأعين أقرب إلى الخادومات المحجوبات منها إلى سيدة مهذبة قوية بشخصيتها وتجاريها ، واثقة من نفسها ومن احترام الناس لها .. كل هذا حدث ، لأن المرأة فى مصر ذبل عقلها من طول السجن ولم تعد مواجهة المجتمع منذ الصغر .. إن إقصاء المرأة عن مجتمعنا كما يقصى الحيوان الحقيقى ، جريمة فظيعة ، هى القتل المعنوى بعينه لا أكثر ولا أقل ، وهو الامتهان لكرامتها ولآدميتها امتهاننا يجب عليها أن تثور من أجله ، وأن تقيم الدنيا وتقعدها ولا تسكت عنه كما سكنت فيما مضى من أجيال ، المسألة مسألة حياتها أو موتها ، وإن الذين يريدون قتلها باسم الدين – والدين برئ – لا يدركون أنهم بذلك إنما يقتلون أنفسهم بأيديهم !..

إن عقل المرأة إذا ذبل ومات فقد ذبل عقل الأمة كلها ومات !..

## المرأة والفن

إنى - إذ أتكلّم عن الفن - لا يسعنى إلا أن أعترف مرغما أن المرأة هى روح الفن ، ولو لم توجد المرأة على هذه الأرض فرما وجد العلم ، لكن المحقق أنه ما كان يوجد الفن . ذلك أن الإلهام الفنى هو نفسه قد خلق على صورة امرأة ، وإن لكل لون من ألوان الفن عروسا هى التى تنثر أزهاره على الناس .. ما من فنان على هذه الأرض أبدع شيئا إلا فى ظل امرأة ، وهذا القول منى غريب ، ولأبادر بتوضيح قصدى حتى لا يقال إنى رجعت إلى فضيلة الحق ، وأعنى الحق الذى تراه المرأة .. كلا .. إنى لم أرجع إلى هذه الفضيلة بعد .. وكل ما فى المسألة أنى دائما أفرق بين المرأة كشئ يوحى بالجمال ، وبين المرأة كمخلوق يريد أن يستأثر بكل شئ فى حياتنا ..!

إن عداوتى لهذا المخلوق لن تنقطع ما دمت أخشى منه .. إن عداوتى ليست إلا دفاعا عن نفسى ، فلو أن المرأة تمثال من الفضة فوق مكبى ، أو باقة من الزهر فى حجرى ، أو أسطوانة موسيقية أنطقها وأسكنها بإرادتى ! - لما كان لها عندى غير تقديس وإكبار لا يحدهما حد ، ولكنها للأسف شئ يتكلّم ويتحرك ، وهى أحيانا كالطفل يلقي من النافذة كل شئ ثمين ، ويجلس على حافتها يضحك ضحكة الانتصار .. على أن الإنصاف يقتضىنى أن أقول : إن المرأة إذ تحطّم من جانب فهى تبنى من جانب .. إنها كالطبيعة ، فى يديها العبقريتان : عبقرية الفناء وعبقرية البناء ، وإنه لمن المستحيل أن نرى فى التاريخ حضارة قامت

بدونها ، ولا انحطت بدونها ، وإن عرشها فى مملكة الفن أظهر العروش !.. إننى أستطيع أن أقول على سبيل المثال إن أجمل « الفن الرومانتيكى » الفرنسى إنما ينبع تحت أقدام « مدام ريكاميه » ، وإن صالونات السيدات فى أوروبا ، ومجالس الشعر والغناء فى الشرق عند العرب ، - هى التى أخرجت أجمل ما فى الغرب والشرق من شعر وآداب وفنون !..

ولا أستطيع أن أضرب هنا الأمثلة ، ولكن من يفتح أى كتاب من كتب العرب القديمة يرى وصف تلك المجالس التى كانت تنصدها نساء كالشموس ، وتضم فحول الشعراء والمغنين ، ويقرأ تلك الأخبار التى لا تنتهى عن ذكر الجوارى المثقفات والنساء الشريفات ، اللاتى كن ينظمن - فى السر والعلن - تلك المجالس التى فيها نظم أجمل الشعر ، وتفتحت أزاهير أنبغ القرائح ، ول « عليه » أخت « هارون الرشيد » ذوق فى فنون الشعر والغناء ، أثر فىمن حولها من كبار الفنانين والشعراء .

و « مدام دى بومبادور » أبرز يد فى حركة الفكر والفن فى عصرها . وفى الغرب هى المرأة - وفى الشرق هى المرأة ، وحيثما وجدت المرأة صاحبة الذوق وجد فى الحال الفن ، ونهض الفكر ، وقامت الحضارة !..

إذا قيل : إن مصر الحديثة لم تر بعد فنا ناهضا ، ومن ثم لم تبد أمام العالم بعد فى ثوب الأمة المتحضرة ، فإن السبب الوحيد أن المرأة المصرية ذات الذوق والروح ما زالت فى مصر نادرة الوجود !..

إن اليوم الذى تعنى فيه المصرية باقتناء « لوحة زيتية » صغيرة ، أو « إسكيس » بسيط ، ينم عن ذوق تزيين به جدار منزلها هو اليوم الذى يزهو فيه عندنا التصوير ، واليوم الذى تهتم فيه المصرية بشراء نسخة من كل كتاب جديد للمؤلف الذى تفضله ، وتجلىد هذه النسخة

وتعرضها عرضاً جميلاً ، وتحدث عما فيها من كلام وأفكار فى مجالسها ، — هو اليوم الذى يرقى فيه عندنا الفكر والأدب ..! وإن اليوم الذى توجد فيه المرأة العظيمة التى تكرر بعض همها ، لإيقاظ همهم الفنانين ، وتنشيط الحركة الفكرية ، — هو اليوم الذى تقترب فيه من المدنية الحقيقة .. نحن فى حاجة إلى « البيت المصرى » الذى تنمو فيه كل ملكات الطفل الجميلة ..!

إن الطفل الأوروبى منذ اليوم الأول الذى يستقبل النور فيه ، لا ينام إلا على غناء جميل ، وما يمضى قليل حتى تقوده أمه فى عربة صغيرة إلى الحدائق ، فلا يقع نظره الهادئ اللاهئ ، فى غير وعى ولا إدراك ، إلا على الطبيعة الجميلة ، بسمائها وجنانها ، وجداولها ، وما يكاد يعى ويدرك بعض الإدراك حتى توضع فى يديه كتب لا كتابة فيها ولا كلام ، بل صور جميلة ملونة للحيوانات والطيور والمخلوقات ، وللطبيعة فى مظاهرها الوضاعة الساحرة ، فيحس جمال الرسم قبل أن يفقه معنى كلمة « الرسم » ، ويضطرب لتناسق النغم قبل أن يعرف ما هو الغناء ، ويشعر بتناسب الأوضاع وتجارب الألوان فيما يحيط به من مظاهر الخليفة ، ولما يعلم الكلمات والألفاظ التى يعبر بها عن كل هذه المشاعر ، فهو قد أدرك وجود الجمال عن طريق الإحساس ، فلا ينقصه بعدئذ إلا إدراكه عن طريق العقل والمنطق ، وهو عمل المدرسة والكتب .. على أن مجرد الشعور بوجود الجمال فى المخلوقات والأشياء طفرة كبرى فى التكوين الروحى للطفل ..

فما الجمال إلا المظهر الخارجى والثوب البادى للنواميس العليا ، ففى إدراك وجوده إدراك خفى مبهم لعظمة تلك القوانين التى تنظم الوجود ، وهذا الإدراك هو كل شرف الإنسان وفضله ، وهو وحده الذى يميز الإنسان عن سائر الحيوان ، فلو شعرت الحيوانات ، يوماً بالجمال لما لبثت حيواناً دقيقة واحدة . إن أظهر عيب فى المصرية الآن هو افتقارها إلى

الذوق ، أى الإحساس بالجمال فى الأشياء .. كم من المصريات تعتبر الأزهار فى بيتها كضرورة الطعام والشراب ؟ .. إذا وصلت المصرية إلى هذه الدرجة من الحس المرهف ، وبلغت فى دقة مشاعرها حدا لا تستطيع معه أن تستغنى فى حياتها اليومية عن الجمال فى الألوان والأصوات والأفكار ، - فلقد حق لنا أن نصيح فرحين مهللين بحق : « إن مصر لا تقل رقىا عن أرقى الدول حضارة » ، وهذه المرأة المصرية ذات الذوق الرفيع والروح المهذب ، الدقيقة الإحساس بكل ما هو جميل ، هى نفسها التى تخلق الفنان وتوحى إليه ، لأنها لا تستطيع أن تكون بمعزل عن أولئك الذين يصنعون الجمال .. إنها ستهتم بأمره وتواليه بالتشجيع ولا تتركه حتى تستثير خياله ، فالمرأة يجب أن تعلم أن « الفنان » ليس إلا قيثارة ، وأن أناملها الرقيقة وحدها هى التى تستطيع أن تخرج منه أجمل الأنغام .



## المرأة والفنان

الفنان الحقيقي هو ذلك الرجل العجيب الذى تزوج « الفن » ، فهل مثل هذا الإنسان يستطيع أن يتزوج أيضا « المرأة » ؟ هذا أمر اختلفت فيه الآراء .. ورأى الشخصى أن هذا مستطاع ، لو أدركت المرأة أن حياتها مع هذا الإنسان لا ينبغي أن تشابه أية حياة أخرى ، وأن حياتها ستبذل بلا ثمن لرجل بذل حياته هو أيضا بلا ثمن ..!

نعم .. يجب أن تفهم امرأة الفنان أن كل حياتها ينبغي أن تقدم لزوجها الفنان ، وأن كل رسالتها فى الحياة أن تكفل لزوجها الحياة الهنيئة الجميلة التى فى كنفها ينتج ويخلق ..!

زوجة الفنان هى تلك التى تعنى بزوجها ، ولا تطالب زوجها أن يعنى بها ..! هى التى تزيل متاعب زوجها ، ولا تنتظر من زوجها أن يزيل متاعبها .. هى التى تتلقى من زوجها همومه ولا تخبره مطلقا بهومها ..! هى ذلك المخلوق الذى يعيش صامتا صابرا باسمها بجوار الفنان طول العمر ، دون أن يشعره لحظة واحدة بوقر هذا الجوار ..! هى التى تقف إلى جانبه دائما دون أن يفطن إلى أنها موجودة ..! إن الزوجة التى تستطيع أن تعيش مع « الفنان » هى بالاختصار تلك التى لها رسالة وعقيدة ..! هى التى تستحق بصبرها وتضحياتها أن يقرن التاريخ اسمها باسمه ..! هى التى تضع فى قلبها هذه الكلمة : « إنما يعيش الفنان من أجل الفن ، وتعيش هى من أجل الفنان » ..

## المرأة وأشواكها

كثيرا ما يخلط الناس أمر نظرتى وعلاقتى بالمرأة ، وإنهم ليتهموننى أحيانا بالتناقض ، إذ يرون أنى أحمل عليها مرة ، وأشيد بذكرها أخرى .. والحقيقة أنى فى كلا الحالين أعتقد ما أقول ! ..  
فالمرأة من غير شك هى الزهرة المشرقة فى بستان وجودنا الأدمى ، زهرة لها نضارتها وعبيرها ، لكن لها أيضا أشواكها ! ..

جمال المرأة وفتنتها : هما فى نظرى أشواكها الحقيقية التى تضع فيها كل سموم سلطانها وسطوتها ، فالمرأة إنما تشهر علينا نحن الرجال هذا السلاح ، وتقف به فى وجه أعمالنا ، أمرة فينا وناحية ، صائحة بنا أحيانا أن نقف فى طريقنا كما تقف القافلة تحت تهديد قطاع الطريق لتأخذ منا كل ما عندنا من وقت وقلب ومال وجاه وشهرة ! .. إنها لتجردنا من كل شئ ، وتتركنا عراة تحت سلطان سلاحها المسلط المخيف ! ..

لعلها تتهمنى بالمبالغة ، ولكن هل تستطيع امرأة أن تقول لى : إن هنالك امرأة فى الوجود تعيش لغرض آخر غير سلب الرجال ! .. إنك إذا فتحت رأس امرأة لما وجدت فيه غير هذه الغاية : السطو على رجل ! ..  
إن الرجل قد يعيش لعمله أو لفكرته ، ولكن فكرة المرأة وعملها هو البحث عن الرجل الذى تسلبه لحظاته وكل حياته ، فإذا نظرت المرأة إلى رجل مشهور فإنما تنظر إليه بفكرة واحدة : أن هذه الشهرة لها ، وإذا

كان غنيا فالمال لها ، وإذا كان لبقا ظريفا فكل ذلك لسرورها  
ولخدمتها ..!

لست أتكلم بالطبع هنا عن المرأة المجردة من السلاح ، ولكنى أتكلم  
عن المرأة ذات الأشواك والمرأة المدججة « بسلاح » الفتنة والجمال ..!  
وها هو ذا تاريخ البشرية أمامنا ، أين هي المرأة الجميلة التى لم تستخدم  
جمالها فى إخضاع الرجل ؟ .. كم امرأة فى التاريخ جعلت جمالها فى  
خدمة « غاية أسمى » من إخضاع الرجل ؟ .. إن المرأة ليست لها  
الشجاعة أن تنكس سلاح جمالها فى وجه الرجل ..! إن المرأة مخلوق  
« غير سلمى » ، متى وجد فى يدها سلاح تحركت فيها غريزة السطو  
والحرب .. إن المرأة الجميلة هي عدو الرجل المفكر ..!

## المرأة والعظمة

سألتني إحدى المجلات عن النساء العظيمات في مصر اليوم ، فذكرت أربعاً تصلح كل واحدة منهن أن تمثل ناحية من نواحي العظمة في المرأة : الأولى والثانية معروفتان ، والثالثة والرابعة مجهولتان .. الأولى والثانية رمز لعظمة المرأة الشرقية في المحيط العام ، والثالثة والرابعة رمز تلك العظمة في المحيط الخاص !..

الأولى : تلك التي شاركت زوجها العظيم في قيادة حركة تحرير البلاد ، وتعرضت معه لكل الأخطار ، وقالت له في شجاعة يوم علمت أن الشجاعة قد تكلفه الحياة : « امض في طريق الجهاد وأنا معك » .. وحملت عنه وهو في منفاه لواء الثورة وقاسمته إلى وفاته بيض الأيام وسودها ثم بقيت وحدها بعده رمز الأمة المتحدة ، لا تميل إلى يمين ولا إلى شمال ، وتعصف حول أقدامها عواصف الحزبية وهي شائخة ، كأنها « الوحدة القومية » صبت في تمثال .. إنها بقيت جديرة بزوجها في حياته ومماته . بل إنها بقيت تذكرنا ببعض معاني العظمة في وقت نسيت فيه كلمة العظمة في ميادين السياسة القومية !..

الثانية : تلك التي قادت حركة تحرير المرأة في مصر والشرق ، وجاهدت جهاداً متصلاً في سبيل الرقي بمستوى المرأة المصرية الاجتماعي ، وبذلت جهداً ومالها ووقتها في إقامة المنشآت العامة التي تنفع الفتاة والمرأة !.. ولقد خالفت هذه الزعيمة في بعض الآراء . لكن مهما يكن من أمر خلافنا في الوسائل والتفاصيل فإنني متفق معهما في

الغاية والغرض الأسمى .. وهو رقى المرأة المصرية والشرقية ، من أجل ذلك لا يسعنى إلا أن أعترف بعظمة هذه السيدة التى تكرس حياتها لمثل هذا الهدف العظيم ، وأرجو مخلصا أن تنجح فى رسالتها وأن ينصفها التاريخ ، الذى هو لا شك مشتها على كل حال فى سجل العظيمات !!  
الثالثة ، تلك التى لا يعترف بعظمتها سوى ، لأنها مجهولة كالجندى المجهول ، وهى مثله تمثل فئة تجاهد فى الظلام جهاد الأبطال ، فقد أتاحت لى الظروف ، أن أعرفها وأراها عن قرب . رأيها وهى تهذب أطفالها وتنشئهم على حب المثل العليا . لقد كانت تجمعهم كل ليلة عقب العشاء لتقص عليهم قصصا لذيذا مما تطالعه أثناء فراغها ، تختاره من ذلك النوع الممتلى بالبطولة الخلقية والفضائل الإنسانية . ولم يكن أطفالها وحدهم هم الذين يلذ لهم هذه القصص ، بل زوجها أيضا الذى كان يكر فى العودة ، حاملا الحلوى ، ليصغى إليها مع الأطفال .. ولقد كانت هذه السيدة إلهة ذلك البيت بالمعنى العظيم لتلك الكلمة .. ولقد كانت المينة لزوجها فى كل شىء الناصحة له فى كل أمر .. إذا شذ يوما عن نصحتها ضل ..! لقد تحملت معه قسوة الحياة منذ اليوم الأول ، وذاقت معه مر الكأس ، وكان نصيبها أكثر من نصيبه .. أما حلوها فما كانت تسمح لنفسها منه إلا بالأقل .. وكانت ذكية قوية الإرادة تتقن كل عمل ، وتحب أن تحذق كل شىء يقع فى محيط حياتها ..

لقد أدارت بيتها خير إدارة ، بل أدارت مزرعة زوجها خيرا منه ، يوم اضطرتها الظروف إلى هذا العمل . ولقد شاهدت أولادها يشبون على مبادئ الخلق القويم والرجولة الكاملة التى غرستها فيهم ، ورأت زوجها يحتتم حياته السعيدة لاقتضا اسمها مع النفس الأخير ، فعلمت أنها أدت واجبها كزوجة صالحة وأم مثلى ، من هى هذه السيدة ؟ .. ذلك لا يهمنا ولا يهمها ، فحسبنا أن نعرف أنها امرأة عرفت واجبها وأدته على الوجه الأكمل ! .. وهذا ليس بالشىء القليل على هذه الأرض ! .. وهذا وحده

يكفى أن ننحنى لها احتراماً ، كما ننحنى أمام تمثال الجندي المجهول —  
ذلك البطل المستتر ، رمز البطولة المستورة التي لا تقل شأنًا عن البطولة  
المشهورة ..

الرابعة : تلك التي تريد زوجاً لا كأغلب الرجال ، بل رجلاً ذا رسالة  
عامة شاقة ، يكافح في سبيل أذاتها معرضاً حياته للنجاح والفشل ،  
والسلامة والخطر .. رجلاً يعيش بمثل عليا ، يرجو أن ينير بها طريق  
الناس والإنسانية .. لماذا تريد أن تقرن حياتها بحياة هذا الرجل ؟ لأنها  
تريد أن تكرر نفسها لهذا عظيم .. إنها إذن عظيمة النفس .. إنني  
أتصور ما تستطيع أن تصنع لزوجها مثل هذه المرأة ؟ .. إنها ستسهر عليه  
كما تسهر العين اليقظة على المصباح المضيء ، تحرص على استمرار تألقه  
وتمسح عنه الدخان وتملؤه بالزيت من حين إلى حين ! ..

## المرأة والحرية

من بين الأساطير الهندية أسطورة معروفة فى كل مكان .. خلاصتها أن الإله « تفاشترى » عندما خلق الدنيا ، تناول فى يده العناصر كلها ، وصنع منها الشمس والقمر والنجوم والجبال والرياح والبحار والأشجار والحيوان .. وأخيرا الإنسان .. فى صورة الرجل الأول .. وجاء ذلك الرجل شاملا لكل العناصر مستنفدا لها جميعا .. فلما أراد الله بعدئذ أن يخلق المرأة لم ير بدا من أن يستعير لها صفات غيرها من الكائنات ، فأخذ لها من الشمس ضياءها ، ومن القمر استدارته ، ومن النجوم بريقها ، ومن الجبال عنادها ، ومن الرياح تقلبها ، ومن البحار ميوعتها ، ومن الأغصان مرونتها ومن الندى دموعه ، ومن الورق خفته ، ومن اليمام وداعته ، ومن النمر قسوته ، ومن الطاووس خيلاءه ، ومن النار حرارتها ، ومن الجليد برودته .

عجن الإله كل هذه الصفات وصنع من تلك العجينة ذلك المخلوق الذى يسمى « المرأة » وقدمه إلى الرجل .. هدية تؤنسه وتسره وتسعده ، فتقبلها الرجل شاكرا .. ولكن لم يمض قليل .. حتى رأى الإله ذلك الرجل يأتى إليه شاكيا :

— خذ هديتك !.. إنه سلطان طاغ .. إنه مخلوق لا منطق له .. إنه يسير فى اتجاهات مختلفة .. وطرق متعارضة .. ما يجبه اليوم يكرهه غدا ، وما رفعه أمس خفضه اليوم ، من أين جئت به ؟.. وكيف صنعتته ؟.. كل المتناقضات فيه .. كأنه ثوب مرقع .. فيه من كل لون قطعة !.. ومن

كل مادة بضعة ا..

فقال الإله :

— وما الذى يزعجك من تناقضه وتقلبه ، ما دمت أنت المالك  
لزمame ؟..

فقال الرجل :

— من قال إني المالك للزمام ا.. لقد قال لى حقا إنه جاء لخدمتى  
ولمصلحتى ولهنائى ولرفعتى .. ولكن ما إن استقر فى حياتى حتى غدا هو  
كالسلطة الطاغية فى الشعب الضعيف ا..

فقال الإله :

— هذا ليس من حقه ا..

فقال الرجل :

— هذا هو الذى حدث .. إنه لم ينتر على حياتى رغدا ، ولا نعيما  
ولا هناء ولا رخاء ا.. فهو الأثرة بعينها ، والأنانية قائمة على قدمين ا..  
تجردنى مما عندى لتمتلى هى وتنتفخ ، إن هذا المخلوق سلبنى ما معى ولم  
يعطنى شيئا ا.. .

قال الإله :

— وكيف تركته يفعل ؟!..

فقال الرجل :

— لست أدرى ا.. لقد خدر إرادتى .. واستغل لحظات ضعفى ،  
واغتر بإخلاصى وحبى ، فجعل يتصرف فى أمرى ومالى تصرف المالك  
فى عبده ا.. وليته أحسن التصرف ا — لقد استبد برأيه فلم يحفل  
بالإصغاء لى ، أو يأبه بالتماس المشورة عندى ا..

فقال الإله :

— وماذا تريد منى الآن ؟..

فقال الرجل :



— حريتي .. أعطني حريتي ، وخذ هديتك .. الطاغية ..  
فقال الإله :

— لست أنا الذى سلبتك حريتك ، حتى أردّها عليك .. أنت الذى  
قدمتها عطلت اختيارك إلى هذا المخلوق .. الذى تسمية طاغية !.. إنسى لم  
أجد لك أضعف منه لأمنحك إياه .. مخلوق — كما اعترفت أنت لا عقل  
له ولا منطق — لا يدري ما يفعل اليوم ، ولا ما يتجه إليه غدا ، أعطيته  
لك .. لتحكمه لا ليحكمك .. ولتوجهه لا ليوجهك .. ولتأخذ منه  
هناءك ، لا ليأخذ منك دماءك !.. ما دخلى أنا إذا كان العكس هو الذى  
حدث !؟ .. ثق أنى لن أجد لك أضعف منه حاكما لك !..

قال الرجل :

— وماذا أصنع الآن ؟..

فقال الإله :

— كافح !.. كن رجلا !.. إنى أذكر يوم خلقتك رجلا ، أنى جعلت  
لك قوة وجلدا !..

قال الرجل :

— ألا تخلصنى من هذا المخلوق ؟..

قال الإله :

— أخلصك منه .. على شرط .. أن أخلصك فى نفس الوقت من  
قوتك !..

— قوتى !؟..

— نعم !.. قوتك التى آثرتك بها وميزتك .. إنسى ما أعطيتك القوة  
عبثا .. إنما أعطيتك القوة لتكافح بها فى سبيل إرادتك !.. وما دامت  
لك إرادة ، فلن يسلبك طاغية حريتك !..

واختفى صوت الإله خلف السحب .. وترك الرجل وحيدا ، يفكر

ويردد :

– إرادتى ؟!..

ثم ثاب إلى رشده أخيرا .. فانطلق إلى بيته لا يلوى على شيء .. وقد  
دبر فى نفسه أمرا .. فما إن بلغ أعتاب الدار ، حتى رأى ذلك المخلوق  
الضعيف المتعرج واقفا وقفه الزهو ، وقد عقد على رأسه الفارغ من  
العقل ، تاجا من زهر !.. وهو يتأهب للصياح بلهجة الأمر ، فاقترب منه  
الرجل ، وأمسك بشعره الطويل الفاحم ، وجز منه بسكين خصلات ،  
فقتل منها حبلا أوثق به يديه !..

ثم قال :

– الآن أيها السلطان الطاغى ، لن تأخذ منى حريتى !..

## المرأة والبيت

سألتنى كذلك. إحدى المجلات عن رأيى فى الفتاة المصرية الحديثة وفهمها لرسالتها نحو « البيت » ، فأبدت خوفا شديدا من أن يودى تيار الحياة العصرية إلى جرف المرأة المصرية بعيدا عن واجبها الأسمى . فالفتاة أليوم أمام هيكلين هائلين ، يوثران فى عقليتها الناشئة وبحرى تفكيرها الحديث : دور السينما ، ودور الجامعات ، وإننى لأخشى أن أقول إن الفتاة فى مصر اليوم إذا فقدت الاتزان ، واندفعت بكل روحها إلى أحد هذين الهيكلين ، - فلا مناص لها من أن تكون إحدى اثنتين :

الأولى : تلك التى تخرجت بنجاح من دور السينما والملاهى ، وحذقت تقليد ممثلات « هوليوود » ورأت « كلوديت كلولبر » تصفع زوجها فى الرواية على حده الأسيل ، فيمسح مكان الصفح بالمنديل ، وراحت تراقص هذا وذاك ، وتجلس على مقعد « البار » العالى وتمتد عارية على أديم الرمال ، ولا تعرف من شئون الدنيا والآخرة غير الكلام فى الجاذبية وقلة الجاذبية التى عند الرجال ، ولا تدرك أن عليها لزوجها واجبات ، فهى ليست مسئولة عن بيت ولا مطبخ ولا أولاد ، لأن هذا من عمل الخدم والمربيات .. أما هى فوظيفتها فى الصباح الطواف بجوانيت الزينة والثياب والذهاب إلى الخياطات ، وفى الظهر استقبال زوجها بالطلبات ، وفى العصر التعلق برقبتة ليخرج بها إلى التزهة ، أو يدعها تذهب إلى « زوزو » و « شوشو » و « موشو » للعب « البريدج » و « الكونكان » ..

أظن مثل هذه المرأة توافقنى على أن الرجل المحترم المستول هو آخر من يفكر فى قبول مثل هذه المرأة شريكا محترما يسير إلى جانبه فى طريق حياة جدية قد تكون عظيمة الأثر فى تاريخ بلاده ..!

أما النوع الثانى من المرأة فهو نوع تخرّج بنجاح من المدارس والجامعات ، فحذق تقليد الرجل فى جهله بشئون البيت ، ومعرفته بآراء « أفلاطون » و « أبى العلاء » ، نوع من حائزات البكالوريات أو الدبلومات اللاتى قد يصلحن للتدريس أو التوظيف ، ولكنهن لا يصلحن زوجات .. نساء يعرفن « أفلاطون » ولا يعرفن كيف تقلى بيضة ، فإذا مرض الطباخ أو خرج تغذى الزوج المحترم بزبدة أفكار « أفلاطون » ..!

أما خريجات المدارس الإنجليزية — ممن تعلمن قشور اللغة الفرنسية أو الإنجليزية ومبادئ البيانو — فإنهن عرائس جوفاء صنعت فى حوانيت « المير دى ديو » أو « الدام دى سيمون » ، لتوضع مع جهاز العرس فى بيت زوج مسكين ، كتب عليه أن ينكب بحمل هذه الدمية المتحركة الناطقة « بمون شير » و « ماشيرى » من حيث أراد معينا يعينه على حمل متاعب الحياة ..!

وكلتا المراتين لم تفهم مما تعلمته فى هذه المدارس المختلفة غير شىء واحد : حقها المطلق فى السيطرة على الرجل وإخضاعه وعدم طاعته ، وجعله خادما لمطالبها ، نازلا على إرادتها ، واعتبار أى حق له قبلها تأخرا ، يقابل منها بالاحتجاج والازدراء .. هذا حادث فى مصر بالفعل الآن ..!

أما فى أوروبا ، حيث عرفت المرأة كيف تصل إلى الاتزان المطلوب ، فهناكم ما تقوله زوجة فاضلة فى إحدى القصص الفرنسية الشهيرة قرأتها أخيرا بالمصادفة :

« منذ الأيام الأولى لزواجى ، رسمت لنفسى خط سير محدد : هو أن

أسمع وأعمل كل ما يريده زوجي ، ولم أنحرف أبدا عن هذا المبدأ . ولقد وجدت نفسي بذلك على خير حال ، إذ بفضل ذلك جعل زوجي يسمع ويعمل كل ما أريد !.. هنا سر سعادتي ، وهي كما ترى قائمة على هذا المبدأ البسيط : فلتفعل الزوجة ما يعجب زوجها ، ويفعل هو ما يعجبها .. » ،

هل يستطيع أحد أن يعد لي كثيرا من الزوجات عندنا اليوم يسرن على مثل هذا المبدأ البسيط ١٩..

إنني أعتقد أن الزوجة الصالحة هي تلك التي تستطيع مشاركة زوجها في سيرة الطويل الشاق في طريق الحياة وأن تعينه حقيقة أصدق المعاونة على احتمال متاعب السير ، وأن تخفف عنه قسما وافرا من أعباء الحياة اليومية ..

لكم أثرت في نفسي صورة أخيرة للمستر « تشرشل » ، وهو يمشي إلى جوار زوجته ، متزهين في إحدى الطرق .. كل ما في تلك الصورة يدل على أن هذين الزوجين قد قطعا معا على هذا النحو طريق الحياة بما فيه من هناء وشقاء ..

كذلك أثرت في نفسي كلمة إهداء ، صدر بها أحد كبار رجال السياسة في فرنسا كتابا له ختم به حياة كلها كفاح :

« إلى زوجتي التي تشاركني أيامي البيض وأيامي السود » ..!

فإلى أن تكثر في مصر والشرق مثل هذه الشريكة ، لن نجد بكثرة رجالا عظاما ، يتجملون السير في طريق الجهاد والمجد حتى النهاية !..

## سليقة المرأة

أذكر أن فتاة مثقفة سألتني ذات يوم عن رأيي في اشتغالها بالصحافة .. وهل هذا العمل يناسب طبيعتها باعتبارها امرأة ؟.. فقلت لها : ثقي أن المرأة مخبرة صحفية بالفطرة .. سواء التحقت بجريدة أو بيتها .. لقد كان « آدم » في الجنة هادئا وادعا ساكنا لا يفكر في شيء ، ولا يصل إلى عالمه أمر .. فمن الذي جاءه بالخبر الأول في تاريخ الأخبار ؟.. وأعنى به اقتراح « إبليس » أكل الفاكهة المحرمة ؟.. أليست هي « حواء » التي نقلت إلى « آدم » هذا الخير الهام ؟!

من الذى كان يسمع من « الحية » الكلام ، ويجرى معها « الأحاديث » ، ويستقى منها الأخبار ، ويفضى بها إلى آدم ؟ .. أليست هي حواء ؟.. إنى أعتقد أن هذه الحادثة هي أول عمل صحفى منذ بدء الخليقة !.. وبهذا تكون « حواء » هي أول صحفية مخبرة ظهرت في الكون ، قبل أن تخطر فكرة الصحافة على بال مخلوق !..

إن الصحافة في دم المرأة .. وهي عندما لا تجد خيرا تنقله أو شخصا تستجوبه ، تعتمد إلى زوجها فتفوضى إليه بكل ما سمعت في يومها وما رأت في نهارها .. أما إذا كان الزوج هو القادم عليها من الخارج فإنها تستقبله بالسؤال تلو السؤال : أين كنت ؟.. ومع من كنت ؟ وفيم كنتم تتحدثون ؟.. والويل له إذا تهرب من الإجابة متذرعا بالتعب ، أو راجيا تأجيل الحديث ، أو مؤكدا أنه لم يقابل أحدا ذا بال ، فإنها عندئذ تعامله كما لو كان وزيرا خطيرا يخفى عنها عامدا اسرار أزمة

دولية !.. فهى تضيق عليه الخناق .. وتحاوره وتداوله بكل حذق وبراعة ، فإذا أكد لها وأقسم أنه ليس عنده ما يستحق الكلام ، صاحت به : أهذا معقول ؟ كل هذا الوقت فى الخارج وليس عندك ما تقول ؟.. وتظل به تستحثه حتى يضطر المسكين إلى أن يلفق لها خيرا لم يقع .. ولكنها بسليقتها تدرك أن ما قال ليس له نصيب من الصحة ، فتبتسم وتسكت متظاهرة بالإصغاء ، إلى أن يتورط فى سلسلة من الأكاذيب والمتناقضات ، فتمسك به متلبسا بالأكذوبة ، فيعترف ، وهنا تقول له :

– لن أصدقك بعد اليوم ؟.. كل أخبارك كاذبة ؟..

– ومن قال لك أن تتخذينى مصدرا للأخبار ؟..

– لماذا تخترع ؟.. لماذا لا تقول الحقيقة ؟..

– لأنه لا توجد حقيقة .. لا يوجد شيء على الإطلاق .. وأنت مصممة على أن تنتزعى منى خيرا بأى طريقة ..

– أريد خيرا صحيحا لا مخترعا !

– لا يوجد .. قلت لك لا يوجد .. ليست عندى اليوم خير صحيح . لم يبق إلا أن أخترع !.. وإلا فلأسكت سكوتا مطبقا .. وإياك أن تسألينى شيئا أبدا !..

– إذن اخترع .. هذا على كل حال خير من لا شيء !..

نعم .. إن الصحافة الإخبارية ميراث المرأة عن جدتها « حواء » .. فلتهبط ميدانها إذا شاءت ، ولتنقل من الأخبار ما أرادت ، ولتستق من المصادر ما وجدت ! ولن يعوزها اليوم أيضا فى الدنيا « إبليس » ولن تنقصها « حية » ، فإن محيط المجتمع من قومى وعالمى يعج ويضج بالأبالسة والشياطين والحيات والثعابين ، بأحاديثها ومغرياتهما ومقترحاتها ..

ولعل ملايين السنين قد علمت المرأة الآن الحكمة .. فلن ننقل « الخبر » الذى يخرج آدمها الجديد من « اللجنة » !..

# الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية ... ..
٥	كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية ... ..
١١	تقديم ... ..
١٢	فى الدين ... ..
١٣	منطقة الإيمان : ... ..
	الغريزة والعقيدة — العقل والقلب والغريزة ملكات
	منفصلة — عالم الحواس — حقيقة الخالق — رجال
	العلم ورجال الدين — المعقول والمنقول — عناصر
	الأخلاق فى الديانات — العقيدة والإيمان بالذات
	الإلهية — العقيدة أساس الحياة النابضة .
١٧	الدفاع عن الإسلام : ... ..
	— « فولتير » و « النبى صلى الله عليه وسلم » —
	حقيقة الفنان الحر — فولتير فى قفص الاتهام —
	« الإسلام » عند الأوربيين معناه « الشرق » —
	صدى الإسلام عند الأوربيين — دفاع الإمام الشيخ
	« محمد عبده » عن الإسلام — ردوده البليغة على
	المارقين من الغرب — الإسلام برىء من الخرافات
	والمخرفين — « محمد » صلى الله عليه وسلم وتأمله



## الموضوع

صفحة

— « فضل العلم خير من فضل العبادة » —  
 « محمد » صلى الله عليه وسلم و « أنشئت » —  
 الخصومة بين العلم والدين — الدين والعلم والفن  
 خيوط الاهتداء إلى نور « الله » .

نجم « أحمد » : ... .. ٢٧

— الحق لا يبدأ ولا ينتهى — « محمد » و « المسيح »  
 و « موسى » — الطبع والمزاج فى حياة الرسالة —  
 أسلوب الأديان يقع على كاهل الأنبياء — دنو النبى  
 من الحق راجع إلى شخصيته — الفرق بين الرسول  
 والبشر عند استلهام الوحي — ليست الفوضى من  
 عناصر الحياة — الدين هو المناعة الاكتسابية لمقاومة  
 الحياة — مبادئ الدين لا تعارض التطور الطبيعى —  
 الدين المثالى هو المبسط .. هو الإسلام — الإسلام  
 خاتم الأديان .

سر العظمة : ... .. ٣٢

— فقير — وحيد — أعزل — ماضى العزم — صلب  
 الإيمان — أمام عالم قوى العدة والعدد — على حرارة  
 من عقيدة قديمة — يرى مساس الكرامة إن مست  
 كرامته فى عقيدته — المواقف صراع ومبارزة ! —  
 المعجزة — شخصية النبى — الاصطفاء ويد الله —  
 متاعب الرسالة .. ظهور المعجزة — الفعل والمثل  
 والقدوة — تجرد النبى عن الغايات الدنيوية من مال  
 ومجد وسلطان — الصبر والمثابرة .

صفحة

الموضوع

٣٦ ... .. المرأة في شباب النبي :

— حياته قبل خديجة — انصرافه عن هو الشباب —  
العفة المطلقة هي صفته الغالبة — إحساس بمصير  
عظيم ومسئولية قادمة — لا يعيش العظيم على شبح  
امرأة بل على شبح محمد منتظر — ليس « محمد »  
صلى الله عليه وسلم هو البادئ بالحب — نساء  
قريش أمام الأصنام في حضرة عراف — موقف  
خديجة مما قاله العراف — خديجة تضع تجارتها تحت  
إدارة محمد — حديث ميسرة عن محمد في ربح  
التجارة — وحديثه عنه بمقال أحد الرهبان ونبوته —  
« نفيسة » تابعة خديجة ورسولها إليه — منبع الحب  
كان قلب خديجة — إنها أول امرأة علمت  
« محمدا » الحب .

٤٠ ... .. جوهر الدين :

— عمر والإيمان الصادق — رجال الدين ونوايا  
الكتاب — موقف رجال الدين من شعر الشعراء —  
كرامة الإنسان في نخوض الحياة الروحية — عدم  
التدين إهدار لكرامة آدمي — مزية الإنسان في  
الإيمان .

٤٣ ... .. في الأدب والفن والثقافة :

٤٤ ... .. الخلق :

— العقلية المصرية بين الأمس واليوم — مميزاتها في الماضي  
والحاضر والمستقبل — من المصري ؟ ومن الغربي ؟ —

التمثيل عند مصر وعند الإغريق - الفكرة والشكل  
والظاهر والباطن - مصر والهند أمام النظر الدينى -  
الاستقرار والرخاء - الفن دليل عقلية الأمة  
وعواطفها - الكون فى مصر والهند والحركة عند  
الإغريق - الإغريق والعرب - الحركة عند الإغريق  
والسرعة عند العرب - فن الزخرف العربى -  
« الأوركسترا الإغريقية » و « الكورس » الجنائزى  
المصرى - الموسيقى كالعمارة فن رمزى شكلى -  
التصوير العربى - النحت عند العرب - مصر هى  
الروح والكون والاستقرار والبناء - الغرب هو المادة  
والسرعة والطعن والزخرف - الأدب المصرى  
الحديث مصيره مزج المادة والروح - الصراع بين  
الروح والمادة فى الديانات - المخلوقات الإلهية  
البائدة - شخصية « غالاس » فى أصحاب الكهف  
- أخفقت اليونان فى تطعيم الروح بالمادة .

٥٥ ... : النقد ... ..

تيارات مصرية وعربية وأوربية - الأسلوب كل  
شئ عند الخالق والفنان - ليست المخترعات غاية  
العلم بل هى تطبيق - المنطق .. موقفه من النقد -  
الوجود - الأخذ والعطاء - الظواهر الطبيعية ذات  
أسباب غير متناهية العدد - التشابه شرط الأخذ  
والعطاء - التناسق تشابه واختلاف معا -  
« يتهوفن » وسر التأليف بين صوتين - منبع الفن

أسلوب الله في خلقه — نظرية النشوء والإرتقاء —  
علم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم الحياة —  
« عمانويل كانت » والمدرسة الألمانية فى نظرية  
الجمال — علم النفس الحديث والجمال — طرائق  
العلم — نظريات المادة فى مسائل الروح — الشعور  
بجمال الطبيعة بين الأقدمين والمحدثين — العلم  
والإيمان — الفلكيون العظام والكواكب — التيار  
المصرى القديم نقد يعتمد على الذوق — التيار  
الغربى القديم نقد يعتمد على الحس والتناسق  
الخارجى .

٦٨ بين الخالق والناقد : ... ..

— الأديب لا يهدمه النقد — لا توجد فى أدبنا  
صدقات يتحدث عنها تاريخ الأدب — الصداقة  
الخالصة بين رجال الأدب والفكر دليل نضج الأدب  
والفكر .

٧٠ غاية الأدب والفن : ... ..

الأدب الأمريكى — أساطير الرومان واليونان  
وشخصية « امرئ القيس » و « شهر زاد » — الإنسان  
الأعلى هو الذى يصون « الجمال الفنى » — الأدب  
الأمريكى صحافة راقية — الفرق بين الإنسان  
والحيوان — الوعى الاجتماعى والوعى الفردى —  
للفن وحده الحكم النافذ والسلطان الأعلى —  
تمحيص نظرية الفن للفن ، والفن للمجتمع — ليس  
من الفن تراجم الأفراد أو ترجمة الكاتب لنفسه .

## الفن والإصلاح : ... ..

— الاتجاه القومي والاجتماعى فى مؤلفات « أحمد أمين » — « أناتول فرانس » و « برناردشو » — المصلح والفنان فى أوروبا — نظرة الشرق إلى المصلح وإلى الفنان — « شكسبير » فى « روميو وجوليت » — « الفنان » صانع « المصلح » — قيادة الرأى العام واجب الأديب — رأى « العقاد » فى اتجاه التاريخ الإنسانى من الاجتماعية إلى الفردية — الفردية والأنانية — الفن مصدره الشخص ، والعلم مصدره الموضوع — التعاون بين الفنان والعالم ، لخلق علم وفن .

## منابع الفن المصرى : ... ..

— المأساة المصرية القديمة أساسها الزمان والمكان — المأساة الإغريقية أساسها القضاء والقدر — استيحاء كل ما هو مصرى — الحياة مصدر العقائد والخرافات — المصريون ينتصرون على الزمن رمز الفناء بالبعث الدائم — رفضت مصر دين « إسرائيل » — مصر فى العهد المسيحى — مصر الإسلامية — الفن الفرعونى المعمارى — الأسلوب مزاج الفن وطبيعته ووسيلته الخاصة — الأسلوب فى أهل الكهف — الفن مرآة — المسرحية المقروءة والمثلة — المسرح الإغريقى والتراجيديات المصرية القديمة .

## الثقافة الشرقية : ... ..

دعم الثقافة الشرقية — الثقافة الغربية تعمى بعض الشرقيين — الحضارات الأولى نبع فياض — ليس للفكر البشرى حدود دولية — الحضارات الإسلامية مزيج من حضارات مختلفة صبها الإسلام فى قالب ذى لون خاص — الثقافات اللاتينية والأبجلىو سكسونية مضافتان إلى طابعنا الشرقى أساس نهضتنا — الشرق يسترد اعتباره فى نظر الغرب .

## كتلة الروح الشرقى : ... ..

— الحروب الأوربية — الروح الأوربى — طابعنا الفكرى وتقاليدهنا ومشاعرنا ونظرتنا إلى الجمال وأسلوبنا فى التعبير — الوحدة العربية — الروح الشرقى قائم رغم أنف الروح الغربى .

## إحياء الثقافة العربية القديمة : ... ..

— امتصت الحضارة الأوربية الثقافة العربية القديمة — الوسيلة الفعالة لتوليد ثقافة شرقية — عصر النهضة الأوربية — السخاء والإنفاق فى سبيل ثقافتنا أمر محتوم .

## أثر أوروبا فى أدبنا الحديث : ... ..

الحضارات الفرعونية والإغريقية والرومانية والمسيحية والإسلامية — الأدب العربى الحديث تأثر بالفكر الأوربى — وسائل الاتصال بين الشرق والغرب — النزى الشرقى والغربى فى الأداء الأدبى — ليس الرداء والقالب ملكا لأحد — الحضارة الراهنة وليدة

٩٦ ... .. : الأدب العربي في الماضي والحاضر

— علة الجمود العقلي — التحرر الفكري — حديث  
مع أستاذ أزهرى — « الجاحظ » و « ابن المقفع »  
في نظر الرجعيين السلفيين — « فولتير »  
و « برناردشو » — « أنشتين » و « فيثاغورس »  
— الأدب العربي الحديث والقديم — التطور والتطوير  
في الأدب .

٩٩ ... .. : كرامة الفكر

— الرجولة والكرامة — مكانة الرأي في الكرامة  
والشخصية — نظامنا الديمقراطي — الحرية والكرامة  
الآدمية في التفكير الحر بعقولنا لا بعقول غيرنا .

١٠١ ... .. : من النيل إلى السين - ١

— محصل العلم والعصفور — أعقاب العلم وأعقاب  
السحائر — « باريس » سفر الحياة العليا .. كتاب  
مفتوح — النيل .. مصر هيكل مغلق الأبواب — نحن  
في خمول تغنى ونحن كسالى على باب الهيكل —  
الباريسيون والقهوة .. المترو .. النشاط — ليس في  
مصر ما يشجع على قضاء وقت الفراغ في جو  
ثقافي أو فني — حياتنا أكل وشرب ومتعة وضيفة —  
الحسن العلوى والجمال الروحي هما الرقى الفني  
والفكري .

١٠٥ ... .. : من النيل إلى السين - ٢

«العقد الفريد» ومقامات «بديع الزمان» — الخير

الصفحة

الموضوع

السياسى فى الصحف — حياتنا فوضى .. أو هى  
أولية سديمية — المظاهرات الأدبية والعلمية — محترفو  
السياسة .

١٠٨ ... من مشكلات الفكر :

— مشكلات النقد والمطبوع من الكتب — الحكومة  
تشترى مقالات، الأدباء — حكوماتنا السابقة  
والمؤلفون — معاش للأدباء — الحكومات والعنقاء —  
الأدباء والفن الرفيع — الأديب ومدعى النبوة — ماذا  
يصنع الأديب ؟

١١١ ... بين جيلين :

— حوار بين حسناء وراهب الفكر — حوار بين  
حسناء وأديب — راهب الفكر يرصد حديث الاثنين  
عن مؤلفاته — انقطاع الراهب العظيم عن التأليف  
مدة طويلة — الرواية المصرية المطولة — لا يستطيع  
الفنان أن يهمل فنه — لا غناء فى المكرر فى عالم  
الأدب — التجديد شفاء للأديب الفنان .

١١٦ ... فى السياسة والاجتماع :

١١٧ « هستريا » السياسة :

الأبراج العاجية وهستريا السياسة — « جوتة »  
و « أكرمان » — الثورة الفرنسية — مجد ألمانيا فى  
الماضى — رواد السياسة والإنتاج الأدبى .  
— صرخة من البرج العاجى — اهدءوا وانصرفوا إلى  
أعمالكم .



صفحة	الموضوع
١١٩	جموح الديمقراطية : ... .. — العلماء والإملاق — نقشى المادية والوصولية — حسن ظن الخاصة بالأخلاق — المثل العليا المحطمة .
١٢١	الإيمان بالمثل العليا : ... .. — قد يكون الدرس والمثل من المحكومين — « الشيخ الطويل » و « الخديو » — « نابليون » وعلماء « الأزهر » — وجود المثل بالفعل « القدوة الحسنة » .
١٢٣	داء الكلام : ... .. — القيمة عندنا للكلام لا للعمل — بلزور العمل وعبقرية الخلق فى مصر — فشل « نابليون » فى السياسة والحملة على مصر ، دعاه إلى إنشاء المعاهد العلمية ، ليوطد لنفسه الحكم على أساس العمل العلمى .
١٢٥	البرنامج أولا : ... .. — يجب أن يكون لنا برنامج أولا — نحو الأمية — المشروعات الاقتصادية — القطن والسكر فى مصر — التعليم الجامعى — تحديد العمل والزمن .
١٢٧	فساد الدولاب : ... .. — الأيدى العاملة لحقها الفساد — أهدرت الشجاعة الأدبية — الوزير وموظفوه — الأداة الحكومية الصالحة — الوزير والوكيل .
١٢٩	الحرب بكل الأسلحة : ... .. — المعنى الحقيقى للديمقراطية — خصومة المبادئ — يجب أن تكون الخصومة فى التنافس لخدمة المجموع

— تكافؤ الفرص وتهيئتها .

١٣١ نعيم الانتخابات : ... ..

النفقة والغرامة ورسوم الامتحان — النعيم الحقيقي  
من نصيب الفلاح المسكين — البطون الجائعة تطعم  
الديكة بدل الفجل والجبن المدود — الأقدام الحافية  
تركب السيارات — الجيوب الخاوية تملؤها النقود —  
الزكاة وأيام الانتخاب — الفلاح فى الانتخابات  
يفهم معنى الحياة الإنسانية ويذوق طعم الآدمية .

١٣٣ شركة مقاولات الانتخابات : ... ..

فضائح الخصم ومثاليه الشخصية — زبون .. وزبون  
— أفواه السذج وصوت الضمير والواجب .

١٣٥ العرائس : ... ..

— فبة البرلمان الذهبية فى الأزمان السالفة — مرشح  
انتخابى يلقى كلمة فى الناخبين — عضوية البرلمان  
وعربة « لرولنزويس » أعضاء البرلمان والعرائس فى  
الفتريات — الصراحة شفيق النائب المثالى .

١٣٧ الشحاذون : ... ..

— التعاقب السريع فى وزارات مصر سابقا  
— كان الحكم كأرجوحة الخيول الخشبية الدائرة  
— كانت الحياة لهوا وتعطلا إلى جوار تعطل  
— كانت البلاد تخفق عليها راية التسول العام  
— أصوات الإلحاح فى كل مكان من دور الحكومة  
— أبو بكر وإبله — للعمل الحكومى مجهود واجب ،  
وللارتزاق وأسباب العيش أبواب ! .

- الموضوع
- صفحة
- الأحزاب والشعب : ... .. ١٤١
- الخطط ووسائل التنفيذ — مشروع مقاومة الحفاء  
 — تنظيم تذاكر الانتخاب كتتنظيم التذاكر للمسرح  
 — لا وجود لبرنامج أو خطة — طبقات الشعب  
 الفقيرة — تكونت أحزابنا تكوينا شخصيا مرتجلا —  
 أحزابنا وأحزاب الأمم الراقية — حلاق يوناني  
 وزميله المصري — وضع من الواجب أن يتغير .
- الفكر والشعب : ... .. ١٤٣
- الكتاب يمهّدون السبيل للانقلابات والإصلاحات —  
 كان الأدب فى مصر حلية فى معاصم الأدياء —  
 وزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة الأوقاف — كانت  
 المسألة الاجتماعية عندنا فى طور « الهواية » .
- « كادر » المقامات : ... .. ١٤٦
- الموظف المصرى الكبير — « عدس »  
 و « بنزاىون » و « موصيرى » — مقاماتنا — الهر  
 « هتلر » وسائقه الهر « شاخت » — أمراضنا  
 الخطيرة — مصر الناهضة المستقلة .
- مصر والشعار الدولى : ... .. ١٤٩
- الروح القومى — الوحدة والمساواة فى داخل بلدنا  
 — تغيير لباس الرأس — الشعار الوطنى — التطور  
 الطبيعى — الاتحاد مع العالم المتحضر
- المعنى الإنسانى لوحدة الزى : ... .. ١٥٢
- الشعوب المنحطة أكثر الشعوب تمسكا بتقاليد  
 الزى — سيتغير الموقف بخلعنا للطربوش — العزلة
- ١٩٣

- ١٥٤ البحث : ... .. « حوار بين « حوريس » و « أوزيريس » — ليس  
« حوريس » سوى الشباب — الموت يخشى صوت  
الشباب الأحياء .
- ١٥٦ دولة العميان : ... ..  
استبدال الحواس وتقارضها — عمى من طراز جديد  
— المحابة فى مصالح الحكومة قديما — ممالأة الرؤساء  
— أبواب الجامعة — الضرائب — وزير المشروعات  
أو وزير التناسق الحكومى — نشاطنا العلمى  
والتنسيق — حاجتنا إلى عين !.
- ١٦٠ فى المرأة : ... ..
- ١٦١ المرأة والمجتمع : ... ..  
— المرأة شريك محترم — النساء فى صدر الإسلام —  
ثقافة المرأة الأدبية — المرأة زهرة المجتمع — لقد ذبل  
عقل المرأة المصرية من طول السجن — الدين برئ  
من الرجوع بالمرأة عن ميادين التقدم .
- ١٦٣ المرأة والفن : ... ..  
— لكل فن عروس تشر أزهاره على الناس — المرأة  
كالطفل — مدام « ريكاميه » والفن الرومانتيكى —  
بجالس الشعر والغناء عند العرب — الجوارى المثقفات  
والنساء الشريفات عند العرب — « عليا » أخت  
الرشيد — « مدام دى بومبادور » والفكر والفن —  
المرأة المصرية ذات الفكر والروح غير موجودة —

- المرأة واللوحة .. والكتاب — المرأة وإيقاظ همم الفنانين — الطفل والإدراك بلا كتابة أو حروف أو ألفاظ — الجمال هو الثوب الوضاح للنواميس العليا — مستقبل المرأة .
- ١٦٧ ... .. المرأة والفنان : ... ..  
— زوجة الفنان — يعيش الفنان للفن ويعيش زوجته من أجل الفنان نفسه .
- ١٦٨ ... .. المرأة وأشواكها : ... ..  
— المرأة زهرة فى بستان وجودنا — جمال المرأة وفنتتها هما أشواكها وسلاحها — مهمة المرأة أن تعيش لسلب الرجل — جرى المرأة وراء الرجل من أجل شهرته — المرأة المدحجة بسلاح الفتنة والجمال هى المقصودة — التاريخ شاهد عيان — المرأة وغريزة السطو على الرجل — المرأة عدو الرجل المفكر .
- ١٧٠ ... .. المرأة والعظمة : ... ..  
— صور من نساء شهيرات — المرأة والجندي المجهول — المرأة التى ننحنى أمامها لإجلالا وإعجابا — المرأة الساهرة على زوجها ، كما تسهر العين اليقظة على المصباح المضى .
- ١٧٣ ... .. المرأة والحرية : ... ..  
— الإله وخلق المرأة فى أسطورة هندية — المرأة هناء زائف — المرأة تخدر إرادة الرجل من أجل حريتها — الصراع بين الرجل والمرأة — المرأة ملك يمين الرجل مع إحكام تقييدها بقيود من نار .

صفحة	الموضوع
١٧٧	<p>المرأة والبيت : ... ..</p> <p>— ألوان من النساء — غرام المرأة بالنزهة — خريجات  الجامعات والمدارس — خريجات المدارس الأجنبية —  المرأة الأوربية والاتزان — اعرفى حدود الرجل  واعلمى ما يريد — الزوجة الصالحة تشارك الرجل  طريقه الشاق — « تشرشل » وزوجته — الأيام  البيضاء والسود بين زوجين .</p>
١٨٠	<p>سليقة المرأة : ... ..</p> <p>— المرأة والصحافة — « آدم » و « حواء » والحياة  والشيطان — الصحافة فى دم المرأة — زوج أمام  زوجته فى حوار واستطلاع — الصحافة الإخبارية  ميراث المرأة — حذار أيتها المرأة ! — حذار أن تنقلى  الخبر الذى يخرج آدمك الجديد من « اللجنة » .</p>



مكتبة مصر  
٣ شارع كامل صدقي - النجاة

الثلث ٦٥٠ قرشا

دار مصر للطباعة  
سميد حو ده السحار وشركاه